obeikandl.com

كلوميرو

الكتاب : كلوميرو
المؤلف : محمد على
تصميم الغلاف :
تدقيق لغوي : سارة صلاح
رقم الإيداع :
الترقيم الدولي :
الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

كلوميرو

رواية لـ

محمد على

للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء وشكر واجب

أبي الغالي، أمي العزيزة.. لا أستطيع تقديم ما يكفي لكما من الثناء والشكر على ما قدمتماه وما زلتما تقدمانه لي حتى لحظة قراءتكما لهذه الكلمات.

إخوتي: (ماجد – منار – هاجر) أشكركم جميعًا على وجودكم في حياتي وتشجيعكم لي على كل ما أكتب.

obeikandl.com

obeikandl.com

ما قبل المرايا

فتح عينيه ليجد نفسه في مكانٍ شديد الظلمة، حتى إنه لم يرَ كف يده، ظلَّ يدور بمكانه يتحسس المكان من حوله.. ما الذي أتى به إلى هنا؟؟ بل أين هو من الأساس؟؟

فجأة سطع المكان بضوء قوي أغشى بصره؛ فأطبق جفنيه رغمًا عنه للحظات ثم فتحهما ببطءٍ لتقع عيناه على أغرب مشهد قد يراه في حياته: غرفة دائرية مليئة بمرايا تعكس صورته المذهولة، ونظرته الحائرة، وملابسه العجيبة التي يرتديها، لكن أكثر ما لفت انتباهه هو تلك الساعة الغريبة التي هي جزءٌ لا يتجزأ من جسده، ظلَّ يقلب في يده محاولًا معرفة كنه ذلك الجسم الغريب؛ فلاحظ أنها تنتهي عند معصم يده، فجأة سمع صوتًا غريبًا قادمًا من أعلى الغرفة، نظر ليجد مرآة أخرى تعكس صورته..

-مرحبًا بك أيها الغريب.

كان الصوت يأتي من كل مكان بالغرفة، صوت قوي جعل جسده ينتفض ذعرًا، حتى بدا أن هذه التحية لا تليق به، تلفَّت حوله باحثًا عن مصدر الصوت إلا أنه كان يصدر من جميع جوانب الغرفة.

جلس ذلك الغريب أرضًا مذعورًا، ضامًا ركبتيه إلى صدره ليمنح نفسه بعض الطمأنينة وتساءل مهزوزًا، مترددًا بصوتٍ بدا هامسًا بجوار ذلك الصوت القوي:

-من أنت؟

-لا يهم من أنا..

-أين أنا؟

-انظر حولك جيدًا لتعرف

-لا يوجد سوى..

لم يمهله الصوت ليتم جملته، فقاطعه صائحًا:

-أتريد تضييع المزيد من الوقت؟ ألم يكفك ما أضعته من حياتك؟

-أضعت ماذا؟ ماذا تريد منّي؟

-ثلاث عشرة مرآة، اثنا عشر تحيط بك والأخيرة فوقك..

-ماذا أفعل بهم؟ وما هذه الساعة الغريبة التي أرتديها؟ وكيف أتيت إلى هنا؟

-صمتًا، هذه الغرفة تدعى كلوميرو.

-ماذا؟ كلوميرو!!! ما معنى هذا الاسم؟

obeikandl.com

تابع ذلك الصوت حديثه بنبرة أكثر هدوءًا على الرغم من طريقة آدم المنفعلة.

-أفعالنا ما هي إلا انعكاس للأوقات التي تمرّ بنا، الانعكاس دائمًا ما يريك الحقيقة، ولكنها تكون بصورة مقلوبة.

-ماذا تقول؟ أنا لا أفهم شيئًا من حديثك!! ما معنى كلوميرو هذه؟

صمت الصوت تمامًا، فأخذ آدم يصرخ إلا أن أحدًا لم يسمعه، هو لم يتوقع ذلك على كل حال.. أتاه الصوت من أعلى مرة أخرى:

-ستعرف حينما يجب أن تعرف.

ثم صاح الصوت قائلًا:

-فلتبدأ اللعبة.

-أي لعبة؟ ما هذا الهراء أخرجني من هنا!!

-متاهة الزمن، سنرى إن كنت ستجد طريق خروجك من تلك المتاهة.

-متاهة الزمن؟ وكيف أجد طريق الخروج منها؟

-إن كنت تستحق، ستجد طريقك للخارج.

مع نهاية تلك الكلمات سمع صوتًا كصوت دوران حجر الرحى، ثم بدأت دقات كدقات عقارب الساعة، نظر إلى أعلى ليجد أن المرآة تسقط عليه، فوق رأسه مباشرة..

وضع رأسه بين ركبتيه سريعًا وغطى رأسه بيديه حتى لا يصيبه الزجاج، انتظر طويلًا إلا أن شيئًا لم يحدث، لم يعد يسمع سوى صوت أنفاسه يتردد في المكان وكأن الزمن قد توقف، رفع رأسه إلى أعلى ليرى انعكاسه في المرآة وقد اقتربت منه تمامًا حتى كادت تلاصق وجهه، ثم شعر وكأنه يغوص في الماء وساد الصمت من حوله وعم المكان الهدوء التام.

قام متمهلًا ينظر حوله، لم يرَ شيئًا، ظلام دامس يغلّف كل شيء، شعرَ بالأرض تدور ببطءٍ تحت قدميه، ثم ازدادت السرعة قليلًا ليختفي الظلام ويجد نفسه في مستشفى! بالتحديد في غرفة عمليات، هناك امرأة تلد.. ما هي إلا لحظات وخرج المولود إلى الحياة، كيف دخل إلى غرفة العمليات، كيف لم يرَه أيٌّ من الأطباء الموجودين؟ حاول الخروج من الباب قبل أن يلحظ وجوده أحدٌ، حاول فتح الباب إلا أن يده عبرت إلى الجهة الأخرى، ما هذا؟هل يحلم؟ خرج من الباب دون فتحه فازدادت حيرته، دخل الغرفة مرة أخرى، ذهب ليقف بجوار أحد الأطباء وأخذ يحرك يديه أمام وجهه، لم يبدِ على الطبيب أنه يراه أو يشعر بوجوده أصلًا، هنا خطرَ على ذهنه فكرة جديدة، أشد هولًا، هل مات؟! حاول أن يتذكر أي شيء عما حدث قبل دخوله كلوميرو، ولكن.. لا شيء! لا يتذكر شيئًا، كان ليعرف لو أنه توفى قبلها.

حانت منه التفاتة إلى السرير، لحظة.. إنه يعرف تلك المرأة التي تلد، اقترب منها ليرى وجهها، بالفعل، إنها هي، تبدو أصغر سنًا لكنها هي..

أمه.. رآها تحتضن مولودها ومن بين شفتيها خرجت كلمات قليلة لم يتبينها..

تقدَّم قليلًا ليرى المولود، كما توقع.. ذلك الصغير هو.. هو!

قبل أن يدرك ما يحدث شعرَ كمن كان يغرق في الماء ولا يستطيع التنفُّس "سأسميه آدم" كان ذلك صوت أمه، سمعه قبل أن يخرج ليأخذ شهيقًا كبيرًا ليجد نفسه مرة أخرى في تلك الغرفة المليئة بالمرايا المسماة بكلوميرو، نظر إلى أعلى حيث المرآة ليجد أن السواد بدأ يكسوها لتسودّ تمامًا.

مرة أخرى ذلك الصوت الصادر من أعلى:

-تلك كانت البداية، قدومك إلى الحياة..

-أي بداية؟ ماذا تريد مني؟

أكمل الصوت وكأنه لا يسمعه:

-فلتعلم أيها الغريب أن عقارب الساعة لا تعود أبدًا إلى الخلف.. دائمًا وأبدًا ستظل إلى الأمام، وكلما تقدم عقرب كلما قلَّ وقتك في الحياة، كم أضعت من عمرك فيما لا طائل منه!! لم تدرك قيمة الوقت فكنت تنفق منه في تفاهات ولم تنتبه إلى عقارب ساعتك.

حانت منه نظرة إلى الساعة التي في يده:

-لا أقصد ساعة يدك، بل ساعتك الأبدية التي تدور بلا توقف ولا شيء يوقفها إلا خروجك خارج نطاقها، ولن تخرج إلا بفنائك، أنت الآن داخل لعبة، قواعدها بسيطة.

1 - اثنتا عشرة مرآة حولك تمثل الوقت.

2 - سترى أحداثًا مهمة في حياتك أنفقت منها وقتًا كان من الممكن الاستفادة منه.

3 - أنت تمثّل عقارب الساعة.

4 - ستكون كشاهد لما يحدث، لا تستطيع التدخل فيه أو تغييره.

5 - انتبه لساعة يدك فهي متصلة مباشرة بقلبك، كلما مرَّ الوقت كلما اقتربت من النهاية.

6 - لا تأسفن على ما مضى أو فلتفعل، فلن يغيّره الأسف.

7 - لا تنخدع بدائرة الساعة، فدائريتها لتخطف منك الوقت بلا شعور منك.

صمت الصوت قليلًا ثم تابع مكملًا:

-أتذكر ذلك اليوم؟؟

كاد يتساءل عما يقصد بذلك اليوم.. إلا أنه كان يعلم تمامًا عم يتحدث.

صمت الصوت تمامًا وكأنه يعطيه مهلة للتفكير، عندها بدأ يلاحظ الغرفة بوضوح أكثر.. غرفة دائرية واسعة، لكنه ليس ذلك الاتساع الشاسع، وبدأ يرى المرايا بشكل أكثر وضوحًا؛ فكل مرآة لها ذات الإطار المُذهّب وتتخذ جميعها شكلًا واحدًا وإن اختلفت في تلك الدائرة التي تتوسط ذلك الإطار من الأعلى؛ فكل منها تحمل رقمًا مختلفًا كما قال ذلك الصوت يوضّح ترتيب المرايا ترتيبًا في اتجاه عقارب الساعة، رفع رأسه ليرى تلك المرآة التي في السقف فوجد أن دائرتها قد حلَّ محلها السواد القاتم؛ فأخذ يدور في أرجاء الغرفة باحثًا عن مخرج، يحاول تحريك المرايا إلا أنها لم تتزحزح قيد أنملة، ماذا يحدث؟! بدأت الأرض تدور وتتحرك لأعلى وأسفل، زادت سرعة دورانها، ثم توقفت، وجد نفسه يقف منتصبًا، لا يستطيع التحكم في جسده، هناك من يتحكم به، بدأ جسده يدور من تلقاء نفسه حتى وجد نفسه يقف باتجاه الساعة الثانية عشر، الآن فهم كيف سيمثّل عقرب الساعة، واجهته المرآة التي تحمل الرقم "12" في دائرتها، مرآة تعكس صورته ويظهر فوق انعكاسه على المرآة حيث قلبه 00:00 ثم مرة أخرى وجد نفسه يقترب هذه المرة من المرآة حتى كاد أن يصطدم بها، حاول أن يغطي وجهه أو يتراجع إلا أن جسده لم يستجب له فوجد نفسه يغوص داخل المرآة وكأنها صنعت من الماء.

obeikandl.com

00:00

حينما انقشع الظلام تملكه شعور مقبض.. إنه يذكر ذلك اليوم، يذكر كل تفصيلة من تفاصيله، يومها دخل المنزل بعد عودته من المدرسة بعد أن اتصل به عمه ليخبره بأن عليه العودة للبيت فقد عاد والده، كان آدم تلك الفترة في المرحلة الثانوية، عاد للمنزل ليجد والده راقدًا على السرير بغرفته وبجواره تجلس زوجته تبكي.. المكان ممتلئ بأناس لا يعرف منهم إلا القليل.. هناك بعض الجيران، وعمه وبعض أقربائه الذين رآهم مرة أو مرتين طوال حياته، هناك رجل منكب فوق والده الراقد على الفراش ممسكًا بمعصم يده ويضع السماعة الطبية فوق صدره، ظهرت عليه علامات التركيز الشديد، ثم الأسى، هز رأسه نفيًا وقال وهو يلملم أشياءه القليلة:

-لقد انتهى الأمر

قالها والأسى باديًا على وجهه.. لم يفهم آدم ما يحدث فقال وهو ينظر لذلك الرجل:

-أيّ أمرٍ؟؟ ومن أنت؟

جذبه عمه خارج الغرفة ثم قال له موضحًا:

-لقد مات والدك يا بُني.

-مات؟ كيف مات؟

اختفت الصالة التي يقف فيها مع عمه واختفى عمه ذاته وخبتت الأصوات تمامًا وسمع ذلك الصوت يقول:

-ألا تعلم أنك سبب موت والدك؟

-أنا؟ كيف؟

-انظر في مرآتك جيدًا لترى وتعرف.

-أي مرآة؟ لا يوجد مرايا هنا.

-هذا لأنك تبحث بعينيك.

أخذ يبحث حوله فلم يكن حوله شيء، اعتصره ألمٌ في معصم يده؛ فنظر في ساعته ليجد الأرض تدور كالدوامة وهو يغوص بداخلها بسرعة شديدة، حاول التعلق بأي شيء لكن لم يكن حوله ما يتعلق به.. فأخذ يصرخ بأعلى صوته علَّ أحدهم يسمع صراخه فينقذه مما هو فيه.

00:09

وجد نفسه في مكتب أبيه الذي زاره به عدة مرات، وكان والده يجلس خلف مكتبه الذي يعود إلى عصر أحد اللويسات؛ فهو لم يهتم لذلك كثيرًا، كل ما كان يعرفه أن هذا المكتب قد كلَّف أباه ثروة صغيرة كي يشتريه بأحد المزادات، كان والده يتحدث إلى أحدهم بالهاتف:

-لا بأس، نعم نعم كما اتفقنا.

-أبي.. هل تراني؟هل يمكنك سماعي؟

أغلق أبوه الهاتف وهو يزفر بقوة، أخرج هاتفه الجوال وطلب رقمًا.. انتظر قليلًا ثم ظهرت السعادة على وجهه:

-مرحبًا آدم.. كيف حالك يا ولدي؟

نعم فقد كان يتحدث إليه، وهو يذكر تلك المحادثة جيدًا.

-مرحبًا أبي.. أنت تعرف حالي.

-لا أعرف شيئًا يا ولدي، فأنا لم أرَك منذ عدة أيام.

-إذًا فأنت تعرف أن المبلغ الصغير الذي أعطيتنيه ذلك اليوم قد قارب على الانتهاء.

تهلل وجه الأب لسعادته بأنه سيرى ولده قريبًا، ثم قال له:

-إذًا متى أراك؟

-أقرب وقت ممكن.

-حسنًا أراك غدًا.. هناك بعض البضاعة سأتسلمها غدًا من الجمارك في الميناء.. أراك بعدها.

-لا بأس.. سأراك بالسادسة مساءً إذًا.. أتمنى أن يكون المبلغ أكبر هذه المرة.. إلى اللقاء.

ثم أغلق المكالمة بدون انتظار رد والده الذي أخذ صورة من فوق مكتبه وأخذ ينظر بها.. التف آدم حول المكتب ليرى تلك الصورة

obeikandl.com

فكانت صورته وهو بالمرحلة الابتدائية مع والدته ووالده وثلاثتهم يبتسم بسعادة، ابتسم الأب ثم قال بحزن:

-ليتك تعود كما كنت يا ولدي.. ليت الأيام تعود كما كانت.

أبوه.. رجل أعمال كبير في مجال الاستيراد والتصدير، بدأ من الصفر- كما يُقال-؛ فقد بدأ كبائع صغير في أيام شبابه لتساعده تلك الوظيفة لاستكمال تعليمه؛ فلم يكن والده يملك المال الكافي لينفق عليه هو وإخوته.. ظلَّ يعمل بتلك الوظيفة ومرتبه يزداد شيئًا فشيئًا حتى المرحلة الجامعية كان قد ادخر مبلغًا لا بأس به فقرر أن يشارك أحد أصدقائه ويفتتح شركة صغيرة لهما.. لاقيا الأمرّين في بداية عملهما ولكنهما صمدا.. رسب في السنة الأولى بالجامعة.. فقد كرّس كل وقته للشركة الناشئة، ثم عندما لاحت لهما أولى بشائر المكسب، قرر أن يحاول الجمع بين الجامعة وشركته.. نجح هذه المرة ولكنه لم يكن نجاحًا باهرًا وهكذا تكرر نجاحه في السنة الثانية ونجاح شركته يزداد، قرر مع صديقه أن يقوما بتوسيع الشركة وزيادة نسبة البضائع وقاما ببعض المخاطرة في أسواق البورصة.. بدأ اسم الشركة يكبر شيئًا فشيئًا.. بدأت السنة الثالثة ومع بدايتها قابلها، أعجبته شخصيتها وإن لم يكن جمالها بالجمال الأخَّاذ، ثم من قال إنه يبحث عن الجمال؛ فهو يبحث عن أمٍّ لطفله، الطفل الذي سيحمل اسمه ويحمل شركته من بعده.. سأل عنها بعض الأصدقاء وتم كل شيء سريعًا؛ فقد تقدَّم لخطبتها من والدها، ومع نهاية السنة الثالثة كان قد تم الزواج، وعند الانتهاء من السنة الرابعة كانت زوجته قد حملت بآدم الذي تمت ولادته بعد ما يقرب

من الأشهر الخمس من تخرجهما، وقتها كان والده قد اشترى أسهم صديقه الذي قرر الانفصال وبدأ حياته خارج مصر..

مع ميلاد آدم كان اسم الشركة قد وصل لعنان السماء ومعه زاد منافسوه الذين بدأوا يحاربون ذلك النجاح ولكنه صمد، صمد طويلًا، لاقى بعض الخسارة ولكنه تعلَّم دومًا أن التجارة لا تعني الربح الدائم بل يكون هناك بعض الخسائر ولكنه واجه الخسائر بطريقة أخرى..

وعندما بدأ آدم يكبر أمامه، قرر تعويضه عما رآه في صغره فكان ينفق عليه ببذخ، لا يطلب شيئًا إلا ويكون أمامه قبل أن ينتهي من طلبه وكانت طلبات آدم لا تنتهي بل هي في ازدياد وتتغير حسب عمره، حتى وصل إلى المرحلة الثانوية فطلب سيارة من والده الذي لم يعتد أن يقول الـ"لا" لولده مهما كان طلبه باهظ الثمن أو غريبًا.. فأتى له بالسيارة وعلمه كيف يقودها بنفسه ولم يتركه حتى أتقن قيادة السيارة كأنها لعبة، وفي هذه الفترة تكرر غياب آدم خارج المنزل، لم يكن يعود إلا لطلب النقود حتى حدث ما لم يكن في الحسبان..

اتصل بوالده يومًا ليخبره أنه تسبب في حادث ولكنه لم يصب بخدش.. سأله والده عن مكانه ثم ذهب إليه وفعل آخر شيء توقعه آدم في تلك اللحظة؛ فقد ارتفعت يد والده لتهوى على وجه آدم ثم صاح غاضبًا في وجهه:

-أعطني مفاتيح سيارتك، فلن تقودها بعد اليوم.

كان آدم وقتها يتصرف بآلية تامة، لم يتحدث، أخرج مفاتيح السيارة وأعطاها لوالده الذي قاده إلى سيارته وعاد بهما للمنزل، ظل آدم

بالمنزل لا يأكل، لا يشرب، ولا يتحدث حتى أشفق والده عليه فدخل عليه غرفته وجده جامد الوجه، ينظر للفراغ، تحدث والده إليه، لم يرد آدم حتى قال له والده أن ما فعله كان لخوفه عليه ولم يكن بدافع العقاب، ثم احتضنه عندها تكلم آدم قائلًا ثلاث كلمات:

-أريد سيارة جديدة.

-لابأس يا ولدي، لك ما تريد، المهم أن تأكل.

بالفعل أحضر له والده السيارة التي أراد، وعندها عاد آدم لعادته: يأخذ النقود، ويخرج من المنزل لا يعود إلا عند انتهاء نقوده بعد بضعة أيام..

مرَّ كل هذا أمام عيني آدم في دقائق معدودة، ثم رأى والده ينهض من فوق مكتبه، يعدِّل من هندامه ثم يتوجه خارج المكتب.

00:29

-ألحق به لتعلم إلى أين يذهب.

كانت تلك الجملة من ذلك الصوت، سمعه يقولها في أذنه، ففتح باب المكتب ليلحق بأبيه ليجد نفسه بالميناء، نظر خلفه فلم يجد باب المكتب الذي خرج منه، نظر أمامه مرة أخرى ليجد والده يقف أمام بعض الحاويات الضخمة وفي يده حقيبة يمد بها إلى أحد الرجال حينما داهمت الشرطة المكان، تلجلج والده ولم يعلم إلى أين يذهب.. حاول الهرب ولكن أحد الضباط كان أسرع منه فأمسك به

وجذب من يده الحقيبة التي كانت بيده وفتحها ليجدها مليئة بالنقود وتم القبض على الرجل الآخر وسمع أحد الضباط الذي يبدو أنه أعلاهم رتبة يقول في اللاسلكي الخاص به: "تم إجهاض عملية الرشوة سيدي، وتم القبض على طرفي العملية" ثم صمت قليلًا وهو يستمع إلى محدثه الذي قال: "إذًا البلاغ صحيح هل أحدهم بالفعل رجل الأعمال المشهور؟" رد الضابط: "أجل يا سيدي" ثم تابع وهو يلتفت إلى والد آدم الذي كان يدخل إلى سيارة الشرطة في تلك اللحظة "الراشي هو رجل الأعمال المعروف أحمد عبد الواحد" وأمام عيني آدم انطلقت سيارات الشرطة الثلاث إلى حيث قسم الشرطة.

00:35

-أتدري لِم كان والدك يقوم برشوة هؤلاء الرجال؟

-لا أدري.. لم قد يفعل ذلك؟؟

-لقد فعلها حينما كان على وشك الخسارة في إحدى المرات، لم يتحمل أن يراك تطلب شيئًا ولا يستطيع تحقيقه.. عاش طوال حياته شريفًا وحينما لاحت له الخسارة في الأفق، اختارك على عاداته ومبادئه، فضّل راحتك وسعادتك على حساب شرفه، لكن أنت.. أتذكر ماذا كنت تفعل وقتها؟

لم يدرِ آدم ماذا يقول فقد كان يتذكر جيدًا ذلك الوقت.

كان آدم يحاول مرارًا وتكرارًا الاتصال بوالده الذي كان هاتفه غير متاح؛ فقد ذهب إليه في المكتب ولم يجده كما اتفق معه، كان مع آدم أحد أصدقائه.

-تبًا لذلك العجوز.. أين ذهب؟؟

-ألم يقل لك إنه سيذهب إلى الميناء؟

-أجل، ولكنه قال إنه لن يتأخر وسيأتي في الموعد.

-ما رأيك أن نذهب إلى هناك علّنا نقابله؟

-حسنًا هيَّا بنا.

حاول مرة أخيرة الاتصال بوالده ولكن هاتفه ما زال خارج نطاق الخدمة، فانطلق إلى سيارته وأخبر السكرتيرة أن تخبر والده عن قدومه في حال لم يقابله.. انطلق مع صديقه في سيارته إلى الميناء الذي كان شبه خالٍ في ذلك الوقت إلا من بعض العمال، تجول في الميناء بسيارته وترجل قليلًا، لكنه لم يعثر له على أثر، أوصل آدم صديقه إلى منزله، ثم عاد هو إلى المنزل ليجد والدته جالسة.. هبت قائمة وأخذته في أحضانها وأخذت تسأله عن أحوال مدرسته ودراسته فأخبرها أنه متفوق كعادته بشيء من الملل، وسألها عن والده فقالت إنه لم يعد للمنزل بعد، رن هاتف آدم فالتقطه ليجد رقم أحد أصدقائه فأغلق الهاتف ولم يرد عليه، أعدت له والدته الطعام فأكل منه ما أكل ودخل غرفته لينام، حاول مرة أخرى الاتصال بوالده فرنَ هاتفه هذه المرة وحينما رد عليه والده سأله آدم:

-أين أنت؟ انتظرتك في المكتب بميعادنا كما اتفقنا.

-بني.. لقد تم القبض عليَّ

-وماذا يعني هذا؟ أيعني أنني لن أحصل على المال؟

-بني.. سوف...

قاطعه آدم قائلًا بحدة:

-إذا كنت تريد التهرب من إعطائي المال فلتخبرني بذلك مباشرة.. ثم أغلق الهاتف ولم ينتظر رد والده.

00:42

-يالقساوة قلبك.. الآن أنت تعلم أنه لم يكن يتهرب منك والآن سوف أريك ردة فعل كلامك على والدك.

-أرجوك يكفي هذا.

انطلقت ضحكات الصوت ترج المكان ثم قال الصوت بهدوء وصوت عميق:

-والآن فلترَ ما حدث .

اختفت الغرفة تدريجيًا من أمام عيني آدم ليحل محلها غرفة أخرى يبدو أنه مكتب أحد الضباط يتوسطها مكتب صغير يجلس خلفه ضابط حديث السن ذو رتبة قليلة يجري التحقيق مع والده، ويجلس

أمامه والده ذليلًا، مطأطئ الرأس.. عانى والده كثيرًا -والضابط يستجوبه- ليخرج الإجابات من فمه؛ فهو لأول مرة يشعر بالإهانة؛ فقد كان الضابط يتحدث إليه بطريقة غير لائقة، ولا يعطي فارق السن الواضح بينهما أيَّ اهتمام، بعد تحقيق طويل، طلب "أحمد عبد الواحد" والد آدم أن يتحدث في هاتفه؛ فوافق الضابط على مضض، لم يكد يفتح الهاتف حتى وجد آدم يتصل به ودار بينهما الحوار السابق، حينما أغلق آدم الهاتف، ظلَّ والده واضعًا الهاتف على أذنه يستمع إلى صافرة انتهاء المكالمة، ثم رآها آدم.. دمعة تسيل على جانب وجه والده ثم أنزل الهاتف من على أذنه، ضغط الضابط زرًا ما فانطلق جرس قصير، سمعوا بعده دقات على الباب ثم دخل رجل ضخم الجثة، طويل القامة، له شارب كثٌ، دقات قدمه وحدها كفيلة بأن تسبب الكوابيس، فما بالك بهيئته..

أدى التحية العسكرية للضابط، فأمره الضابط باصطحاب المتهم إلى زنزانته، وقد فعل، فعلها بأبشع الطرق الممكنة؛ فقط هبط كفه على قفا والد آدم وجذبه من فوق كرسيه ولولا اليد الحديدية التي تحكم قبضتها عليه لانكفأ على وجهه، وجرّه جرًا خارج الغرفة وأغلق الباب خلفه، ومع إغلاق الباب حل الظلام الدامس على الغرفة مرة أخرى.

00:50

أضاءت الغرفة بضوء خافت يأتي من الخارج.. مهلًا، ليست الغرفة ذاتها.. هناك رائحة بشعة تعم المكان وكأنها تخرج من جدران الغرفة

ذاتها، تلفَّت حوله رأى والده يجلس منزويًا بأحد أركان الغرفة، يجلس وسط المجرمين والقتلة، يجلس وسط المُسجلين خطر على أمن البلاد.. نعم فهذه هي الزنزانة التي زُجّ والده بها، اقترب منه فوجده يرتعش بقوة، جسده بأكمله ينتفض، لم يرَ والده على هذا الحال من قبل، يبكي بقوة وبألم ومرارة، يبكي كما يبكي الطفل الذي قسا عليه والده، يبكي ولا يلتفت أحدٌ لبكائه، ظلَّ يبكي طويلًا حتى سكن جسده تمامًا، حاول أن يقوم من مكانه فسقط على وجهه وسط الزنزانة، فتجمع حوله جميع من بالزنزانة يحاولون إفاقته، فرفع رأسه، نظر إليهم بابتسامة مريرة، ابتسامة لا تحمل إلا معنى واحدًا، معنى التقطه ذهن آدم ولكنه هز رأسه ليطرده من رأسه.

-فليطلب أحدكم النجدة، لا بد أن هناك أحدًا ما بالخارج ليساعد هذا الرجل..

جملة قالها أحد المجرمين، الذي يبدو عليه أنه يدير شئون الزنزانة، بعدها أظلمت الغرفة تمامًا، وسمع آدم صوت محدثه يقول:

-لم تحاول أن ترفض الفكرة التي جاءتك؟

-هل تعرف فيم أفكر؟

-وماذا يبدو لك؟

-لأنها فكرة غير صحيحة؟

-بل لا صحيح غير ما فكرت به، وما اعتقدته، ابتسم والدك لأن هؤلاء المجرمين والقتلة أحن عليه منك –أنت ولده- الذي لم يكن يفكر سوى في الحصول على الأموال ولم تهتم بما حدث لوالدك، والآن فلتعد لترى.

00:55

عاد آدم هذه المرة ليجد نفسه وسط حشد كبير يسير في طريق شبه مقفر ويحملون على أكتافهم نعش والده الذي يرقد به جثمانه، سار معهم حتى وصلوا جميعًا إلى المقابر وتم دفن جثة والده، خرج من القبر ليرى والدته تقف وسط النسوة، يقفن حولها وتبكي بحرقة شديدة، رفعت رأسها لتجده واقفًا، نظرا لبعضهما البعض طويلًا، ثم استدار وانصرف:

-يا لقساوة قلبك.. لم تقف حتى معها لتخفف عنها القليل من الألم.

-هه ماذا كنت تريدني أن أفعل؟

-إنها أمك..

-إنها امرأة ضعيفة تبكي زوجها.

-كنت ستعطيها من قوتك فتقوى بك.

-تبًا لكم جميعًا.

-وماذا فعلت حينما عدت للمنزل بعد يومين؟

-بالطبع سألتها عن حقي في ميراث والدي.

-أنا أعلم ما فعلت.. ولكنك حتى لم تلقِ عليها السلام.. كل ما كان يهمك هو المال، وكأن من مات لم يكن والدك.

-فلتتركني أرحل، هذه حياتي ولا شأن لك بها، من أنت لتحكم على أفعالي؟

-سأترك هذا لخيالك –إن كنت تملك واحدًا- لكن هذه لعبة ولا بد من إكمالها.

-لا أريد اللعب، تبًا لك ولألعابك السخيفة.

-وهل تملك الخيار؟

00:59

مرة أخرى، ذلك الشعور بالخروج من الماء كأنه كان يغرق ليأخذ شهيقًا عميقًا، ويلاحظ تحول المرآة للون الأسود ويحل محلها ذلك الوقت 00:59، شعر بانقباضة في صدره، فمدَّ يده ليقبض على صدره بألم فلمح عقارب ساعة يده فوجدها تدور أبطأ من المعتاد فلم يدرِ أهذا جزء من اللعبة! أم بسبب ما يشعر به من آلام، فالوقت يبدو له أبطأ؟!!

دوى الصوت مرة أخرى..

-لقد تركت أمك في ذلك اليوم، وأضعت وقتك بين أصدقائك.

-وما شأنك أنت؟

-ألم تدرِ أنها كانت بحاجتك هذا اليوم؟ كانت تحتاج إلى دقيقة من وقتك.. ماذا كنت ستخسر لو أعطيتها لها؟ لقد أضعت في ذلك اليوم العديد من الساعات مع أصدقائك وبخلت بدقيقة على أمك وكنت تدري أنها بحاجة إليها.

-.....

-هل أنت مستعد للانتقال للمرحلة التالية؟

-من أنت؟ وماذا تريد مني؟ أتريد المال؟ سأعطيك ما تريد من...

-يبدو أنك لم تفهم بعد، أنا لا أريد مالك.. ثم هل تملك الوقت لتعطيني المال؟ بل كم تملك من الوقت؟

-أيها الـ...

-يبدو أنك مستعد للانتقال للمرحلة التالية.. أتذكر حبيبة؟

-ماذا؟ كيف تعرفها؟

-أنا أعرفك.. إذًا فأنا أعرفها.. ماذا تمثِّل لك؟

صمت الصوت قليلًا وكأنه يمنحه بعض الوقت ليتذكر أيامه مع حبيبة، صرخ آدم

-لِم تفعل هذا بي؟

-أنت من فعل هذا بك.. أنا لم أفعل شيئًا.. انظر لترى في مرآتك.

-ما هذه المرايا؟

-هذه المرايا تريك أفعالك من منظور آخر

-لكنى لا ريد هذا

-وهل تملك الخيار؟

مرة أخرى وجد نفسه يواجه المرآة الثانية التي تحمل الرقم "1" وفي مكان انعكاس قلبه على المرآة ظهر بوضوح 01:00 ويقترب بسرعة من المرآة، حاول رفع ذراعه مرة أخرى ليحمي وجهه إلا أن جسده لم يستجب له، ليغوص مرة ثانية داخل المرآة وتبدأ المرحلة الثانية من اللعبة.

obeikandl.com

obeikandl.com

01:00

ماذا تمثل لك حبيبة؟؟ ماذا تمثل له حبيبة!! يا له من سؤال أحمق، حبيبة، يكفيه فقط أن يسمع صوتها لتعزل سمعه عن العالم وينفرد معها بالوجود ويرى كل ما هو جميل.. حبيبة، يكفيه فقط أن يرى بسمتها ليشعر بالأمان ولا يعرف الخوف أو القلق طريقًا إلى قلبه البائس.. حبيبة، يكفيه فقط أن يرى عينها ليغيب فيهما عن العالم وعن الوجود.. حبيبة، لمسة يدها تنسيه كل ما هو مؤلم وقاسٍ وخشن كأنه ما مس غير الحرير بحياته.. حبيبة حبه الأصدق، حبه الأول، حبه الأجمل، حبه الأطهر، حبيبة هي من جعلت لحياته معنى وهدفًا يسعى إليه، حبيبة هي من حببته في الحياة...

عندما رآها لأول مرة لم يستطع أن يبعد عينيه عنها.. يتذكر هذه المرة كأنها الأمس.. يتذكر سرعة دقات قلبه يومها وكأنه سيتوقف أو توقف بالفعل لكنه لم ولن يهتم إن فعل.. كانت تسير وسط صديقاتها وكان يسير وسط أصدقائه، حينما رآها لأول مرة توقف الزمن عندها وتوقف هو عن السير مع أصدقائه، دق قلبه لأول مرة بصدق، خطفت بصره معها، عاد إليه أصدقاؤه ليوقظوه من ثباته .

-آدم.. لم توقفت؟

-من هذه؟

قالها آدم كالحالم فاغرًا فاه محدقًا ببصره في ذلك الملاك السائر بين الناس، ضحك صديقه ملء شدقيه ثم قال له:

-حبيبة.. لا تحلم يا صديقي.

-حبيبة؟!! ما أروعه من اسم..

-أجل.. حبيبة، لكني أنصحك كصديق.. لا تحاول معها فلن تصل لشيء..

-لم؟

-لأنها فتاة متكبرة، ومتعجرفة ولا تتحدث مع أحد، ومنعزلة عن الجميع إلا بضع صديقات لها.

-صه.. لا تقل هذا..

نادى صديقه بأعلى صوته ليسمع أصدقاؤهم الذين يتابعون الموقف من بعيد ولا يسمعون شيئًا، فقط ينتظرانهما

-لقد سقط آدم الدنجوان في شباك حبه.

جرى عليه آدم وسد فمه بيده حتى لا يكمل اسم حبيبة.. أما ذلك "الدنجوان" فقد كان لقبه وسط أصدقائه لكثرة البنات اللائي يعرفهن ويتحدث إليهن، بالفعل هو دنجوان ويتحدث إلى العديد منهن وهن يحببنه لخفة دمه ووسامته الملحوظة حتى إن بعضهن يذهب ليتحدث إليه لكن هيهات هيهات فحبيبة تختلف عنهن

جميعًا، لأول مرة يهاب بدء حديث مع إحداهن، وكأن حبيبة لها هالة تحيط بها، تمنع قدراته في جذب الفتيات إليه، يبدو أنه بالفعل سقط في شباك حب حبيبة، سقط من رأسه حتى أخمص قدميه، يبدو أن قلبه فعل ما ظن أنه لن يفعله طول حياته، لقد دق قلبه لفتاة وهو الذي كان يظن أنه لن يفعل، أتت حبيبة بسحرها لتجذبه لها وتجعل من المستحيل ممكنًا.. ظلَّ يتابعها حتى اختفت عن بصره فعاد إلى أصدقائه بجسده وظلت روحه تتبعها وتتعلق بها، كان يسير مع أصدقائه على غير هدى، يتبعهم فقط ولا يسمع شيئًا من كلامهم فعقله وسمعه وبصره معها، حتى إن أصدقاءه لاحظوا أنه ليس معهم..

-آدم.. آدم.. ماذا بك؟

-هل تتحدث إليَّ؟

-حمدًا لله على سلامتك.

-ماذا؟

-يبدو أنك لست معنا بتاتًا.. هل تشغل تفكيرك؟

-من؟

-حبيبة.. حبيبة القلب.

قام أحدهم ليمثّل مشية آدم حينما رأى حبيبة.. فسقط الجميع ضحكًا.. غضب آدم وانصرف تاركًا إياهم.. متى دخل إلى ذلك الكافيه؟؟ شبح ابتسامة لاح على شفتيه حينما فكر أن أصدقاءه من قادوه إلى هذا المكان وهو لا يعلم ولا يدري بدخوله.. لقد فعلت به الأفاعيل تلك الفتاة، لقد سلبته لبّه.. لأول مرة منذ دخوله تلك الجامعة ينتظر اليوم القادم..

كان آدم معروفًا بذكائه بين أقرانه، على الرغم من سهراته المتكررة وقلة استذكاره إلا أنه كان من المتفوقين دائمًا، نجح في الثانوية العامة بمجموع يؤهله لدخول كلية الطب إلا أنه فضَّل الصيدلة وبالفعل دخل الكلية ليس حبًّا فيها إلا لأنها لا تحتاج مجهودًا كبيرًا –فهي ليست كالطب- وهي أيضًا من كليات القمة.. يومها فقط أدرك دقة اختياره حين رأى حبيبة.. مرَّ هذا كله سريعًا في ذهنه ونام ليلتها قرير العين.

01:07

استيقظ آدم في اليوم التالي مبكرًا على غير عادته، قام سريعًا من فراشه واتجه إلى الحمَّام ليأخذ حمامًا دافئًا ليفيق من آثار النوم، ترك الماء الساخن ينساب على رأسه وجسده، أنهى حمامه سريعًا، عطَّر جسده بأقوى عطوره التي يملكها ولا يخرجها إلا للضرورة القصوى، وهذه أهم ضروریاته، يضعه فقط حين يكون متوجهًا للقاء فتاة جديدة لأول مرة، فما بالك بحبيبة!! ارتدى أجمل ملابسه التي تظهر وسامته وعضلات ذراعيه.. انتهى من تلميع حذائه ثم

انطلق إلى الجامعة بسيارته، ظلَّ طوال طريقه يراجع ما حضره أمس، ماذا سيقول لها، كيف سيتحرك أمامها، ماذا سيفعل لجذب انتباهها، وصل سريعًا إلى الجامعة، لا يدري هل لفراغ الطريق أم لانشغاله بالتفكير في أمر حبيبة، ركن سيارته داخل الجامعة واتجه سريعًا إلى الكلية، قابل بعض الفتيات، ألقين عليه التحية، لكنه لم يهتم وتركهن وانصرف لرؤية ملاكه الحارس بحث عنها كثيرًا في جميع أنحاء الكلية، دخل جميع المدرجات والقاعات، لكنه لم يجدها، علم أن هناك محاضرة لهم في هذا الوقت فدخل عله يجدها بالداخل، دخل المدرج وظلَّ الدكتور يتحدث كثيرًا عن بعض التركيبات الكيميائية التي تحويها بعض الأدوية.. على الرغم من سهولة ما يتحدث عنه الدكتور إلا أنه لم يفهم منه شيئًا؛ فعقله كان مشغولًا بها، يفكر في حبيبة، ويبحث عنها وسط البنات، رأى صديقاتها اللاتي كانت معهن أمس لكنها لم تكن بينهن، فتعجب كيف لم تأتِ حتى الآن، فتح أحدهم الباب، تعلق بصره به علها هي، لكنه كان أحد الشباب، استأذن الدكتور في الدخول فلم يأذن له، مرة أخرى فتح أحدهم الباب وهبت مع الهواء رائحتها.. إنها هي بالفعل.. خطفت بصره، مرة أخرى يتوقف الزمن لتتسارع دقات قلبه ويزداد خفقانه، استأذنت الدكتور في الدخول فلم يرد عليها، فقط التفت ليكتب شيئًا ما على السبورة لتدخل هي وتغلق الباب خلفها.. ظلَّ يتابعها آدم ببصره حتى جلست وسط صديقاتها، ظلَّ متابعًا لها طوال المحاضرة، يراقب كل حركة من حركات جسدها، يراقب يدها وهي تكتب، رأسها وهي تتحرك.. يراقب كل حركة تقوم بها، حتى انتهت

المحاضرة فقام سريعًا من مكانه ليخرج قبلها وانتظرها أمام المدرج حتى رآها تغادر من الباب وسط صديقاتها.. اقترب منها، ومع كل خطوة يخطوها كانت دقات قلبه تزداد، حتى وقف أمامها، يا لجمال عطرها الفواح الذي أصبح لا يشم شيئًا بل لا يتنفس شيئًا سواه، حين توقف أمامها توقفت، تبا لقد نسى كل ما جهزه بالأمس ليخبرها به.. حاول تذكُّر أي شيء، يبدو أنه نسى الأبجدية، أمامها فقد النطق يصدر الأمر للسانه بالكلام، ولكن يبدو أن لسانه أصبح مستقلًا بذاته، له رأيه الخاص، فيرفض الحديث، يشعر أنه يزن أطنان.

-نعم؟؟!!!

قالتها حبيبة ويبدو أنها أخطأت حين فعلت؛ فهو لم يكن بحالٍ يسمح له بالمزيد؛ فقد زادته هذه الكلمة اضطرابًا.. يا لجمال صوتها الرنان، أخذ يتجمل في وجهها من قرب ويتأمل جمال صوتها الذي ما زال يرن في أذنيه.. أخيرًا استجاب لسانه له وتذكَّر على الأقل اسمه.

-مرحبًا.. أنا آدم.

حينما نطقها أخيرًا كانت تستدير لترحل مبتعدة عنه مع صديقاتها، يبدو أن هذا سبب انحلال عقدة لسانه.. لم يملك الجرأة الكافية للحاق بها خارج الكلية، أخذ يسبّ ويلعن ضعفه أمامها، فهذه أول مرة يشعر بهذا الضعف أمام فتاة ما.. ماذا حدث له؟! ماذا فعلت به هذه الفتاة؟!!

01:12

في اليوم التالي كان قد اتخذ قراره بأنه سيتحدث معها هذا اليوم ولكن حدث مثلما حدث بالأمس.. هذه المرة لم يتركها تبتعد كثيرًا.

-حبيبة أنا..

-كيف تعرف اسمي؟

تلجلج ولم يعرف ماذا يقول.. حين رأت حاله الذي لا يُحسد عليه سألته:

-ماذا تريد؟

-أنا آدم..

-تشرفنا..

قالتها بسخرية وكأنها تعلم هذا مسبقًا.. فقد كان معروفًا بكثرة أصدقائه من الفتيات وشهرته تسبقه في الجامعة بأكملها، من لا يعرفه شكلًا فقد كان يعرف اسمه "آدم الدنجوان".. تمنى وقتها أنه لم يكن ذلك الدنجوان لينال رضا هذا الملاك.

-أريد التعرف إليكِ.

-آسفة.. لا أتحدث مع الشباب.

-لكني لست..

-لست شابًا؟؟

-ليس هذا ما كنت سأقوله..

-وماذا كنت ستقول؟

-الجو حار هنا.. أتريدين الذهاب للخارج؟

-يجب أن أذهب.

-حسنًا إلى اللقاء.

لا يدري لِم لَم يوقفها؟!! فقط تركها تنصرف وظلَّ هو يتابعها.. يكفيه بضع كلمات تبادلها معها هذا اليوم فليتحدث إليها غدًا مرة أخرى وسيبدأ حديثًا جديدًا وسيجبرها على عدم الذهاب.. لكن غدًا يوم آخر.

01:15

استيقظ متأخرًا في اليوم التالي، نظر في هاتفه فوجد أنه تأخَّر وأنه لن يستطيع اللحاق بميعاده غير المحدد مع حبيبة، حين رأى هاتفه كانت صدمته شديدة.. كيف نسى أن اليوم هو الجمعة.. لقد نسى تمامًا.. ترك جسده يسقط بقوة فوق السرير.. قضى يومه مفكرًا في طريقة يخبرها بما يشعر بها تجاهها ومشاعره الحقيقية وأنها أول من لامست قلبه.. اتخذ قراره ووضع خطة ليتغلب بها على خجله أمامها

ووضعها طي التنفيذ، راجعها عدة مرات، عدل بها بعض الأشياء، وحينما اكتملت الخطة برأسه كان قد...

ما هذا؟؟ ألم شديد يعتصر معصمه نظر في ساعته ليجدها الواحدة والأربعين دقيقة ثم شعر بذلك الشعور مرة أخرى، شعور الغريق الذي على وشك الخروج من الماء.. كلاا كلاااا هل سيعود.. ليس في هذا التوقيت، هو يريد للعبة أن تنتهي، ولكن رؤية حبيبة جعلته يريد وقته في هذه المرآة أن يطول أكثر.

01:17

لم يعد إلى كلوميرو مرة أخرى وإنما وجدَ نفسه في الجامعة من جديد، وجد نفسه أمامها، أمام حبيبة، يتذكر ذلك الوقت؛ فقد طلب منها لتوّه الخروج سويًّا للتحدث وقد كان ردها:

-ما الذي يجمع بيننا للتحدث فيه؟

-يجـ.. يجمع بيننا.. بالطبع يجمع بيننا مجال الدراسة.

-حسنًا فلنرَ نهاية لهذا الأمر ولكن لا تظن أنني مثل هؤلاء الفتيات اللائي يتهافتن عليك ويتساقطن حولك كالذباب.

-بالطبع لا، فأنتِ أميرة بل ملكة لستِ مثلهن.

جاء رده على كلامها سريعًا، هو نفسه لا يدري كيف نطق بهذا الكلام.. مما جعل وجهها يتضرج بحمرة الخجل مما زادها جمالًا على جمالها

لتزداد دقات قلبه داخل صدره كأنه يطلب من آدم الخروج ليستمتع برؤية هذا الوجه الملائكي، كان يسير بجوارها وهو لا يكاد يصدّق نفسه أنها قد وافقت على الخروج معه وأنها تسير معه جنبًا إلى جنب الآن، كاد يطير عاليًا من فرط سعادته، ظن أنه يحلم؛ فكان يختطف النظرات ليتأكد أنها ما زالت إلى جواره.. خرجا من الجامعة، لم يدعها إلى ركوب سيارته حتى لا تظن به السوء، فقرر أن يختار أحد الأماكن القريبة ليجلسا عليها ويتحدثا، اختار كافتريا قريبة نسبيًا من الجامعة، طوال طريقهما لم ينبس أحدهما ببنت شفة، كان يتمنى لو يملك القدرة على قراءة الأفكار ليدخل إلى رأسها ليعرف فيم تفكر..

وصلا إلى الكافتريا، كان للكافتريا بابٌ زجاجيٌّ شفَّافٌ، صعدا عدة درجات من السلالم فكان باستقبالهما شاب مهذب يرتدي يونيفورم خاص بالمكان، القميص عليه شعار الكافتريا، أشار لهما على مائدة بجوار النافذة التي تطل على الشارع، كان المكان هادئ نسبيًا كونهما لا يزالان في وسط النهار، موسيقى هادئة تصدر من مكان ما وهناك شاشتان يُعرض عليهما أحد الأفلام التي يعرفها لكنه لم يهتم بتذكُّره؛ فقد كان كل اهتمامه فيمن يسير بجواره، ذلك الملاك المسمى بحبيبة، جاء النادل ليعطيهما قائمة الطعام والمشروبات ليختارا منها ما يريدانه، فاختارت حبيبة أحد العصائر المرطبة واختار آدم مثلها وبعد أن طلبا ما يريدان وجاء به النادل، كان آدم طوال تلك الفترة يختلس النظرات إلى وجه حبيبة وعينيها، الآن عرف لم أسرته عيناها؛ فلعينيها ذلك اللون المائل إلى الرمادي، رفعت حبيبة رأسها إليه متسائلة فوجدته غارقًا في عينيها لتعتلي

وجهها حمرة الخجل لتزيدها جمالًا على جمالها فسألته لتداري خجلها بعد أن أخذت رشفة من مشروبها:

-هه.. ماذا تريد فيما يختص بالدراسة؟

-لا أريد شيئًا فأنا اتخذتها ذريعة للتحدث معك، أرجو ألا تغضبي من فعلي لهذا.

-حسنًا.. وماذا تريد أن تقول؟

قالتها حبيبة بشيء من الغضب البادي جليًّا على ملامحها.

-كل ما أريد قوله أنك قد أسرتني، وهذا كل ما أعرفه منذ أن وقعت عيناي عليكِ، لقد خطفتِ قلبي.

-يا لقساوتي!!

قالتها حبيبة بشيء من السخرية قبل أن تتبعها برشفة أخرى من مشروبها ثم تابعت قائلة:

-لقد أخبرتك أنني لست مثل أولئك الفتيات اللائي يتهافتن عليك ويتساقطن حولك كالذباب، أنا لي طريق واحد فقط وأظنك تعرفه.

-وأنا قد أخبرتك أنكِ لستِ مثلهن، وما هو ذلك الطريق الذي تريدين منّي أن أسلكه؟

-أن تأتى لخطبتى من والدى –هذا إن كنت لا تتلاعب بى- إن كنت صادق فيما تقول

أنهت جملتها وحملت حقيبتها وقامت مغادرة، لم يستوقفها آدم بل ظلَّ جالسًا مكانه بضع دقائق واجمًا، هو بالفعل صادق فيما يقوله لها، ولا يتلاعب بها، لكن هل هو على قدر تحمُّل مسئولية أن يكون ربّ أسرة؟ أن يكون عائلًا وهو من عاش طوال حياته معيلًا حتى بعد وفاة والده؟ كل هذا دار في ذهنه، لحظات ثم طلب الحساب ودفعه وترك بقشيشًا لا بأس به للنادل، ثم غادر الكافتيريا ليعود إلى حيث ترك سيارته ليقودها عائدًا إلى منزله.

01:34

استيقظ آدم في اليوم التالي وقد عقد عزمه على التحدث إلى حبيبة مرة أخرى علّها تعدل عن رأيها؛ فهو لا يرى في نفسه المؤهلات الكافية لتحمل مسؤليات المنزل، لكنه في نفس الوقت لا يستطيع الابتعاد عنها، قام من سريره نافضًا تلك الأفكار عن رأسه ثم دخل ليأخذ حمَّامًا ساخنا ليفيق من آثار النوم، انتهى آدم سريعًا وتناول شيئًا خفيفًا كإفطار ثم نزل سريعًا ليستقل سيارته وينطلق إلى الجامعة، دخل الجامعة ولم يغادر سيارته، ظلَّ ينتظر حبيبة ما يقرب من الساعة تقريبًا حتى وجدها تخرج من الداخل، يبدو أنها كانت في إحدى المحاضرات، ترجل من السيارة، اقترب منها، كانت تسير وسط صديقاتها لكنها بينهن كالشمس المضيئة لما حولها من الكواكب، فجمالها يغطي على جمالهن، عطرها جعلهن باهتات لا رائحة لهن، وقف على مسافة منهن حتى لا تلحظ صديقاتها أنه بانتظارها، حين رأته أدارت وجهها عنه وسارت من جوراه كأنها لم تره، هنا أُسقط في يد آدم وكاد يُجن وظلَّ متوقفًا مكانه قليلًا، لكنه

رآها تتوقف مع صديقاتها تخبرهن شيئًا ثم تركنها وتوقفت هي، لم يدرِ ماذا يفعل، ظلَّ منتظرًا مكانه حتى ابتعدت صديقاتها ثم وجدها تدور وتعود إلى حيث يقف، حينما رآها قادمة باتجاهه تهلل وجهه وبدت السعادة على وجهه، توقفت أمامه متجهمة الوجه، لم يدرِ كيف يبدأ حديثه معها فبادرته هي قائلة:

-هل فكرت فيما قلت لك بالأمس؟

-ألا يمكننا أن نظلّ مع بعضنا البعض لفترة قبل اتخاذ هذه الخطوة؟

-آسفة، لقد أخبرتك من قبل، هو طريق واحد إما أن تسلكه ونظل سوية أو تنساني للأبد.

-لا أستطيع يا حبيبة صدقيني..

-إذًا فقد اخترت أن تنساني للأبد إلى اللقاء.

قالتها حبيبة ثم استدارت تاركة إياه كمن تلقى صفعة قوية على وجهه، حاول إيقافها لكنها كانت أسرع منه، ناداها لكنها لم تلتفت إليه حتى.

01:44

-حبيبة تريدنى أن أذهب لخطبتها

كانت هذه الجملة هي بداية الحوار مع صديق عمره منذ الطفولة، الصديق الوحيد الذي يعرف كل أسرار آدم، على الرغم من الاختلاف الواضح للعيان بينهما، والتناقض في شخصاتهما إلا أن هناك صداقة قوية تجمع بينه وبين مصطفى، رفيق دربه الذي يلجأ له حينما تلوح له مشكلة يلجأ له، فهو الوحيد الذي يفهم ما يفكر فيه ويقول له الحل المناسب، لكن أهم شيء بالنسبة له كما يقول دائمًا لآدم"أعطيك القرار بعد الإعمار" ويقصد بها أن القرار الذي يعطيه لآدم بعد أن يتعاطى بعض المخدرات أو "المكيفات" كما يطلق عليها مصطفى هو القرار الصائب.

-فلتخطبها

-ماذا تقول؟ يبدو أنك ما زلت محتفظًا بوعيك.

-ألا تحبها؟

-لا أدري.. ولكني أميل لها.

-إذًا فلتتركها تذهب.

-لا طائل من الحديث معك اليوم.

قالها آدم بعصبية ثم قام مغادرًا، لم يوقفه مصطفى لسببين، الأول أنه كان يحشو سيجارة والسبب الآخر أنه اعتاد من آدم على مثل هذه التقلبات، فيتركه ليهدأ ثم يعود بنفسه مرة أخرى.

01:47

-لِم التردد؟؟ لم لم تطع قلبك؟

مرة أخرى ذلك الصوت الصادر من اللامكان يتردد بقوة داخل عقله فيصرخ آدم:

-لا شأن لك..

-لم لم تواجه مخاوفك؟ هل لأنك تعلم كم أنت مدلل لا يتحمل المسؤولية؟

-فلتخرج من رأسي أيها اللعين.

-لقد كانت تنتظر منك الكلمة.. هل تعرف ماذا حدث لها بعد ذلك؟ أتريد أن تعرف؟

-لا أريد شيئًا.

-لم يأتِ الوقت بعد لتعرف، حينما يجيء وقت المعرفة ستندم حين لا ينفع الندم.

-لم أندم في حياتي قبلًا.

-كاذب، ألا ترى علامات الندم بادية عليك؟ ألا ترى قلبك كيف نهشه الألم لما أضعتها بعندك وتكبُّرك

قابله آدم بالصمت التام؛ فهو بالفعل كانت في يده هذه الجوهرة وأضاعها.

-لا شيء هنا يسير بعشوائية، قوانين الوقت صارمة، وعقارب الساعة هي الحكم وهي من سيبت في أمرك.

obeikandl.com

شعر بآلام رهيبة في معصم يده فأمسكه باليد الأخرى وضغط عليها بقوة ليخفف من الألم، ثم نظر إلى الساعة التي تزين يده.

01:51

اختفت الآلام من يده واختفت معها المعالم من حوله ليتبدل المشهد سريعًا ليجد نفسه في الجامعة مرة أخرى يقف مرتكنًا على سيارته، حتى ظهرت حبيبة وحدها هذه المرة، وحينما رأته أدارت وجهها وسارت مبتعدة فركض حتى وصل إليها ثم قال لها متوسلًا:

-حبيبة أرجوكِ.. أريد التحدث معكِ قليلًا..

-ماذا تريد؟ لقد انتهى الكلام بيننا.

-لا لم ينته.. فأنا مازلت..

توقفت حبيبة ثم التفتت إليه متسائلة بعدما صمت بعد جملته الأخيرة:

-ما زلت ماذا؟

-أحبك يا حبيبة.. نعم، أحبك.

-الحب له نهاية واحدة فقط.. الزواج، هل يمكنك؟

-لم لا تفهمين؟ أنا لا أستطيع

-لا تستطيع ماذا؟ هل بك مرض ما؟

-بالطبع لا..

قالها آدم بعصبية وكأنها قد مست جزءًا من كرامته بهذا السؤال، هل أخطأ بالتوسل إليها؟ هل أخطأ بحبه لها؟ هل أخطأ بإظهار ضعفه لها؟ وهو الذي تهافت عليه الفتيات، هو الذي تتمنى أي فتاة نظرة منه أو إلقاء تحية فقط، هو آدم الدنجوان تسقطه هذه الفتاة في حبائلها ولا يستطيع الفرار كما تسقط السمكة في شبكة الصياد، تقف أمامه وتملي شروطها عليه، تبًّا لقلبه الضعيف، لا ليس ضعيفًا وسيتغلب على تلك المشكلة، من لا تأتيه راغمة فلتذهب إلى الجحر. لا ولكنها حبيبة، كيف لهذا الجمال أن يكون طوع يده..

صراع شديد دار بين عقله وقلبه انتهى بانتصار عقله الذي اعتاد أن تأتيه الفتيات يركعن لينلن منه نظرة حانية أو يجلسن بجواره في السيارة، وأتت حبيبة لتهز ثقته بنفسه وتجعلها كنملة في مهبّ الريح تتلاعب بها ولا تملك من أمرها شيئًا، نظرة طويلة دامت بينهما انتهت بأن استدار كلاهما في الوقت ذاته ليرحل كل منهما باتجاه مختلف، عاد هو إلى سيارته، أما حبيبة فقد ذهبت إلى حيث تقبع مملكتها، وقد كان هذا هو الوداع؛ فهو لم يرَ حبيبة من بعدها وقد اختفت تمامًا من حياته ومن الجامعة كلها، رحلت تاركة خلفها بقايا رجل، حبيب يحاول أن يجمع شتات نفسه، وينتشل نفسه من بين أنياب آلام ما بعد الفراق.

01:59

كم هي مؤلمة تلك الذكريات التي تذكِّره بحبه القديم، المرة الوحيدة التي دقَّ بها قلبه لإحداهن، حينما بدأت العودة إلى كلوميرو مرة أخرى، كان آدم مستسلمًا أيما استسلام وكأن ما يحدث لا يعنيه بشيء، يبدو أن محدّثه قد شعرَ به فظلَّ صامتًا بعض الوقت، صمت تام خيَّم على المكان وإن بدأ السواد يغزو المرآة ويُكتب على المرآة بخط كبير ذلك الوقت 01:59.. بدأ الصوت حديثه مرة أخرى ولكن بصوت رخيم هادئ به بعض العتاب واللوم قائلًا لآدم الذي ظلَّ على حاله متجاهلًا الألم النابع من صدره ويتمنى أن يقضي عليه لتنتهي هذه اللعبة من الآلام والذكريات المؤلمة.

-لقد كانت تحبك بصدق، كانت تريد الزواج بك فعلًا.

-كيف تعلم؟ إنها حتى لم تتردد في الابتعاد.

-هل ما زلت تلومها؟ أنت تعلم أنك المخطئ هنا.

-وما الخطأ الذي ارتكبته؟ لقد أحببتها وهي لم تقدر ذلك.

-ما زلت تكابر ولا تريد الاعتراف بخطأك.

-هل كان لابد أن أقيّد نفسي إليها وأنا ما زلت شابًا في ريعان شبابي؟

-ألا تعلم أن عقارب الساعة تدور خاطفة منك عمرك؟

-لكني ما زلتُ شابًا.. وأنا...

-أنت ماذا؟ كم عمرك؟

كم عمره؟ حقًا لا يتذكر، كيف لا يتذكر سنّه؟ هو يذكر تاريخ ميلاده جيدًا، ولكنه لا يذكر في أي عام هو؟ ماذا حدث له؟

-الأعمار ليست بالأعوام كما تظن، بل هي بما تحققه في حياتك من إنجازات، أتدري لم سميت عقارب الساعة بهذا الإسم؟

-لم؟

-لأنها بارعة حقًا في أن تلدغ الوقت فيموت سريعًا، وبطبيعة الحال الميت لا يعود مرة أخرى، عقربان هما أحدهما يجري مسرعًا، لكن لدغته صغيرة، أما الآخر فهو يمشي متمهلًا كقاضي الموت الذي يقترب من ضحيته بكل بطءٍ وتؤدة، لكن اللدغة منه تلتهم جزءًا كبيرًا من عمرك، عقربان يتعاقبان بتعاقب الليل والنهار، عقربان يتجددان كل صباح جديد، عقربان استسلمت لهما فتركتهما يعيثان فيك فسادًا، أتعلم أنك لو رأيت جسدك الآن كما أراه لأشفقت على نفسك! لقد أصبحت بقايا إنسان لا تصلح للحياة، بل أنت إلى الموت أقرب.

-فلتصمت عليك اللعنة.

-يبدو أنك لم تتعلم شيئًا، إذًا فالوقت الآن للذهاب إلى المرحلة الثالثة من اللعبة.

-أيها اللـ...

لم يستطع أن يكمل السُبّة لأن جسده كان يواجه المرآة التي تحمل دائرتها الرقم "2"، ومرة أخرى يتشكل الرقم 02:00 عند انعكاس قلبه ويبدأ جسده الاقتراب منها، قبل أن يشعر بجسده يغوص داخل المرآة.

obeikandl.com

02:00

حينما فتح عينيه، كان ما ينتظره مفاجأة من العيار الثقيل، فما يراه الآن لهو من أسوأ المراحل التي مرَّ بها في حياته إن لم يكن أسوأها على الإطلاق، مرحلة كان لها دور كبير في تحويل شخصيته من سيء إلى أسوأ نظرًا لما لاقاه فيها من معاناة وما مرَّ به من آلام.. قبل أن يتعمق آدم في هذه المرحلة وقبل أن يعود الصوت، ذلك الرفيق الوحيد معه في رحلة عذابه تلك، بدأ آدم يستعرض ما أدركه من حقائق لاحظها طوال المرحلتين السابقتين –كما أطلق عليهما ذلك الصوت- وكانت كالتالي:

1 - الحدث الذي كان آدم حاضرًا فيه يكون موجودًا فيه بجسده، ولكنه مُسّير فيه، كما كان يفعل في الماضي، ولا يملك القدرة على التحكم في جسده في تلك الأثناء.

2 - الحدث الذي يراه آدم ولم يكن موجودًا فيه سابقًا فإنه يراه فقط ولكن لا أحد يلاحظ وجوده كما لو كان سرابًا.

3 - هناك فترة ما لكي ينتقل بين حدث وآخر ينتقل فيها إلى نقطة متعادلة يتساوى فيها الوقت وقد لاحظ هذا من تغيُّر سرعة ساعة يده.

4 - لكي ينتقل بين المراحل لا بد وأن يعود إلى كلوميرو.

هذا كل ما تذكره آدم واستطاع ملاحظته حتى الآن قبل أن تأتي في رأسه فكرة لم يفكر بها قبلًا، لم لا يحاول التغيير في أحداث الماضي التي يكون موجودًا فيها بجسده؟

-لن تستطيع أن تفعل، لا تنسَ القواعد.

-تبًا لك، أتقرأ أفكاري؟

-أنا لا أقرأ شيئًا، أنت الذي تفكر بصوتٍ عالٍ.

-أنا لم أنطق بكلمة، فكيف يكون صوتي عاليًا؟

-أخبرتُك قبلًا، ستفهم حين يجب أن تفهم، والآن سأذكرك بتلك القاعدة التي نسيتها "ستكون كشاهد لما يحدث، لا تستطيع التدخل فيه أو تغييره".

-أيعني أنني لا أستطيع أن أغيّر شيئًا فيما فعلت؟

-أتعترف بأنك قد أخطأت بأفعالك الماضية؟

-كلا، ليست أخطاء.

-ما زلت تكابر حتى وأنت بهذا الوضع، والآن يبدو أنك قد أدركت في أي مرحلة من حياتك نحن الآن! وتدرك كم المعاناة التي عانيتها بتلك الفترة العصيبة.

نعم، هو بالفعل يعلم، وباليته ما فعل، المكان الذي وُجِدَ به، والزمان الذي يتواجد فيه الآن هما مرحلة حاول أن يُسقطها من ذاكرته، أن ينساها أو يتناساها، ولكن ها هو يعود إليها مُرغمًا..

كان آدم يجلس مع مصطفى في منزل الأخير الذي يعيش به وحيدًا، شقة مكونة من غرفتين صغيرتين إلى حد ما، تحتوي كل منهما على سرير صغير، ينام آدم مستقلًا بغرفة وحده، أما مصطفى فكان أحيانًا يبيت معه أحد أصدقائه وبها مطبخ وحمَّام صغيران وصالة فسيحة وهي حيث يجلسون الآن مشكِّلين دائرة صغيرة، تحتوى الصالة على شباك يطل على الشارع وشرفة بطول الصالة حيث يجلسون، مجموعة من الشباب متبايني الأعمار والأشكال، يجمع بينهم شيء واحد فقط، مرَّ آدم على أوجه من يجلسون معه الذين لا يعرف فيهم غير مصطفى صديقه.. كان الأول في العقد الثالث من العمر تبدو عليه أمارات الترف واضحة من ساعة يده المرصعة باللآلئ وخاتمه الذهبي اللامع والسلسلة الكبيرة المصنوعة من الذهب الخالص، على الرغم من المستوى المعيشي الذي يعيش به آدم، إلا أنه كان -طوال عمره- يكره أن يرى الذهب مع الرجال فهو مخصص للنساء فقط..

الثاني كان يبدو في أوائل العشرينات ويبدو من العلامة الغائرة في وجهه أن له باعًا في الشوارع وصراعاتها وله صولات وجولات في المشاجرات بالأسلحة البيضاء التي خطت في وجهه علامة تدل على ذلك، ولذلك فهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في تلك الجلسة على الرغم من

أنهم أكبر منه سنًا، كان قد سمع مصطفى يناديه مرة او اثنتين باسم "مندوه" لا يدري هل هذا اسم أم صفة! هو لم يهتم لذلك بكل حال

الثالث يبدو صغير السن بالنسبة لهم جميعًا، كانت تلك أول مرة يراه بها آدم، شاب صغير يبدو أنه بلغ الثامنة عشرة أو تخطاها بقليل، جسمه مليء بالشحوم الزائدة، وجهه كذلك، يأكل بشراهة لا مثيل لها كل المقرمشات والمقبلات التي توضع أمامه..

من ينظر إلى هذه الغرفة من الأعلى "نظرة عيون الطائر" فلن يرى أحدًا من الجلوس ولا من أثاث الصالة القليل، ففوق رؤوسهم سحابة بل هي غيمة كبيرة من الدخان، تمنعهم من رؤية ما فوقهم، هؤلاء الخمسة أشخاص تجمع بينهم جلسة الحشيش الذي يدخّنه الأربعة –غير آدم- بشراهة غير عادية، أما آدم فكان يدخن سيجارة من الوقت للآخر، لم يكن مدمنًا له ولكنه كان يدخنه في المناسبات فقط ويالها من مناسبة اليوم توجب معها تدخين سيجارة حشيش؛ فاليوم تركته حبيبة أو تركها، دارت السيجارة في الدائرة ومعها دارت رأس آدم وبدأ يسيطر عليه ذلك الخدر الذي يصاحب الدخان وتأثير الحشيش وتخديره لخلايا المخ، كان الصمت الرهيب يخيم على المكان، كل منهم يسحب نفسين من السيجارة ثم يمررها للذي يليه، حينما هبَّ فجأة ذلك الشاب المسمى بمندوه، يبدو عليه أنه لم يتأثر بالدخان، ثم قال لهم بكل توتر في الدنيا:

-فلتخفوا هذه الأشياء سريعًا.

-ماذا حدث؟

كان ذلك السؤال من مصطفى الذي كان ينظر إليه ببلاهة ولا يدري ماذا يحدث ولا سبب توتره أو قيامه المفاجئ.

-إنى أسمع سارينة الشرطة، صمتًا، لقد توقفت.

انطلق مندوه يعدو إلى حيث الشباك وفتح فرجة صغيرة ونظر منها وعندها لاحظ الجميع تغيَّر لون وجهه حينما التفت إليهم كان لون وجهه قد استحال صفرة بالفعل وكأن الدماء قد سُحِبَت منه وقال لهم بلهجة الآمر:

-اخفوا هذه الأشياء سريعًا قبل أن يصعدوا إلى هنا.

توقفت سيارات الشرطة ومعها توقفت السارينة وبدأ وقع الأقدام داخل العمارة يسمعه الجميع، سأله أكبرهم سنًا:

-كيف عرفت أنهم سيأتون إلى هنا؟

-تستطيع أن تقول إنه حدس أو خبرة السنين، أما زلتم تجلسون؟ فلتتحركوا من أماكنكم هيًا.

قالها ثم توجه إليهم ليجمع ما تبقى من الحشيش ووضعه بجيبه، كان ذلك حينما بدأ الجميع ينهضون من أماكنهم، يقومون ويسقطون، غير متزنين جميعًا، وقع الأقدام يقترب أكثر، يحاول الجميع ضبط اتزانهم ليستطيعوا الهرب من هذا الموقف، قال الشاب الصغير بعصبية ظاهرة:

-لم لا نهرب من على السلم؟

-هل أنت مجنون؟ لا بد أنهم يسدون المدخل.. وسيصعدون إلى السطح.

-إذًا كيف سنهرب؟

-سنقفز من شرفة المطبخ

قال آدم بتعجب وقد بدأ تأثير الدخان يذهب من عقله بسبب ارتفاع الأدرينالين وهو في الأصل لم يدخن كثيرا، فلم يغب عقله.

-نقفز؟ يبدو أنك أنت من جُنّ.

دقات قوية على باب الشقة، جعلت الجميع ينطلق عدوًا إلى المطبخ، كان أولهم وصولًا هو آدم الذي فتح الشرفة ونظر إلى الأسفل، كانت الشقة بالدور الثاني وهو ليس بالارتفاع العالي، تزداد الدقات على باب الشقة عنفًا، شرفة المطبخ صغيرة لا تتسع لشخصين، الباب يقف عليه آدم يسده وهو يحاول أن يتغلب على خوفه ويفيق مما هو فيه من دوار وصداع بدأ يكتنف رأسه، فنهره مندوه قائلًا:

-فلتقفز أو لتدع غيرك يفعلها.

-لا أستطيع.

-لا خيار أمامك، اقفز.

-لا أستطيع

هنا أقدم مندوه على أغرب رد فعل قد يفعله في مثل هذا الموقف.

02:21

أخرج مندوه من جانبه مطواة وفتحها ثم وضعها على جانب آدم قائلًا بتهديد لا مزاح فيه ولا هوادة:

-فلتقفز أو لأقتلنّك.

-صدقني، أريد ذلك ولكني لا أستطيع.

بدأ يضغط بالمطواة على جانب آدم، الذي بدأ يشعر بخيط صغيرٍ من الدم ينساب على جانبه، هنا توقفت الدقات على باب الشقة.. هل ذهبوا؟ فكر الجميع بهذا إلا أن دفعة قوية على الباب جعلت الجميع يتأكد من سوء ظنهم وعدم صدقه.

-والآن فلتقفز فقد نفد صبري.

هنا لم يدرِ آدم بنفسه إلا وهو يلقي بنفسه من الشرفة محاولًا النزول على قدميه مما سبَّب له آلامًا رهيبة في كاحله وركبتيه نتيجة اصطدامهما بالأرض عند نزوله، تبعه مندوه، ثم مصطفى، عندما هبط آدم على الأرض لم يستطع التحرك أو الوقوف على عكس مندوه الذي بمجرد ملامسة قدميه الأرض أطلق ساقيه للريح ولم يره بعدها، أما بداخل الشقة؛ فبعد دفعة أخرى على الباب انخلع من حلقه وانطلق الجميع إلى المطبخ حيث الجلبة ليجدوا الشاب السمين يسد الباب بجسده، فلا هو يعبر ولا يترك الشاب الآخر يقفز لينجو بنفسه، فتم القبض عليهما..

مصطفى قام مترنحًا محاولا موازنة جسده، ثم قال لآدم:

-هيَّا بنا لنهرب.

-لا أستطيع، يبدو أنني كسرت ساقي.

انطلق إليه مصطفى وجره جرًا إلى سيارة هذا الأخير الذي يتركها دومًا خلف المنزل ليبعدها عن أطفال الشارع الذين لا يتركون سيارة على حالها.. حينما استقرا بداخل السيارة، نظر إلى الأعلى حيث شقته، فوجد ضابطًا ينظر إلى الشارع يبحث عن هاربين آخرين فزفر مصطفى براحة لأن ذلك الشاب البدين قد عطلهم قليلًا حتى أويا إلى السيارة، خيَّم الصمت على المكان لا يقطعه سوى صرخات قليلة من آدم حينما يتألم من ساقه، ظلا على هذا الوضع حتى بدأ مصطفى يفيق ويدرك أنه في السيارة وأن صديقه مصاب، يبدو أن ما كان يحركه منذ قليل هو غريزة البقاء لا أكثر، ناما قليلًا في السيارة فقيادة السيارة وهما بهذا الوضع كانت ستتسبب في مصيبة أخرى قد لا يعودان منها حيين.

02:26

أفاق آدم على صوت يحدثه، هو يعرف ذلك الصوت، ولكن لشدة الألم لم يحاول تذكر من صاحبه.

-أتذكر آلام قدمك ذلك اليوم؟

-أي يوم؟ من أنت؟

بدأت الغمامة التي تغطي عقله بالابتعاد، وأخذ يتذكر أين هو ومن محدّثه.. تعجب كيف طغت آلامه على ذاكرته فلم يذكر صاحب الصوت الذي يصحبه وتلك الرحلة من العذاب المقيم.

-لا أذكرها، بل أسوأ فأنا أشعر بها..

-هذا صحيح لأنك تعيش الحدث مرة أخرى، أتذكر ما حدث بعد ذلك وكيف كان تأثيره عليك؟

-نعم أتذكر كل شيء.. فلِمَ إذًا لا ترحمني من ذلك العذاب وتتركني أرحل.

-هذا لأن اللعبة لم تنتهِ.. لا بد من إكمال كافة مراحلها حتى ترى النهاية بعينيك.

-أية نهاية؟ ارحمني من هذه الآلام.

-ولم لم ترحم أنت الناس من آلامهم التي سببتها لهم بطيشك؟!!!

صمت آدم وبدأ يتذكر كل من عانى بسببه سواءً بقصد منه أو بدون قصد وترك الصوت له العنان في استرجاع الذكريات، أغمض آدم عينيه واسترسل في سيل الذكريات، كان ذلك حينما استيقظ مصطفى ورأى دمعة تسيل من عيني آدم وهو مغمض العينين بجواره، فقال له بصوت معتذر نادم، معتقدًا أن آدم يبكي من الآلام التي يشعر بها.

-آسف يا صديقي.. لقد خفت أن أقود السيارة ليلًا حتى لا أصيبك بمزيد من السوء.

لم يرد آدم، بل ترك صديقه يقود السيارة إلى المشفى حيث يجد العناية الطبية اللازمة، وشخَّص الأطباء حالته ببعض الكدمات الشديدة التي استوجب معها حجزه بالمستشفى، تركه مصطفى وذهب، وظلَّ آدم وحده جليس الفراش طوال اليوم يسترجع ذكرياته مع حبيبة ومع والده، هل ظلمهما حقًا؟ هل تألما بسببه إلى هذا الحد الذي يستوجب معه العقاب؟ ثم من هذا الذي يقوم بعقابه ومحاسبته على ما فعل؟ بدأ يعود بذاكرته إلى ما قبل تواجده في كلوميرو تلك ليتذكر كيف دخل إليها.. آخر ما يذكره أنه كان في مكانٍ ما به العديد من الرجال والنساء يتشحون بالسواد.. هل هي ذكرى وفاة والده؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ بل أين كان؟ أخذ يضرب رأسه بيديه عله يُنشّط ذاكرته، كانت هناك ومضات تأتي سراعًا إلى عقله، لقد كان في...

حينما دخل عليه مصطفى في أسوأ وقت ممكن، وبالطبع لم يدخل مصطفى بهدوء، بل - وكأنما يقصد- دخل مصطحبًا معه جلبة لا بأس بها ليقطع بها حبل أفكاره وتذهب تلك الومضات التي كانت قد بدأت تذكِّره بمكانه، قال له مصطفى:

-إيهٍ يا بطل!! كيف حالك؟

-لا جديد.. ما أخبار الذين كانوا معنا بالأمس؟

-منذوه هرب ولم ولن يظهر لفترة لا بأس بها، وتم القبض على الآخرين.

-حقًا؟ يا للأسف!!

قالها آدم بحزن بادٍ عليه بصدق، مما جعل مصطفى يتعجب قائلًا:

-حقًّا ويا للأسف؟؟ ماذا حدث لك يا آدم؟ يبدو أن القفزة قد أثرت عليك.

-لم؟

-لا تشغل بالك بمثل هذه التفاهات.. لقد أتيت لك بصنف جديد، أتى خصيصا من الصعيد.

قالها مصطفى وهو يخرج شيئًا ما ملفوفًا في ورقة من السلوفان ويفتحها ليظهر إصبعًا من الحشيش ليمررها مصطفى على أنفه ويعود برأسه للخلف علامة الانتشاء والسعادة ليقول لآدم غامزًا بعينه:

-هذا ما سينسيك كل آلامك وأوجاعك.

-هل جننت؟ نحن في المستشفى والرائحة نفَّاذة.. هل تريد أن يُقبَض علينا؟ هذه المرة لن نستطيع الهرب.

-اهدأ يا صديقي، كل شيء تحت السيطرة التامة.

-كيف ذلك؟

-بالنسبة للرائحة فسنفتح الشرفة ليخرج الدخان، وإن تم شم الرائحة فقد أعطيت للنوبتجي مبلغًا لا بأس به فلن يدخل أحد الغرفة حتى لو احترقت ونحن بداخلها.

كان مصطفى يتحدث ويده منهمكة في العمل بسرعة في لف سيجارة له وأخرى لآدم، انتهى وأعطى لآدم سيجارة فأخذها مترددًا، ظلَّ ممسكًا بسيجارته دون أن يشعلها ولم يطلب من مصطفى أن يفعل له ذلك،

أما مصطفى كان في عالم آخر مع سيجارته ولم يدرِ بآدم ولا بالمستشفى ولا بأي شيء، فقط هو وسيجارته ودخانها، فقط انتبه على صوت آدم صارخًا وهو يلقي بالسيجارة:

-كفى.. يكفي هذا، لا مزيد من التدخين.

-ماذا بك؟ هل جُننت لتلقي بهذه النعمة على الأرض؟

ثم انحنى مصطفى ليلتقط السيجارة التي ألقاها آدم وهو يقبّلها كأنه وجد قطعة خبز ملقاة على الأرض، لا سيجارة حشيش تسبب كمًّا لا بأس به من الأمراض والسرطانات وقال لآدم موبخًا:

-لقد عانيت حتى أتيت بهذا الصنف، وقد كلفني مبلغًا كبيرا ومخاطر كثيرة ليمر من كمائن الشرطة على الطريق.

-لا مزيد من التدخين، يكفي ما أنا فيه بسببه.

-وإن يكن.. فلا تلقِ بهذه النعمة.

02:35

شعر آدم مرة أخرى بآلام معصمه وتلك الدوامة التي تجذبه ليتحدث معه ذلك الصوت ويقفز به قفزة زمنية طالت أو قصرت فهو المتحكم، والزمن هو العملة في تلك اللعبة - كما أسماها ذلك الصوت- وهو لا يملك شيئًا ليبادله إياه؛ فهو لا يملك وقته الآن.. فقط لو يعرف أين هو!! فقط لو يعرف ما يحدث حقًا.. لكن هذا كله لم يمنعه من الاستسلام لتلك النقلة، ربما لشعوره بالضعف وعدم التحكم كما كان يشعر من قبل فقد كان هو المتحكم وهو من

يتملك زمام الأمور، كانت أحلامه أوامر لمن هم حوله، لم يكن يهتم بوقت فقد كان هناك الكثير منه؛ فكان ينفق منه بلا حساب أو مراجعة من أحدهم.. أما هنا والآن فكل ثانية تمرّ بحساب دقيق، ولها معنى وهدف أسمى، ربما لا يعرف هو ما هذا الهدف، ولكن يكفي أن محدثه يعرف هذا ويدركه جيدًا.. أخيرًا انتهى الانتقال ليجد نفسه يقف أمام سيارته، هو يعرف جيدًا إلى أين يتجه!! فدخل السيارة وأدار محركها وانطلق...

في الجامعة وقف آدم يحاول ألا يبدو عليه الاهتمام، ولكن الشوق في عينيه كان يفضحه، حين شعر بأن هناك العديد من العيون تنظر إليه، ربما لطول وقوفه، دخل إلى سيارته وظلَّ بداخلها وإن ظلت عيناه تبحثان بلهفة وسط تجمعات البنات ويبحث عنها بين من يدخل ومن يخرج، إنه لشيء عجيب حقًا فحبيبة لم يكن من عادتها التأخُّر أو عدم الحضور، ترجَّل من سيارته مرة أخرى وانطلق إلى داخل الكلية يبحث عنها كالمجنون، حتى عثر أخيرًا على صديقاتها اللائي كُنّ يصاحبنها دائمًا، حتى إذا رأته إحداهن مقبلًا حتى تبسمت في وجهه -فمن تلك التي لا تعرف آدم الدنجوان- ليحاول الابتسام لها، تظاهر بكونه طبيعيًّا ولكن تهدُّج صوته أثناء سؤاله عن حبيبة خذله لتهبط عليه المفاجأة التي قالتها كالصاعقة؛ فقد أخبرته أن حبيبة قد حولت من الجامعة منذ يومين، إذًا فقد كان وداعًا حقًا.. أخذ يسألها عن أين يمكن أن يجدها، لكنها لم تفده بشيء.. شكرها آدم -بغير صدق- وعاد إلى سيارته وانطلق عائدًا، وحين دخلها واستقر في مقعده، سمع ذلك الصوت مرة أخرى:

-هل حسبت حقًا أنها قد تنتظرك أو تعود إليك؟

-لا أدري حقًا، لا أعلم شيئًا.

-هل تفتقدها؟

-كثيرًا، لقد أضعتها وهي بين يدي.

-هل ما زلت تحبها؟

-.....

لم يجاوبه آدم سوى بالصمت التام، وهل من يدق قلبه أمام حبيبة من السهل أن ينساها!!!

قضى آدم أيامًا وليالي يحاول الوصول إليها، لكنها قطعت كل السبل إليها بالفعل، لم يعد آدم يهتم لدراسته، حتى امتحانات ذلك العام لم يدخلها ليرسب هذه السنة ليكون أول رسوب في حياته منذ طفولته، لم يكن من عادة آدم الاستسلام، إلا أنه هذه المرة كان قد وصل به الإحباط لمرحلة كان الاستسلام ترفًا لما يشعر به من تمزق في قلبه، استقر آدم بعدها مع أمه في شقتهما بعد كل ما مرَّ به من أحداث وتقلبات لم يعتد عليها في حياته من قبل - هو الذي اعتاد حياة الترف- قبل وفاة والده، لذلك كانت زيارة عمه هذه المرة نقطة تحوُّل وانتقال في حياة آدم العلمية والعملية معًا..

بعد وفاة والده، وبسبب بعض المشكلات القانونية على مجموعات الشركات التي كان يملكها بسبب تلك القضية التي تم القبض عليه

obeikandl.com

فيها قبيل وفاته بأيام، قررت والدة آدم أن تترك أخو زوجها يدير هذه الشركات التي لم يكن آدم متفرغًا لإدارتها - إن استطاع – فقد كان يتعلل دائمًا بدراسته وأنه غير متفرّغ ومشغول دائمًا، كان عمه يُلحّ عليه دائمًا أن هذا ماله ومال والدته وعليه أن يرعاه بنفسه؛ فكان آدم يرد عليه بأنه لا يفقه شيئًا في أمور التجارة ولا الاستيراد ولا التصدير وهو غير مهتم بالمجال، كما أن مجال دراسته بكلية الصيدلة لن يفيده كثيرًا في تملك زمام الأمور أمام كل تلك الأرقام والإحصاءات ليخبره عمه بأنه سيتعلم خلال عمله، لكنه كان دائمًا يتهرب منه بحجج واهية، لكن هذه المرة لاقى كلام عمه صدىً في رأسه.. لِم لا يفكر في الأمر؟ هو لن يخسر شيئًا مثلما خسر منذ أيام قلائل.

02:47

بالفعل بدأ آدم في الذهاب مع عمه إلى مقر الشركة ليتعرف على الأجواء فقط كما وعده عمه؛ فهو لن يبدأ في العمل مباشرة بل سينتظر حتى يتأقلم مع الحياة الجديدة، قضى آدم يومه الأول يدور بين أقسام الشركة ليتعرف على مديري الأقسام، امتلأ رأسه بالعديد من الأسماء والأشكال التي لم يحفظ نصفها على الأقل، حتى مرَّ بذلك الشخص الذي ما إن فتح فمه ليعرِّفه بنفسه، ومدَّ يده ليسلم عليه حتى شعر آدم بشعور غريب –ديجا فو- كأنه رأى هذا الشخص قبلًا أو على الأقل سمع صوته، هذا الشخص الوحيد الذي لم ينسه آدم ولم يسقط من عقله كما سقط بقية الأشخاص

الذين تعرف عليهم، وبعدها كان آدم يسير شاردًا يفكر في صوت ذلك الرجل الذي شعر وكأنه شخص أو صوت مألوف إليه، كان هذا الشخص هو خالد الدهشان مسؤول الحسابات في شركة والده، حاول آدم كثيرًا أن يتذكر ذلك الرجل، ربما رآه عندما كان يزور والده في الشركة؟ لا يعتقد هذا، لا بأس فهو سيتذكر بكل حال.

خالد رجل تجاوز الأربعين بأعوام قلائل، له أصول صعيدية وهذا يفسر بشرته السمراء وصوته القوي، فخالد كان لصوته في الأماكن المغلقة رهبة ما، كان خالد لا يقارن به أحد حين يتعلق الأمر بالحسابات؛ فرأسه تجرى العديد من العمليات الحسابية في آنٍ واحدٍ، وكل مشكلة تمر به يحوّلها إلى عملية حسابية ليحللها بسهولة، لذلك تمسك به والد آدم وكان يعطيه راتبًا عاليًا مقارنة بوظيفته والعديد من المنح والمكافآت حتى لا يفكر مجرد التفكير بالذهاب لشركة أخرى وأن يعطي لعمله المزيد والمزيد وهذا ما كان يفعله خالد ليثبت للجميع أنه يستحق هذا الراتب عن جدارة...

عاد آدم للمنزل حيث يسكن مع والدته التي كانت تنتظره على الرغم من تأخُّر الوقت، أعدت له طعام العشاء ووضعته أمامه وجلست تتكلم معه قليلًا، فكان يرد عليها باقتضاب وعقله ما زال مشغولًا بذلك الخالد الذي قابله اليوم، انتهى من طعامه ثم خلد إلى غرفته ليخلو بنفسه..

جلس آدم يفكر.. هو قد رسب في كلية الصيدلة بأول عام له، وهو الآن مدير لشركات والده تحت إشراف عمه، ولا يفقه شيئًا في إدارة الشركة.. إذًا فالحل المتاح أمامه الآن هو الانتقال من الكلية إلى كلية أخرى تتناسب مع متطلبات العمل الذي سيكون مسؤولًا فيه ومنه..

على الرغم من إعتراض والدته على قراره ذاك، ولكن من قال أن آدم يهتم باعتراضات كائنًا من كان.. بدأ آدم بالفعل في إجراءات النقل من كلية الصيدلة إلى كلية التجارة حيث سيكتسب المعلومات اللازمة التي ستفيده بمجال عمله وقرر التخصص في مجال إدارة الأعمال..

اندمج آدم في العمل، وبدأ يكتسب بعض الخبرات ونسى تمامًا أمر خالد إلى أن..

-هل تعتقد أنك أصبت في قرارك ذاك؟

لقد عاد الصوت يحدّثه مرة أخرى، ولكن مهلًا مهلًا، الآن فقط استطاع ربط الخيوط ببعضها البعض

-إذًا فهو أنت؟

-أنا ماذا؟

-أنت خالد الدهشان!!!! لِم تفعل هذا؟

-ولم أنت بهذه الدرجة من الثقة؟ أليس من الممكن أن تكون مخطئًا؟

-كلا.. هو أنت، الصوت هو ذات الصوت.. لِم تفعل هذا بي؟ وكيف تعلم كل هذا عنّي؟

-ستعلم حين يجب أن تعلم، والآن أتعتقد أن قرارك كان صائبًا؟

-لا أدري، ولكنه بدا كذلك وقتها، هل أساء إليك والدي في شيء حتى تفعل بي هذا؟ هل أسأت أنا إليك؟

-هنا، أنا فقط من يلقي الأسئلة.

حينما فتح آدم فمه ليتحدث، شعر بآلام معصمه تعود بقوة ليسقط أرضًا ممسكًا بمعصمه وهو يصرخ بقوة، صرخات شخص يعذَّب في أعماق الجحيم، صرخات يشيب لها الولدان، صرخات شخص يُلدَغ من آلاف العقارب والحيات في آنٍ واحدٍ، لقد كانت الآلام هذه المرة لا تُحتمَل، أيعاقبه لأنه عرف حقيقته؟ أم يعذبه لينساها؟ مرت عليه الدقائق كساعات وهو يصرخ، حتى بعد أن توقفت اللدغات في معصم يده إلا أن آدم كان في حال يرثى لها، وهناك بعض الأنّات تخرج من فمه، بل من جسده بالكامل وجبينه يتفصّد عرقًا، حبَّات العرق نبتت من كل فتحة في مسام جلده.. عاد الصوت ليتحدث مرة أخرى:

-والآن فلتعلم أن دقائق من الألم تمر كساعات، وساعات الفرح تمر أسرع من الدقائق، هذه القاعدة لا تنسَها أبدًا في حياتك –إن بقيت لك حياة- هذه قاعدة دائمًا ما ينساها البشر، ويتعجبون من سرعة

مـرور أوقـات فـرحهم، ومـرور لحظـات الجـرح والألـم كسـاعات مـن العـذاب المقـيم، هـذا لأنكـم لا تعلمـون القواعـد لـدوران عقـارب السـاعة، وأن لـدغاتها متفاوتـة، وأنهـا تشـعر بكـم، لكـن لهـا قوانينهـا الخاصة التي غفلَ عنها كثير منكم بجهل منكم، والآن فلتعد لتكمل ما بدأته.

02:55

بالفعل عـاد آدم مرة أخـرى إلى مقـر الشـركة، قضـى فيهـا أيامًـا طـوال يـتعلم شـيئًا جديـدًا كـل يـوم، حتى أصـبح خبيرًا بمـا يكفـي لإدارة الشـركة لينسـحب عمـه تمامًـا ويترك لـه المجـال وإن كـان يسـتمر في نصحه كلما طلب منه آدم النصيحة أو شعر أنه يحتاجها دون طلب منه، كان آدم لا يهتم بدراسته وإن كان ما تعلمه في الشركة جعله لا يحتـاج إلى اسـتذكار المـواد إلا قلـيلًا ودخـل الامتحانـات ليجتازهـا بتفوّق، ثم صاحب هذا النجاح مفاجأة لم يكن يتوقعها آدم..

فمع ازدياد نجاح الشـركة وارتفاع اسـهمها في السـوق وإذ فجـأة يحـدث اخـتلال في أسـهمها في البورصـة ممـا سـبَّب بعـض الخسـارة الماديـة الفادحة التي كادت أن تودي بها، لـولا أن تمكن خالـد الدهشـان من إنقاذ الشركة من الانهيار بمساعدة بعض رجال الحسابات والقانون العاملين بالمؤسسة، لتعود رويدًا رويدًا -وإن لم تعد كسابق عهدها- إلى السـوق، كان آدم وقتهـا سـعيدًا لعـودة شـركته مـرة أخـرى وأعطى لخالـد والفريـق الـذي أنقـذ الشـركة مكافـأة ماديـة ضخمة.. أمـا الآن

فقد أُسقط في يده ولم يدر أفعلها خالد خوفًا على مكانته أم بدافع الانتقام وقد بدأ يفهم الآن، ولكن هل للمنتقم أن ينقذ شركة من السقوط الكامل، أم الأولى أن يتركها تسقط ويقف هو ليشاهد سقوطها.. تبًّا، هو لم يعد يفهم شيئًا، لقد اختلطت كافة الأمور في رأسه، أمسك آدم رأسه بقوة وسقط على ركبتيه وصرخ بأعلى صوته، ولكن لم يكن هناك أحد ليسمعه، لكن كل ما حدث هو.. بدأت الأرض تميد به ويسقط في دوامة، بدأ يشعر بالقليل من الدوار الذي لم يدرِ هل سببه اختلاط جميع الأمور في رأسه أم تلك الدوامة التي تمهّد عودته لكلوميرو، كل ما كان يفكر فيه آدم حاليًا هو الخلاص.

02:59

عاد آدم لكلوميرو، عاد جالسًا على وضعه الذي كان عليه، لم يحتَج النظر ليعرف ما يحدث من حوله فها هي المرآة الثالثة التي تحمل الرقم "2" بدأ يغزوها السواد بعد أن كانت تعكس صورة آدم اليائسة المستسلمة أصبحت سوداء مصمتة وكُتِبَ عليها بخط كبير"02:59 " الوقت الذي توقفت عليه ساعته التي في يده وعندها بدأت عقاربها في الدوران ببطءٍ شديد حتى لتشعر وكأنها لا تسير إلى الأمام، بدأ آدم حديثه هذه المرة بصوت ضعيف:

-ما هدفك من هذا كله؟

-ماذا ستفعل حينما يسيطر عليك غضبك؟

-ولِم قد أغضب؟

-أنت الآن غاضب وبشدة.

-إذًا فأنت تعلم.

-أنا أعلم عنك كل شيء، بل أعلم أشياء قد لا تعلمها أنت عن نفسك، ولكن تغيُّرك قد بدأ الآن بعد المرحلة السابقة.

-أي تغيير؟

-الأنانية المسيطرة عليك وحب الذات وأشياء كثيرة ستعلمها في المرايا القادمة.

-"خالد الدهشان" لن أنساك ما حييت، أما وقد أحسنتُ إليك أنا ووالدي وتكون هذه ردة فعلك لهذا المعروف بمحاولة قتلي في هذا المكان العجيب.

-ألا تدري حقًا أين أنت؟! والدك فكان نعم الرجل ولكني لم أتعرَّف إليه كثيرًا، أمّا أنت فقد تماديت في ظلمي مرات عديدة، أحقًا لا تذكر؟ نسيت ماذا فعلت؟

واجهه آدم بالصمت التام وإن توجه ببصره إلى المرآة الرابعة بتلقائية تامة، بخوف واضح كان يفكر آدم فيما تحمله له المرآة من عذاب وآلم قد يواجهه في هذه اللعبة التي لا يملك حق رفض الدخول بها، وكأن الصوت – خالد – قد سمع ما يفكر فيه فقال له:

-والآن دور المرحلة الرابعة من اللعبة.. أتذكر ماذا فعلت بعد ما كادت الشركة تسقط؟

انطلق آدم مقهقهًا بعصبية، ثم انتصب جسده قائمًا، انتصب غصبًا عنه، انتصب مواجهًا المرآة التي تحمل دائرتها الرقم "3" وتكون مكان انعكاس قلبه في المرآة بلون أحمر قانٍ "03:00" ..

ومرة أخرى بدأ يقترب جسده من المرآة وكان آدم هذه المرة مستسلمًا، يائسًا، لم يقاوم ووجد نفسه يغوص داخل المرآة، لكن هذه المرة حدث شيء جديد مختلف:؛ فقد سمع آدم الصوت يهمس في أذنه كأنه يقف خلفه قائلًا:

-أفعالك الخيّرة التي تفعلها بنية سيئة، أنانية هل تحسبها عقارب الساعة لك أم عليك؟ أتُحاسب على نيتك أم على مردود عملك؟

obeikandl.com

03:00

انطلق آدم يعدو بلا هدف، لا يدري مم يهرب، ولكن حين حاول أن يقلل من سرعته، لم تستجب له قدماه، نظرة واحدة للخلف كانت كفيلة بأن توضح له كل شيء.. فهناك عشرات بل مئات الأطفال يحاولون اللحاق به شاهرين أيديهم بشيء ما لم يتبينه، لا يدري السبب ولكنه كان يعلم أن عليه أن يهرب منهم مهما كان الثمن وألا يتوقف أبدًا، ثم انطلقت الأجراس في كافة أنحاء المدينة وجسده يهتز بعنف وهناك من ينادي على اسمه في مكبر الصوت، فتح آدم عينيه ليجد نفسه على سريره، منبهه يرن بلا توقف، وأمه تهزه بعنف.. استيقظ آدم غارقًا في عرقه، رأى أمه تتحدث ولكنه لم يسمع صوتها كل ما كان يراه أنها تحرك شفتيها لتقول شيئًا ما، ثم تركته وانصرفت، كان عقله ما زال متعلقًا بذلك الحلم العجيب، فتلك لم تكن المرة الأولى التي يراه بها، ولكن لا بد أن لذلك التكرار معنى ورسالة لا بد أن يحاول الوصول إليها..

قام آدم من سريره مترنحًا كالذى شرب أطنانًا من الخمر ولم يكد يقف على قدميه حتى سقط، كلما حاول الوقوف سقط.. شعر أن الغرفة تدور به فظلَّ جالسًا مكانه حتى أفاق تمامًا ثم دخل الحمَّام فغسل وجهه بالماء البارد، قرر وضع رأسه بالكامل تحت الماء علّه يفيق مما هو فيه، شرب آدم كوبًا من القهوة المركزة ليقضي على ذلك الصداع الذي يكتنف رأسه وكأن هناك آلاف المطارق تدق بداخلها، انتهى من قهوته سريعًا ثم انطلق ليركب سيارته للذهاب إلى الشركة،

أصبح هذا الحلم المتكرر هو محور حياة آدم لفترة لا بأس بها، لم يطارده هؤلاء الأطفال؟ ومن هم من حال الأصل؟ ولِمَ يهرب هو منهم؟ وما هذا الذي يمسكون به في أيديهم؟

عاد إليه ذلك الزائر، صاحبه في تلك الرحلة الطويلة حتى الآن، ذلك الصوت الذي أدرك مؤخرًا أنه صوت خالد الدهشان:

-ألا تعلم حقًّا من هؤلاء الأطفال؟

-كلا، لا أعلم.

-ولا تدري ماذا يريدون منك؟ ولا لم يطاردونك؟

-حقًا لا أدري، لم لا تخبرني؟

-ولم قد أفعل؟ عليك أن تكتشف بنفسك.. فهذه لعبتك وهذه ساعتك.

الآن فقط بدأ آدم يتذكر تلك الفترة من حياته، كيف نسيها، تلك الفترة التي كان لخالد الدهشان دورٌ فعَّال فيها وفي اتخاذ القرار الصحيح وتوجيه آدم للطريق المناسب الذي ساعده في تحقيق النجاح الذي يصبو إليه، ولكن الحلم كيف انتهى؟ وكيف كان له أثر فيما حدث بعد؟ قطع استرسال أفكاره، وصوله إلى مقر الشركة، فترك سيارته للحارس ليضعها بالمكان المناسب وانطلق صاعدًا إلى مكتبه وهو ما زال يفكر في ذلك الحلم، بمجرد دخوله إلى المكتب

انطلق خالد مسئول الحسابات خلفه ووجهه ممتقع، وبوجه قد حال لونه صفرة وكأن الدم هرب منه، وقال له والخوف والقلق باديان في كلماته وحركة يده العصبية:

-مصيبة تكاد تحط على الشركة.

-ماذا حدث؟

قالها آدم وهو يعلم أنه حينما يكون خالد بمثل هذا التوتر فالمصيبة مروعة، فهو كان يتعامل –نظرًا لوضعه وذكائه- كما لو كانت تلك شركته الخاصة فردَّ خالد ملوحًا ببعض الأوراق في يده:

-الضرائب قد زادت إلى حد لا يطاق؛ فهناك ضرائب قديمة لم يتم سدادها وقد أتت بأثر رجعي.

-كم المبلغ؟

-مبلغ ضخم، يقترب من الملايين العشرة.

هنا أُسقط في يد آدم وأدرك حجم المصيبة التي هو واقع بها، ليس هو فقط بل الشركة أجمع.

03:15

عاد آدم لمنزله ومعه حقيبة مليئة بالأوراق الخاصة بحسابات الشركة وبعض الدفاتر لمراجعة حسابات الشركة المتأخرة، استدعى كل ما

درسه بالكلية وكل خبراته السابقة في الشركة محاولًا اكتشاف خطأ ما، ظلَّ آدم ساهرًا طوال الليل يقلّب بين الدفاتر والأوراق لسببين الأول هو محاولة الوصول إلى حل ما ليتفادى دفع هذا المبلغ الهائل الذي لا يملكه والسبب الآخر هو محاولة الهرب من ذلك الحلم الذي أصبح يطارده كل ليلة، ظلَّ على ذلك الوضع حتى قبيل الفجر، وجد نفسه ينطلق راكضًا مرة أخرى، فأدرك أنه سقط في النوم أثناء عمله وهو الآن في الحلم، يدرك جيدًا أنه يحلم ولكنه ما زال يهرب، لا بد أن يفعل.. لم؟ لا يدري، ربما لو علم لما هرب ولواجه هؤلاء الأطفال الغاضبين، ولكن كيف سيواجههم وهو لا يعلم مم هم غاضبون ولم يطاردونه ولم هو بالذات، لمح شيئًا في يد أحد الأطفال، ظنه سلاحًا أبيض في البداية ولكنه يشبه شيئًا ما يعرفه جيدًا، وليس بسلاح بل هو أقرب إلى...

-نقود، أموال، مئات الجنيهات.

قالها آدم بصوت عالٍ، هل يطاردونه ليعطوه النقود؟ إذًا لم يهرب منهم؟ اختفى الأطفال واختفت معها معالم الحلم وإن لم يستيقظ آدم تمامًا بل هو في حالة بين النوم والاستيقاظ، مرة أخرى تلك المشاهد التي تتدافع إلى عقله من ذاكرته من المكان الذي تواجد به قبل أن يجد نفسه في كلوميرو، هذا ما ظنه أو هذا ما تمنى أن يكونه، وجد نفسه يقف وسط حشد من الناس المتشحين بالسواد وهم ينصرفون من المكان.. مكان لم يتبين معالمه جيدًا، ولكن الظلام

المحيط بالمكان من حوله هو السائد، لا بد أنهم بالليل، وهناك بعض الكراسى التي...

انطلق رنين هاتف آدم في أسوأ وقت ممكن، كاد آدم يمسك بالهاتف ليلقي به بعيدًا، مدَّ يده باحثًا عنه حتى وجده وحينما التقطه كفَّ عن رنينه المزعج، حينما حاول الاعتدال من نومه سمع بعض عظامه تئن من ذلك الوضع الغريب الذي نام عليه فوق ذلك الكرسي طوال الليل أثناء عمله في البحث وسط تلك الأوراق التي تبعثرت نتيجة نومه فوقها، لملمها آدم سريعًا وانتهى من إجراءاته الصباحية المعتادة من فطور وحمام باردٍ ليذهب بآثار النوم وينشط دورته الدموية، وبالطبع القهوة المركزة ليذهب بالصداع والآثار المتبقية من النوم وانطلق إلى مقر عمله وهو يفكر في تلك المصيبة التي حطت على الشركة وتكاد تودي بها بغير رجعة.. حينما وصل آدم إلى مكتبه وجد خالدًا في انتظاره، بدا خالد ذلك اليوم هادئًا عن الأمس مما جعل بعض الطمأنينة تتسرب إلى نفس آدم الذي سأله عما هنالك فلم يرد عليه، وبدا شارد الذهن فأعاد سؤاله مرة أخرى ورفع صوته هذه المرة.

-خالد ماذا بك؟

-هه.. لا شيء، فقط أنا مشغول البال قليلًا أفكر في حلٍّ ما.

-لا، إنك تبدو أكثر اطمئنانًا.

-هناك حل ما، ولكن دعني أدرس جميع جوانبه ثم أخبرك به إن وجدته نافعًا.

-ألا يمكن أن تخبرني به لنفكر سوية؟

-آسف سأذهب، فأنا عندي ميعاد الآن، سأتصل بك حينما أنتهي من الدراسة الخاصة بهذا الموضوع.

-حسنًا، لا تتأخر عليَّ في الرد.

وتركه خالد في حيرة من أمره يفكر في ماهية ذلك الحل، ثم تذكر ذلك الحلم الذي يحمل له كل يوم شيئًا جديدًا، حينما كان غارقًا في أفكاره، بدأت ملامح مكتبه تختفي ليحل محلها الظلام الدامس وإن ظلَّ جالسًا على كرسي مكتبه.

03:31

وسط هذا الظلام الدامس تحدث الصوت وتردد صداه -كأنما هم في سفح جبل أو في كهف متسع- قائلًا:

-كم أنت مسكين!!

-أعلم عم تتحدث ولكن...

-أجل كان من الممكن أن ترفض، أنت حتى لم تفكر في مصلحة الجميع.

-ما فعلته جعل...

-يكفي، كل ما كان يهمك هو مصلحتك الخاصة، على الرغم من روعة ما فعلت إلا أن ما فعلته لأجله جعله هباءً منثورًا.

-ولكن كل هؤلاء استفادوا.

-وأنت أيضًا استفدت، وزال عنك حمل كنت تنوء به ولا تطيقه.

-لا أنكر ذلك..

-لقد حذرك الحلم ولكنك لم تحذر، ونصحك فلم تعتبر.. فلتتحمل نتيجة كبرك وإهمالك رسائل أحلامك.

بدأ آدم مرة أخرى يتذكر حلمه في ذلك اليوم، كان الحلم ذلك اليوم جديدًا وإن كان يحمل نفس المعاناة وذات الغرابة؛ ففي هذه المرة أيضًا انطلق آدم يعدو مذعورًا كالمدوغ، مطلقًا ساقيه للريح ومواليًا دبره لهؤلاء الأطفال الذين يعدون خلفه شاهرين ما يحملون من نقود، شعر أنه لو توقف للحظة لفتكوا به بما يحملون وما لا يحملون، ولكن ماذا ستفعل نقود ورقية به؟ أتته الإجابة أسرع وأغرب مما توقع حينما مرق من جانب ذراعه ورقة نقدية -أو هكذا اعتقد- شعر بخيط سائل، دافئ يسير على ذراعه فحانت منه التفاته فوجد ذراعه ينزف مكان تلك الورقة التي جرحته دون أن يشعر بها، ثم سقطت أمامه لتصدر صوت ارتطام شيء معدني بالأرض.. إذًا فهذه ليست نقودًا ورقية ولكنها أسلحة حادة على شكل نقود، وصل آدم إلى منزل يسد آخر الشارع، لا يوجد سوى هذا المنزل وعلى جانبيه يمتد إلى ما لا نهاية له سور حجري يسد ما خلفه ولا يجعل له طريقًا ولا ملاذًا سوى اللجوء إلى هذا البيت العتيق أو مواجهة

هـذا الحشـد الهائـل مـن الأطفـال؛ ففضـل آدم اللجـوء إلى البيـت خاصة وأثر من يتبعونه ما زال تاركًا أثره في ذراعه.

انطلق آدم صاعدًا الدرج وقد أنهكه التعب وصدره يعلو ويهبط بقوة ودقات قلبه تكاد تسمعها من فرط قوتها، كان يجر قدميه جرًا حتى صعد إلى أعلى مكان بالمبنى وهو يسمع وقع الأقدام خلفه، وصل إلى سطح المبنى، أغلق الباب خلفه ونظر من أعلى وحينها صُدِمَ مما رأى وكاد يسقط من فرط تعبه ومما رآه؛ فقد هاله ذلك وشعر بنفسه يتهاوى بالفعل، ثم...

03:37

استيقظ آدم من نومه شاهقًا بقوة وقلبه ما زال يدق بعنفٍ وجبينه يتفصد عرقًا وكأنه كان يعدو بالفعل وليس في حلم، شعر بآلام في ذراعه مكان ذلك القطع الذي أصيب به في الحلم، هو يعلم أن العقل الباطن له تأثير في الحلم وينعكس على واقعه كما يحدث معه من تعب وكأنه جرى لأميال ولكن أن يصل الأمر إلى أن يجد تلك الإصابة تاركة ندبة في ذراعه ويشعر بألمها حتى بعد انتهاء الحلم!! فهذا يفوق تحملاته..

ماذا حدث؟ كيف عاد إلى منزله؟ بل متى عاد؟ العديد من الأسئلة التي علم أن إجابتها تكمن في ذلك الشخص الذي يدير تلك اللعبة، لابد أنه هو من قفز به تلك الفترة الزمنية، فآخر ما يذكره آدم هو جلوسه على كرسي مكتبه، انتشار الظلام من حوله، ثم الحلم الذي يطارده، يليه استيقاظه على سريره بالمنزل..

نظر إلى ساعته الفسفورية التي تلمع أرقامها في الظلام معلنة عن الساعة الثالثة وثماني وثلاثين دقيقة فعلم أن الوقت ما زال مبكرًا وأن أمامه ثلاث ساعات أخرى على ميعاد الاستيقاظ ولكن النوم كان قد جافى عينيه فظلَّ يتقلب في فراشه يفكر في هول ما رأى ومحاولة تفسير ذلك الحلم الذي أرَّق مضجعه.. مَن هؤلاء البشر؟ ولم يتبعونه؟ هل سيكمل الحلم حينما ينام مرة أخرى؟ هل سينام مرة أخرى؟ أسئلة كثيرة أخذت تروح وتجيء على ذهنه ولم يجد لها إجابة ولم تزده الأسئلة سوى قلق على قلقه وخوفًا على مصير الشركة الذي لا يعلم له حلًا، حينها تذكَّر ما قاله خالد عن ذلك الحل المحتمل لمواجهة هذه المشكلة مع الضرائب، ترى هل توصل لهذا الحل؟ وإن توصل له فلم لم يكلمه كما وعده؟ وإذا لم يصل فهل يوجد حلٌّ ما لتلك الأزمة؟ هل يتصل بخالد؟ تذكر أن الوقت متأخر ولا بد أنه نائم الآن.. في هذه اللحظات مرَّ على خاطره عمه فقرر أن يستعين بخبرته ويتصل به صباحًا حينما يصل إلى الشركة، نظر إلى ساعته فوجد عقاربها تشير إلى الثالثة وأربعين دقيقة.. الوقت يمر ببطءٍ شديد وكأن عقارب الساعة لا تدور كما اعتادت أن تدور في مدارها الأبدي حول مركزها مشيرة إلى الأرقام وتلتهم منهم بالتتابع ليل نهار...

قرر آدم أن ينهض من فراشه ويبدأ يومه مبكرًا عما اعتاد، نهض متكاسلًا وجلس على طرف السرير ليتمطى قليلًا ثم نهض ليجد نور غرفة والدته مضاءً، كان آدم قرر البقاء معها بعدما فشل في كلية

الصيدلة –الفشل الذي قاده إلى النجاح- ودخل إلى كلية التجارة لتساعده في إدارة شركة والده بدلًا من عمه؛ فعلى حد قوله أنه أولى بماله ومال والدته بعد وفاة والده الذي ترك له حملًا ثقيلًا لم يتخيل آدم ولم يفكر فيه قبل ذلك اليوم، بل هو لم يشعر بالتعب الذي كان يستشعره والده ويتحمّله راضيًا في سبيل راحته، وكان كل ما يهمه هو الحصول على الأموال وإنفاقها بلا حساب.. تسلل آدم على أطراف أصابعه ودخل إلى غرفة والدته، كانت مولياه ظهرها وتقوم بأداء الصلاة -صلاة الفجر- ظنَّ واقفًا مشدوهًا، يسمعها تتلو القرآن بصوت خفيض وإن كان قادرًا على سماعه بوضوح، ركعت ثم سجدت، وانتهت من صلاتها ورفعت أكفها وخفضت رأسها تضرعًا لربها وسمعها تلهج بالدعاء، لم يكن الصوت واضحًا في البداية ثم ارتفع الصوت قليلًا ومعه ارتفع نحيبها وسمعها تبكي بكل صدق وهي تدعو.. تدعو له.. تدعو له بالهداية إلى الطريق المستقيم، وكانت كلما ذكرت اسمه يزداد نحيبها وبكاؤها، لم يشعر بنفسه إلا وهو يبكي، يبكي بكل صدق وندم، يبكي لبكاء أمه، ويبكي ندمًا على عمره السابق الذي لم يركع به لربه مرة، يا لقساوة قلبه، ألهذه الدرجة تحبه هي؟ كم هو مقصّر في حقها.. كم يود احتضانها وأن يبكي في صدرها وهي تضمه إليها تأويه بحنانها، ترويه من حبها، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، انسحب بهدوء كما دخل.. عاد إلى غرفته وظل يبكي حتى هدأت نفسه وشعر بأن أمه قد نامت مرة أخرى فقرر الخروج وإكمال طقوسه اليومية وقد كان..

03:46

سمع آدم الصوت يقول له هامسًا وإن بدا قاسيًا في حديثه، مؤنبًا له، معاتبًا برفق:

-لِمَ لم تطع قلبك يومها وتذهب لاحتضانها؟

-كنت أود ذلك بشدة لكنك تعلم.

-ألم تكن محتاجًا إلى ضمة منها لتخفف عنك آلامك؟

-بلى، كنت ولكنني لم أفعل.

-أخفت أن تظهر ضعفك أمام والدتك؟

-أنت تعلم ما يدور بخلدي إذًا.. فلِم السؤال؟

-أنا أعلم ما يدور بخلدك، ولكنك لا تعلم ما كان يدور بذهن والدتك يومها.

-وما هو؟

-كما كنت تحتاج أنت إليها، كانت هي أيضًا تحتاج إلى ابن يشعِرها بوجوده ولو بتلك الجلبة التي تصنعها، أتعلم إلى أي مدى كانت تسعد حين تسمعك صباحًا وأنت ذاهب إلى عملك؟

-أكانت أمي تظل مستيقظة؟

-حتى تنزل أنت من المنزل وتطمئن عليك من الشرفة أنك قد انطلقت بسيارتك وتظل تدعو لك حتى يغلبها التعب أو تغلبها دموعها فتنام صباحًا.

انحدرت دمعة من عيني آدم وهو يسمع ويعرف هذا الكلام لأول مرة، كم يتمنى أن يعود من هذا المكان ويذهب إليها، سيسكن في المكان الوحيد الذي خصص له وهو صدر والدته ويبكي على كتفها ويعتذر لها عن كل ما بدرَ منه من أفعال سيئة وإهمال لها ويقبِّل رأسها ويديها اللتين طالما رُفعِتا بالدعاء له، ويقبِّل رأسها الذي طالما فكر به..

03:51

وجد آدم نفسه مرة أخرى في الشركة، دخل إلى مكتبه ليجد عليه كومة الأوراق كما تركها بالأمس، فدخل وأغلق الباب خلفه وجلس إلى كرسيه مرجعًا رأسه للخلف قليلًا ثم شرع في العمل مرة أخرى في تلك الأوراق التي لا تنتهي، ثم تذكَّر ما كان من أمر خالد فرفع هاتفه ليتصل به في مكتبه فلم يجد ردًا، هذا غريب فليس من عادته أن يتأخر في الرد على الهاتف، فأغلق واتصل على سكرتيرته سألها عن خالد فأخبرته أنه لم يأتِ بعد، يبدو أنه يوم الغرائب بالنسبة لخالد؛ فمنذ متى يتغيب عن عمله بدون أن يخبر أحدًا، حاول الاتصال به كثيرًا ولكنه لم يستطع الوصول إليه.. تبًا حتى هاتفه أصبح مغلقًا وليس هناك وسيلة للتواصل معه ومعرفة ما كان يفكر فيه..

قام بالاتصال بعمه وطلب منه مقابلته ليأخذ رأيه في موضوع هام خاص بالشركة، ولم يخبره عن ماهية الموضوع في الهاتف وإنما فضَّل أن يكون الحديث مباشرًا، حدَّد معه ميعادًا بعد انتهاء وقت العمل، لم يكن آدم طوال اليوم منتبهًا، كان مشتت التركيز يحاول البحث في هذا الموضوع الذي أصبح محور حياته في تلك الفترة.. انتهى من الأعمال التي لها أولوية في يومه ثم ترك الشركة مبكرًا وجلس في سيارته، كان لا يزال على ميعاده مع عمه ما يقرب من الساعة، بمجرد استقراره في سيارته حاول الاتصال بخالد مرة أخرى، لكنه وجد هاتفه ما زال مغلقًا فانطلق بسيارته إلى مكان لقائه بعمه وظلَّ جالسًا في سيارته محاولًا الاسترخاء والتفكير، كان كلما حاول أن يفكر في حلٍّ لهذه المعضلة إذ بتفكيره يأخذه إلى ذاك الحلم، وتلك المفاجأة التي انتهى بها حلمه الأخير في الليلة السابقة، المفاجأة التي لم يفهمها والتي زادت الحلم غرابة وزادت من حيرته، ترى إن نام تلك الليلة فإلى أين سينتهي به ذلك الحلم؟ حاول أن يتذكَّر من ماضيه التعس شيئًا، ولكن كل ما يتذكره هو نتيجة حلمه فقط، تلك التي أخبره صوت خالد أنه لم يفعلها لمنفعة الناس ولكنه...

قطع عمه استرسال أفكاره بدقاته على زجاج النافذة المجاورة له ففتح آدم باب السيارة وترجل منه ونزل إلى عمه مرحِّبًا به، محاولًا الابتسام له، فبادره عمه قائلًا:

-كنت مارًا من هنا، ذاهبًا إلى المكان الذي اتفقنا عليه فرأيت سيارتك ورأيتك داخلها، وحينما اقتربت ظننتك نائمًا.

-كلا يا عمي، كنت أفكر فقط.

-ماذا بك يا ولدي؟ تبدو وكأنك تحمل جبالًا من الهم.

-لا شيء، دعنا نتحدث بالداخل.

-حسنًا، هيَّا بنا.. أغلق سيارتك ودعنا نذهب إلى الداخل لنرى ما بك.

بالفعل، أغلق آدم سيارته وتأكد من إغلاقها جيدًا، ثم تبع عمه إلى حيث سيجلسان للتناقش، كان عمه هو من حدد المكان، كان مكانًا جميلًا بحق يدعو للهدوء والسكينة، مكان يطل على النيل من جميع جوانبه به العديد من الكراسي والمناضد المصنوعة من الخوص، اختار عمه مكانًا بجوار السور يطل على النيل مباشرة وطلبا من النادل قهوة وبدأ آدم الحديث هذه المرة ناظرًا إلى النيل، محاولًا الهرب من عيني عمه قائلًا:

-ما هذا المكان؟ يبدو أنك تعرفه جيدًا.

-أجل، إنه مكان رائع، آتي إليه التمس السكينة والهدوء، وعرفت من صوتك في الهاتف أنك تحتاج القدوم هنا.. ماذا حدث؟

بدأ آدم يسرد لعمه ما كان من موضوع الضرائب التي ستفلس الشركة بسببها -إن ظل هناك شركة- وكيف أن هذا الموضوع يؤرّقه لأنه لا يعرف كيف يتخذ قرارًا بشأنه، وحكى له عن خالد الدهشان الذي قال إنه وجد حلًا ثم اختفى بعدها ولا يستطيع التواصل معه، ارتشف عمه رشفة من القهوة التي أتى النادل ووضعها أمامه، ثم

نظر باتجاه النيل مستغرقًا في التفكير فترة لا بأس بها، لم يقاطعه آدم خلالها حتى التفت إليه عمه قائلًا بعد تفكير طويل:

-فلتترك لي الأمر يومين حتى أرى ماذ سأفعل، لي صديق يعمل هناك، سوف أتواصل معه لأرى ما يمكننا فعله.

بدت خيبة الأمل على وجه آدم الذي ظن أنه بعد كل هذا التفكير سيأتي عمه له بالحل مباشرة، تعالى رنين هاتف آدم فالتقطه بتكاسل، ثم تبدل وجهه بسرعة حينما رأى رقم محدثه على الشاشة وقال سريعًا

-مرحبًا يا خالد.. أين أنت؟

-لن أستطيع القدوم للعمل خلال اليومين القادمين.. إلى اللقاء.

قالها ثم أغلق الخط مباشرة، ظلَّ آدم واضعًا الهاتف على أذنه مذهولًا من الصدمة، لم تطاوعه يده بوضع الهاتف من على أذنه حتى لاحظ عمه شروده فناداه فانتبه آدم وأنزل الهاتف فردد عليه عمه السؤال مرة أخرى:

-آدم.. ماذا حدث؟

-خالد قال إنه لن يستطيع القدوم للعمل اليومين القادمين، ترى ماذا هنالك؟

حاول آدم الاتصال به مرة بعد مرة، ولكنه وجد هاتفه مغلقًا مرة أخرى، ثم شرد ناظرًا إلى النيل، فناداه عمه سائلًا إياه..

-فيم تفكر يا ولدي؟

-ترى هل من الممكن أن يكون.. كلا لا أعتقد أنه...

-اهدأ.. من الممكن ماذا؟ وما الذي تعتقده؟

-هل من الممكن أن يكون خالد قد انضم إلى شركة أخرى؟

-لِم تعتقد ذلك؟

-خالد رجل ذكي.. عملي.. حينما رأى الشركة تنهار قرر أن يترك الشركة واتخذ البحث عن حلّ ذريعة لتركنا قبل أن نسقط تمامًا فيسقط معنا.

بدا آدم شديد الحزن يومها بسبب حُسن ظنه بخالد طوال الفترة السابقة وقد باعه حينما لاحت له الخسارة من قريب، ومن يدري ربما يكون هو سبب تلك المصيبة التي حطت على الشركة.. كيف لم يفكر بذلك؟ هل لأنه كان يثق بخالد ثقة عمياء جعلته يبعد الشبهة عنه؟ لقد كان هو أول من عرف هذا الخبر.. وبعدها مباشرة تغيَّر واختفى من الشركة ولم يعد من وقتها متعللًا ببحثه عن الحل المناسب.. لكن لهفته حينما قال إنه وجد الحل المناسب.. ترى هل كانت صادقة؟ أم كان الحل المناسب هو تركه للشركة؟ الأفكار تكاد تعصف برأسه، انتبه على صوت عمه طالبًا الشيك من النادل لدفع الحساب، حاول آدم أن يدفع ولكن عمه أصرَّ على الدفع وبعدما دفعا عادا إلى سيارة آدم الذي أقل عمه إلى منزله، ثم عاد هو إلى المنزل ليجد والدته بانتظاره وقد أعدت له كل ما لذَّ وطاب من الطعام، فنظر إليها نظرة حانية وأكلا صامتين كالعادة حينما تجمعهما مائدة واحدة -وهذا نادرًا ما يحدث- وانتهى من الطعام ثم

دخل غرفته مفكرًا في أحداث ذلك اليوم، حاول كثيرًا أن يقاوم النوم لكي لا يدخل إلى ذلك الحلم العجيب مرة أخرى ولكن هيهات، فقد سقطت مقاومته غائبًا في دهاليز عالم الأحلام، نام وقد أنهكه التعب، ليس التعب الجسدي وإنما المجهود العقلي الذي كان يكد في كل خلية من خلاياه، نام تاركًا زمام الأمور لعقله الباطن الذي تلقاه بيد خبير ملقيًا إياه في حلمه الدائم منذ أيام أو ربما أسابيع، هو لم يعد يتذكر فمنذ متى وللوقت أهمية بالنسبة إليه!!!

03:56

انطلق آدم صاعدًا الدرج وصوت لهاثه يتسابق مع دقات قلبه أيهما يعلو على الآخر، وصل أخيرًا إلى سطح المبنى الذي يقف وحيدًا وسط اللاشيء، بكل ما تبقى له من قوة دفع بجسده دفعًا إلى داخل السطح وأغلق الباب بجسده، وظلّ مستندًا عليه محاولًا التقاط أنفاسه، ولكن اقتراب الخطوات على السلّم لم يمنحه الوقت الكافي للراحة والتفكير في الخطوة القادمة إن وُجِدَت، لم يطارده كل هؤلاء الأطفال!! وما هذا الشيء الذي يحملونه بأيديهم، ذلك الشيء الشبيه بالنقود لكنه بالتأكيد ليس كذلك.. أغلق الباب بالمزلاج الخاص به وتحامل على نفسه وانطلق إلى سور السطح، ليجد مفاجأة لم تكن في الحسبان بانتظاره، فما يراه أسفل المبنى الآن فاق كل توقعاته، فهذا الكم الهائل من البشر يتبعه هو؟ يريدون النيل منه؟ هذا الجمع ينقسم إلى فئتين فقط: الأطفال والشيوخ، العجائز، ووسط هذا الحشد الهائل رأى آدم ما زاد من استغرابه

وحيرته، فقد رأى والده المتوفي وقد تقدَّم به السن وجواره رأى والدته أيضًا عجوز، ما الذي أتى بهما إلى هنا؟ هل يريدان النيل منه أيضًا؟ لم يعد يفهم شيئًا ثم لاحظ شيئًا غريبًا.. لقد توقفت الأصوات تمامًا، اقترب من الباب، وضع أذنه على الباب ليصغى السمع، فلم يسمع شيئًا.. فتح فرجة صغيرة في الباب، نظر من خلالها فلم يرَ شيئًا، ظلامٌ تام يسيطر على المكان، لا يرى أبعد من كف يده، قرر المغامرة وفتح الباب أكثر ويا لهول ما رأى.. تراجع آدم من المفاجأة حتى كاد أن يسقط على ظهره..

رأى آدم العديد من الأطفال، المئات منهم يقفون بلا حركة على السلم، بلا حركة تمامًا، أعينهم مسلطة على باب السطح ولكن لا أحد يقترب منه، مرق آدم من بينهم، كان يبعدهم عن طريقه بكل سهولة ويسر، ولم يعترض طريقه أحد حتى وصل إلى الشارع فوجد ذات المنظر الموجود بالأعلى، ظلَ يخترق الجموع الواقفة الثائرة من الأطفال والشيوخ، يبحث عن والديه حيث رآهما، ولكنه لم يجد لهما أثرًا، بدأت الدنيا تظلم عليه، و...

-لم أراك مذهولًا من المنظر؟

-لم كل هؤلاء متوقفون هكذا؟ لم لا يتحركون؟ هل تجمدوا؟

انطلق الصوت – خالد – ضاحكًا مقهقهًا حتى بدا أنه لن يتوقف عن الضحك ثم قال بصوت قاسٍ:

-حقًا إنك لجاهل بقواعد عقارب الساعة.

-ماذا تعنى بكلامك؟

-أعني أن ساعتك تسير أسرع منهم، هم ليسوا متوقفين، ولكن سرعتك تفوق سرعة الصوت لذلك تراهم على هذه الهيئة.

-ولكن سرعتي عادية.. فأنا لا أرى نفسي سريعًا.

-ولكنهم يرونك كذلك، إن كانوا يرونك.

من وسط هذا الظلام الدامس رأى آدم نقطة ضوء تأتي من خلف هذا الحشد الكبير، ظنَّ يقترب منها ليجد بابًا مغلقًا وسط حائط كبير، حاول فتحه لكنه لم يستطع، أدار مقبض الباب لكنه ظنَّ يدور بلا هدف، لاحظ آدم وجود عقربي ساعة في وسط المقبض فنظر في ساعته ليجدها تشير إلى الثالثة وتسع وخمسين دقيقة فضبط الساعة في مقبض الباب على نفس التوقيت فسمع صوت فتح مزلاج، ثم حدث كل شيء فجأة..

سقط آدم ليشعر أنه يغرق في الماء، ظنَّ يحاول أخذ نفسه، يكاد يغرق.. ثم شعر كأنه يخرج من الماء، وجد نفسه بكلوميرو فأخذ نفسًا عميقًا ثم بدأت الدنيا تميد به، وقدماه لم تعودا تقويان على حمله..

03:59

لم يستطع آدم أن يتحمل أكثر من ذلك فسقط على الأرض جالسًا ممنيًا نفسه ببعض الراحة، ورأى المرآة يكسوها السواد ويكتب عليها بخطٍّ كبيرٍ واضحٍ الوقت الأخير"03:59" ولم يدرِ أتوقَّف الوقت من التعب أم من دوران عقارب ساعة يده الذي أصبح شديد البطء، وتساءل في نفسه: ترى هل ما زال هناك مراحل أخرى من تلك اللعبة التي لا يبدو لها نهاية؟ أم هو عذاب مقيم يتلذذ به معذبه الذي لم يمهله الفرصة للمزيد من التفكير، فبادره قائلًا بسخرية وخبث:

-يبدو عليك التعب.

-أجل فقد أنهكني كل ما مررت به من ذكريات.

-ولم لم تشعر بها كذلك في المرة الأولى؟

-لأنها لم تكن مجمعة ومركزة بهذا الشكل

-هي أعمالك لا أزيد عليها ولا أقلل منها، فقط أريك إياها من منظور آخر لم تكن تراه من قبل.

-وما الفائدة التي تعود عليك من ذلك؟ ألم تترك الشركة وتذهب إلى منافسينا؟

-ما زلت تضع الفروض السيئة والظنون التي هي نسج خيالك.

-إذًا لم اختفيت تلك الفترة؟

-كنتُ موجودًا ولكنك كنت تحاول قمعي فسكنت، ألا تذكر ما حدث بعد تلك المكالمة؟

صمت آدم محاولًا عصر خلايا مخه ليتذكر أيّ تفصيلة من تفاصيل ماضيه، ولكن صداع شديد اكتنف رأسه وكاد يفتك بها، لم محاولة العودة بالذاكرة داخل تلك الغرفة يسبب له تلك الآلام الرهيبة والصداع الشديد؟ هل لأنه غير مسموح له بالغوص في الماضي.. أم أن خالدًا يتحكم بما يحدث له وفيم يفكر؟ لو يعرف فقط لم يفعل ذلك! وما الفائدة التي سيجنيها من هذا! هل يريد النقود؟ سيعطيه الكثير منها.. أم يريد المنصب؟ سيعينه في أعلى منصب بالشركة بعده ولكن فقط ليتركه لما هو فيه، ولا يزيده عذابًا على عذابه المقيم خارج هذه الغرفة.. هل لهذه الغرفة خارج؟ أم أن الحياة تبدأ وتنتهي داخلها؟ تأملها آدم وتخيل أنه ينظر للغرفة من الأعلى فوجد أنها حقًا تمثل الساعة الدائرية بأرقامها التي استعاض عنها بالمرايا والعقارب التي يقف هو في مركز الغرفة ممثلًا إياها ولكن أين ذلك الصوت الصادر من العقارب أيعقل أن يكون صوت خالد ممثلًا صوت دوران عقارب الساعة.

-لا تتعب رأسك بالتفكير.. فلن يزيدك التفكير إلا تخبطًا وحيرة.

-حسنًا، ماذا تريد منّي؟

-أنا لا أريد شيئًا، أنت الذي تريد.

-أنا لا أريد منك أي شيء سوى أن تخرجني من هنا.

-إذًا فعليك أن تخوض في اللعبة إلى نهايتها لتتمكن من الخروج.

-إذًا يمكنني الخروج؟

-لك مطلق الحرية بعد انتهاء اللعبة، فلست أنا من يمنعك من الخروج.

-من إذًا؟

-أنت وساعتك.

-ساعتي؟

-أجل، أفعالك الماضية، والذين ظلمتهم، أتراهم قد غفروا لك؟ أتراهم نسوا ما فعلت بهم؟

-لو كنت تتحدث عما حدث معك فأنت من تركني في وقت حرج، حينما كنت بأمسّ الحاجة إليك، تركتني واختفيت.

-أحقًّا ما تقول؟ إذًا فلنرَ ما حدث بالفعل.

كان آدم ما زال مستلقيًا على الأرض من آثار التعب من المرحلة الماضية، ثم وبانتهاء صوت خالد من الحديث إذ بجسده ينتصب

obeikandl.com

قائمًا مواجهًا المرآة التي تليها في الترتيب، تلك التي تحمل في دائرتها المذهبة الرقم "4" ويتكون مكان انعكاس قلبه في المرآة بلون أحمر يميل إلى السواد، التوقيت الذي يمثل انتقاله لمرحلة جديدة "04:00"، لاحظ آدم أنه كلما تقدم في الوقت كلما ازداد ذلك اللون قتامة، ثم بدأت عملية الاقتراب من المرآة بسرعة وكان الاصطدام شديدًا هذه المرة، أشد من المرات السابقة، حتى شعر آدم كأنه اصطدم بجسم المرآة الصلب وليس سائلًا كما يحدث كل مرة ولكنه بدأ يغوص فيه، كانت العملية أشد صعوبة هذه المرة حتى شعر بأن عظامه تتكسر وبدأت أنّاته تعلو ثم انتهى كل شيء فجأة وبدأت المرحلة الجديدة من اللعبة، من ماضي آدم وحياته السابقة التي يحاول جاهدًا تذكُّرها وكأنها حدثت منذ زمن سحيق.

obeikandl.com

obeikandl.com

04:00

جالسًا بمكتبه أمام حاسوبه يتصفح أحوال أسهمه في البورصة وأسهم الشركات المنافسة له.. أسهمه في ارتفاع، فخبر الضرائب التي توشك أن تقضي على الشركة لم تصل إلى الصحافة بعد، وبالتالي لم تتأثر أسهم شركته.. كان مستغرقًا تمام الاستغراق فيما يفعله حين رن هاتفه فالتقطه ناظرًا في شاشته، ملأته الدهشة حينما رأى رقم محدثه، كان المتصل هو آخر شخص تخيل أن يرى رقمه في هذا التوقيت؛ فبعد مرور ثلاثة أيام فقد فيها الأمل يتصل به خالد، ضغط زر استقبال المكالمة سريعًا فأتاه الصوت –صوت خالد- قائلًا:

-سوف آتي إلى الشركة غدًا لنتناقش في ذاك الحل الذي وجدته.

-ماذا؟ أحقًا ما تقول؟ وأين كنت طوال تلك الفترة؟

-هذه أسئلة كثيرة وأنا متعب للغاية، غدًا نتحدث في كل ما تشاء وسوف أجيب كل أسئلتك.

ثم أغلق الخط دون انتظار رد آدم الذي بدا مشدوهًا بما سمع من كلام خالد وازدادت حيرته، ألم يتركه؟ ألم يذهب إلى شركة منافسة؟ كلها أسئلة ظلت تتردد في ذهنه ولم يجد لها الإجابة الشافية وقرر مرغمًا أن ينتظر اللقاء غدًا مع خالد الذي سيخبره بذلك الحل الذي سينتشل الشركة من غياهب الضياع والخسارة الفادحة.. قرر

آدم البقاء هذه الليلة في الشركة؛ فهو لا يتحمل الذهاب للمنزل والعودة صباحًا.

بعد انتهاء أوقات العمل الرسمية، دخل آدم للحمَّام الملحق بمكتبه ليغسل وجهه بالماء البارد عله يفيق مما هو فيه من إرهاق، نظر في المرآة التي تعلو الحوض ليطالعه وجهه الشاحب المائل إلى الصفرة.. لقد عانى كثيرًا الفترة السابقة وكانت ساعات نومه لا تتعدى الساعات الثلاث في اليوم، فتح صنبور الماء لينساب الماء البارد، ملأ كفه بالماء وضرب به وجهه ليشعر بالدماء تتدفق إلى وجهه فغسل وجهه مرة أخرى ثم مسح وجهه بكفيه، ثم رفع وجهه مرة أخرى ليتطلع في المرآة فشهق من الصدمة من هول ما رأى؛ فالمرآة لا تعكس صورته وإنما تعكس صورة مسخ آخر ينظر له مبتسمًا بسخرية، فرك عينيه بقوة ثم فتحهما ببطءٍ لتواجهه صورته المذهولة، رجّح أن ما رآه يعود لإرهاقه وتشوُّش ذهنه ولكنه حينما كاد أن يولي ظهره للمرآة ويعود لمكتبه طالعه المسخ مرة أخرى، لكنه هذه المرة كان يقف خلفه مباشرة فهمس في أذنه ببضع كلمات كالفحيح وشعر بأنفاسه الساخنة تلفح رقبته، سمعه آدم يقول له:

"أتظنون حقًا أنكم من يتحكم بعقارب الساعة؟ هل تظنون أنكم بالتحكم في دوران تروسها تتحكمون بها؟ لقصور فهمكم للغتها فهي تسمح لكم بالتحكم لتفهموا ما يناسبكم"

كان آدم يعرف القاعدة جيدًا؛ فهو إذا استدار لن يجد أحدًا خلفه.. صمت ذلك المسخ معطيًا لآدم المزيد من الوقت والرعب معًا فكأن رأسه قد شُلَّ ولا يستطيع التفكير فظلَّ يتطلع إلى وجه هذا المسخ.. هو يشبه شخص يعرفه جيدًا، ولكن لهول الموقف والرعب الذي يعتمل في قلبه لم يتذكر من هو.. حينما وصل تفكير آدم إلى هذه النقطة وكأن هذا المسخ سمعه فأدار رقبته تجاه اليمين فوجد آدم رقبته تتبعها من تلقاء نفسها ناظرة إلى حيث نظر فوجد كلمات كُتِبَت على الجدار المواجه لها، كلمات كتبت بلون أحمر كأنه الدم، بل هو كذلك فقد بدأ يسيل مخلفًا خيطًا أحمر، كتب بلونٍ دامٍ على الحائط "ألا تعرفني حقًا؟ حاول أن تتذكر وإلا كان في ذلك هلاك لك"

عاد آدم ببصره إلى المرآة ليجد أن المسخ قد اختفى، ظنَّ أنه في حُلمٍ وأنه سيستيقظ الآن منه، ولكن عقله كان يرفض ذلك باستمرار فهو متأكد أنه لا يحلم وأن ما مرَّ به هو واقع مرير، لملم شتات نفسه وخرج من الحمَّام يجر قدمًا ويؤخر الأخرى حتى وصل إلى كرسي مكتبه فألقى بجسده عليه ونظر إلى الساعة الموضوعة على مكتبه ليتفاجأ بأنه قضى في الحمَّام قرابة الساعة قال محدثًا نفسه:

-يا للهول! ماذا حدث بالضبط بالداخل؟

حاول النوم ولكنه كان كلما أغمض عينيه رأى ذلك المسخ ينظر إليه مبتسما بسخرية فيفتح عينيه فزعًا فلا يجد شيئًا فعلم أن النوم لن

يأتيه الآن وقد لا يأتيه هذه الليلة فقام من على مكتبه متجهًا إلى النافذة المطلة على الشارع، عقد كفيه خلف ظهره ووقف يتأمل الشارع في الأسفل، كان الليل قد بدأ في الانتشار، تلك اللحظة الفارقة التي يجتمع فيها قرص الشمس الأحمر مع هلال القمر الأبيض فيرسمان منظرًا خلابًا ولكنه ليس في متسع من الوقت للتأمل في هذا، كم يشتاق الآن للحديث مع أحد ما، كم يتمنى معرفة ما وصل إليه خالد.

04:12

-أحقًا قد اشتقت إليّ؟

-فقط أتمنى الحديث مع أحد ما حتى لا أجن.

-وما الذي سيدفعك إلى الجنون وأنت في ريعان شبابك؟

-ما يحدث لي الآن يدفع أعقل العقلاء إلى الجنون.. أترى كل هؤلاء البشر بالأسفل؟

-نعم أراهم..

-أهم حقا موجودون أم أنهم مجرد جزء من اللعبة؟ هل يشعرون بما يحدث فوقهم الآن؟

-ماذا تعتقد أنت؟

-أنك مراوغ بارع، تجيد الهرب من الإجابة بسلاسة.

-أخبرتك من قبل أنني من يلقي الأسئلة هنا، ولكني أراك حقًا في حيرة، لذا سأدعك تطرح الأسئلة ولكني لست مضطرًا للإجابة.

-أتدري ماذا أعتقد؟

-ماذا؟

-أن كل فرد من هؤلاء يسير حاملًا همًّا كالجبال فوق كتفيه، أترى مشيتهم المتأنية؟ كل منهم يحاول جاهدًا إخفاء ما يعتمل في نفسه من هم وحزن راسمًا بسمة باهتة فوق شفتيه.

-نعم، فلو أدرك أحدهم قيمة تلك الدقائق والساعات التي يقضيها متفكرًا في هذه المشكلة أو تلك، محاولًا رسم البسمة الزائفة كما تقول لاجتهدَ في البحث عن السعادة الحقيقية تاركًا الهم خلف ظهره.

-من أصعب الأوقات التي تمر على شخص ما، هي لحظة الهم فهي تبدو كألف سنة.

-لحظات الهم هي من أدق ومن أصعب الأوقات التي تطبق فيها قوانين الساعة.

-كيف ذلك؟

-عندما يشعر الإنسان بالهم وينزل به غم فإن عقارب الساعة تمر عليه ببطءٍ شديدٍ، ولكن بالنسبة لجسده فالأمر مختلف تمامًا لأن عقارب الوقت تدور بسرعة شديدة حتى أنها تدور في الدورة الواحدة مرتين، وفي بعض الأوقات ثلاث؛ لذلك تجد صاحب الهم بالرغم من صغر سنه يبدو عليه الكبر ويخط الشيب سريعًا ويترك الزمن عليه علاماته.

بدأ الظلام يلف ويعم المكان وبدأت حركة الناس تقل في الخارج فابتعد آدم عن النافذة واتجه إلى مكتبه وجلس على الكرسي المقابل له، بالرغم من الظلام الدامس في المكان إلا أنه لم يشعل النور وجلس في الظلام واضعًا رأسه بين يديه وظلَّ على هذا الوضع طويلًا، ثم أرجع رأسه وجسده إلى الخلف على كرسيه وأرجع ظهره إلى آخره ورفع قدميه فوق المكتب محاولًا الاسترخاء، حاول النوم كثيرًا ولكن النوم قد أبى إلا أن يبتعد عنه مجافيًا عينيه.. سمع الصوت مرة أخرى محدثًا إياه:

-عليك أن تنام لتستطيع المواصلة غدًا.

-ألم تذهب بعد؟!! ظننتك تركتني.

-أنا ملازم لك، لن أذهب إلى أي مكان ما دمت عقارب ساعتك تدور.

كان هذا آخر ما سمعه آدم قبل أن يغيب في سبات عميق اختلطت فيه الأحلام ولم يتذكر شيئًا منها ولم يشعر بشيء حتى الصباح

04:19

دخل شعاع الشمس من النافذة ليداعب وجه آدم النائم على مكتبه فاستيقظ متمهلًا متكاسلًا، أخذ يتمطى قليلًا ثم تذكر لقاءه المرتقب مع خالد الدهشان الذي سيخبره بالحل الذي سينقذ الشركة من مصيرها المحتوم؛ فنهض سريعًا ودخل الحمام متحاشيًا النظر في المرآة كي لا يرى ذلك المسخ مرة أخرى، حانت منه التفاتة إلى الجدار الذي كتب عليه الكلمات بالدم، فلم يكن لها أي أثر وكأنها لم تكن موجودة من الأصل، انتهى سريعًا مما يفعله وأراد الخروج إلى مكتبه، ثم حدث ما صدمه وجعله يتوقف مكانه مشدوهًا مشلولًا من الصدمة فقد وجد باب الحمام مكتوبًا عليه بضع كلمات بالدم مرة أخرى قرأها بصوت خفيض:

"لن تستطيع الهرب منّي، فأنا لست بالمرآة كما تظن، أنا بك ومنك، بداخلك أحيا، أتغذى على دقات قلبك التي تلدغها عقارب ساعتك الأبدية وتنافسها وتلتهم منها ومنك الوقت والدقائق ولحظات عمرك الفاني"

ثم سمع صوتًا كالفحيح يناديه باسمه على يساره فالتفت ببطءٍ شديدٍ ليجد نفسه يحدق بالفراغ ثم بدأت ساعة رملية كبيرة تتكون، نصفها العلوى قارب على الانتهاء ثم اختفى كل شيء بغتة حين سمع دقات على الباب، أفاق من شروده ناظرًا إلى الباب ليجد الكلمات المكتوبة قد اختفت مرة أخرى، خرج إلى مكتبه باحثًا عن الذي كان يدق الباب فوجد المكتب خاويًا إلا منه ألقى بنفسه على كرسيه مرة

أخرى فسمع هاتفه يرن، التقطه ليجد خالد هو المتصل، ضغط زر استقبال المكالمة ليأتيه صوت خالد قائلًا:

-مرحبًا، أين أنت؟

-أنا بمكتبي في الشركة، أين أنت؟

-لقد مررت عليك فلم أجدك هناك، سآتيك حالًا.

-حسنًا، أنتظرك.

إذًا خالد هو من كان يدق الباب، أغلق المكالمة ووضع هاتفه أمامه، لم تمر دقائق حتى سمع صوت دقات خالد على الباب الخاص بمكتبه فأذن له بالدخول، ثم قام لاستقباله بلهفة بادية على وجهه:

-أين كنت طوال الأيام السابقة؟

-التقيت مع أحد أقاربي الذي يعمل في الضرائب محاولًا تخفيض المبلغ المطلوب منك سداده، بقينا طوال يوم كامل نحاول البحث في دفاتر الشركة عن خطأ ما فلم نجد ما يمكن أن نقلل به المبلغ المطلوب، حتى اقترح عليَّ شيئًا مضمونًا، ولكن به نسبة من الخطورة.

-وما هو؟

-أخبرني أنه يمكنك التخلص من نصف الضرائب أو أكثر دفعة واحدة.

-كيف ذلك؟

-يمكنك فعل شيء يفيد المجتمع فيتم خصمه من الضرائب المحسوبة على الشركة.

-وما هو هذا الشيء الذي يمكنني فعله؟

-هذا ما أخذ منا الكثير من الوقت والمجهود، حتى توصَّلنا إلى أنك من الممكن أن تبني دارًا للأيتام أو دارًا للمسنين أو كليهما.

تراجع آدم بظهر كرسيه إلى الخلف مفكرًا، ثم تذكر شيئًا فعاد يسأل خالدًا قائلًا:

-قلت إن هذا الأمر به نسبة من الخطورة.. ما هو الخطر فيما قلت؟

-الخطر هنا قد يصيب قريبي هذا الذي أخبرنا بالأمر إذا علم أحدهم بما قال، وبعض الخطر عليك وعلى الشركة، فإذا تم اكتشاف أن هذا الأمر الهدف منه التهرب من الضرائب فسوف يسبب هذا الكثير من المشاكل.

-وأنت ما رأيك في هذا الأمر؟

-لقد درست جميع جوانبه ووجدته مناسبًا لك وسوف ينقذ الشركة، كما أن به فائدة عظيمة للكثير من البشر وسوف ينتفع به المجتمع بجانب إنقاذ الشركة من تلك الورطة.

-ولكن ما الفارق؟ فمشروع كهذا سوف يتكلف مبلغًا يقترب من الأموال التي تطلبها الضرائب.

هنا اتسعت ابتسامة آدم وقال بتمهل وهو يلاحظ وقع كلماته على آدم:

-أعلم أن هناك فيلا كان يمتلكها والدك خارج حدود العاصمة، يمكنك الاستغناء عنها.

-نعم، بالفعل، ولكن يمكنني..

-إذا قررت أن تبيعها فلن تدرّ عليك سوى مبلغٍ صغيرٍ، فلن يشتريها أحد.

عندها أدرك آدم أن خالدًا قد أعدَّ كل شيء بالفعل، فبدا الارتياح على وجهه أخيرًا، وسأله

-حسنًا إذًا، متى نبدأ التنفيذ؟

-لقد بدأ بالفعل..

-ماذا؟

-نعم، لقد جلبت العمال اللازمين وقد بدأوا العمل صباح اليوم.

-خالد، لا أعلم كيف أشكرك على مساعدتك لي وللشركة.

-لا بأس.. فالشركة جزء منّي وأنا جزء منها ولا أستطيع أن أراها تسقط وأسمح بذلك.

قام آدم مصافحًا إياه، إيذانًا على الموافقة والبدء في تنفيذ الإجراءات اللازمة وهنا، هنا فقط شعر آدم ببعض الهدوء واستطاع أن ينعم بالقليل من الراحة، ولكنها كانت راحة مؤقتة..

عاد آدم إلى منزله أخيرًا هانئ البال، لا يحمل عبئ شيء، يفكر في الغد المشرق للشركة بعدما انزاحت الغمة الكبرى التي كانت تؤرق

مضجعه؛ فهو وحتى هذه اللحظة بعدما تم إيجاد حل المشكلة لم يعرف كيف كان سيدبر ذلك المبلغ الضخم.. كانت تلك المرة من المرات القلائل التي يقابل بها أمه مبتسمًا، غير متجهم الوجه وبادرها قائلًا:

-كيف حالك يا أمي؟

-أنا بخير حال يا ولدي، وسعيدة ما دمت أراك سعيدًا.

-لقد انزاح الهم عن كتفي؛ فاليوم أشعر بأنني خفيف، لا يوجد ما يثقلني.

-فليشهد الله أني أدعو لك ليلًا ونهارًا، أدام الله عليك السعادة وأبعد عنك كل همٍّ وغم وكرب.

كان يتمنى في تلك اللحظة أن يمسك بيديها يقبّلهما ويقبِّل رأسها بل ويخرّ على قدميها مقبّلًا إياهما، ولكن الخجل والخوف منعاه؛ فهو لم يعتد هذا من قبل فلن يفعله الآن بعد هذا العمر، سألته أمه إن كان سيأكل ولكنه رفض قائلًا إنه متعب وسيدخل لينام قليلًا.. دخل آدم إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، وألقى بجسده على السرير، سريعًا ما اختفت ملامح الغرفة من حوله وأخذته سنة من سنات ذكرياته.

04:26

تلك الحالة التي ما تكون بين اليقظة والنوم وفيها يرى آدم ومضات من ذكريات ما قبل دخول كلوميرو، كل ما رآه سابقًا لقطات لأناسٍ

يتشحون بالسواد وهو أيضًا يرتدي ملابس سوداء، هو عزاء ولكن أين هو ذلك العزاء وعزاء من؟ لا يستطيع التذكُّر.. أيضًا لم يتعرف على أحد الموجودين في ذلك العزاء، مرَّ هذا سريعًا في رأسه قبل أن يبدأ تواتر اللقطات في ذهنه وأمام عينيه، رأى نفسه يصافح أناسًا لا يعرفهم، يبدو أنه سينصرف من العزاء وقد انتهى ويبدو من الحرارة التي يسلمون بها عليه أنهم يعرفونه جيدًا، أحدهم تحدث إليه بكلام ورد عليه آدم بكلمات تبدو مقتضبة ولكن العجيب في الأمر أن الصوت كان مكتومًا فلم يسمع ما قاله الرجل ولم يسمع رده عليه، ولكن من هيئة الرجل يبدو أنه متعجب من شيء ما، وقف باحثًا عن شيء ما أو شخص ما، لا يعرف عم يبحث ولكن يبدو أنه يئس من أن يجده فقرر الذهاب، أظلمت الدنيا وساد السكون لثوانٍ قليلة...

يسير متمهلًا إلى سيارته، علم أنه متجه إليها لأنه يراها رابضة أمام عينيه، يسير على مهله تمامًا وكأنه لا يريد أن يرحل أو كأنه يحمل همومًا لا قِبل له بها.. ما زال في حالته السابقة بين النوم واليقظة.. دخل سيارته وأدار المحرك ومع دوران المحرك اختفى كل شيء فجأة، لو خرجنا إلى خارج ذهن آدم في الغرفة التي ينام بها لوجدناها تغرق في الظلام التام وجسد آدم يهتز هزات عنيفة ولو اقتربنا أكثر لرأينا دموعًا تسقط من عينيه على خده لتبلل وسادته، سقط آدم في سبات عميق انتهت حالة اللايقظة التي يعيش بها آدم وانتهى تتابع الذكريات التي تنهال على عقله؛ فعقله الباطن يحاول جاهدًا تذكيره بما حدث وأين كان قبل أن يدخل تلك الغرفة التي لا يعلم عنها شيئًا، فيرسل له الذكريات على هيئة صور ومشاهد متتابعة أو

متفرقة ومهمته أن يجمع بينهم محاولًا رسم المشهد الكامل لمكانه وذكرياته تلك، ولكن من قال إن هذه مهمة سهلة خاصة حينما يكون بطلها العقل الباطن المراوغ.. كان نوم آدم عميقًا بحقّ؛ فلم تراوده أحلام أو كوابيس أو أي شيء، كان نومًا هادئًا بعد سلسلة الذكريات المتلاحقة التي أرهقت ذهنه، وإرهاق بدنه في العمل صباحًا، ولكن الغد كان يحمل المزيد من التعب والإرهاق الذي لم يكن آدم يتوقع حدوثه بعدما ظن أن الحل الذي أوجده له خالد فيه راحة له..

استيقظ آدم من نومه صباحًا، كان الجو شديد الهدوء والصمت يغلف المكان؛ فالشمس قد أشرقت منذ دقائق فقط، أي أن الوقت ما زال شديد البكور والناس ما زالوا نيامًا أما هو -آدم- فكان يشعر براحة غير عادية.. راحة نفسية وعقلية وجسدية.. يشعر بصفاء ذهني غير مسبوق، قام إلى الحمام، خلع ملابسه ودخل إلى البانيو وضبط درجة حرارة المياه ثم تركها لتملأه، وحين امتلأ، أغلق المياه وجلس فيه حتى غطاه الماء وشعر باسترخاء جسده وأخذ يفكر فيما يمرّ به وكيف أنه اندمج في هذه اللعبة حتى أنه ظن أنه لا واقع غير ما يحياه الآن وكل لحظة تمر عليه خارج كلوميرو، وداخل أي مرحلة من المراحل يعيشها بكل ما فيها من آلام وبهجات، ولكن استوقف تفكيره شيء غريب، هذه اللقطات التي يبثّها له عقله من ذكرياته القريبة.. ترى هل هي جزء من اللعبة أم أنها رسائل من عقله الباطن بالفعل؟ هل يعلم بها صوت خالد ذاك الذي يتحكم به وبما يمر به؟ أم أنه لا يعبر خارج أسوار عقله؟ ولا يتعدى رأسه الذي...

سمع آدم رنين هاتفه فأجفل وتوقفت أفكاره عند ذلك الحد وقام من رقدته تلك وخرج من البانيو مغادرًا الحمّام، لم يهتم بعريه ولا بالماء المتساقط من جسده قدر اهتمامه باللحاق بمعرفة المتصل.. اليوم هو الجمعة، إجازة من العمل فلا يمكن أن يكون المتصل أحد من الشركة، بالفعل صدقت توقعاته؛ فقد كان المتصل هو صديقه مصطفى الذي لم يحادثه منذ فترة طويلة بسبب انهماكه في العمل، حينما ضغط زر استقبال المكالمة، كان رنين الهاتف قد انتهى، جلس على طرف السرير الذي ابتلّ تمامًا -بسبب تساقط الماء عليه- ثم عاود الاتصال بصديقه الذي ردَّ سريعًا ودار بينهما الحوار التالي:

-مرحبًا مصطفى كيف أحوالك؟

-أنا بخير حال اليوم، أنت ما أخبارك؟

-بخير دائمًا طالما رأسي غائب في دخان الحشيش كما تعلم.

-أما زلت تدخن ذلك الصنف الرخيص من المخدرات؟

انطلقت ضحكات مصطفى مجلجلة تشق السكون الذي يعم المكان فتابع آدم قائلًا:

-كم أفتقد جلساتنا سويًّا!!

-ولِم لا نكررها اليوم؟ هل لديك عمل ما؟

-كلا ليس عمل لدي، ما رأيك أن نتقابل في شقتك كالمعتاد؟

-حسنًا، فلتأت وقتما تشاء، أنتظرك.

-حسنًا إذًا، إلى اللقاء.

-إلى اللقاء..

أغلق آدم المكالمة وعاد يسبح مرة أخرى في ذكرياته، ولكن لسعة برد خفيفة سرت في جسده؛ فتذكَّر أن جسده عارٍ مبلّل بالماء، فقام وجفف جسده وارتدى بعض الملابس وانطلق خارجًا إلى الصالة ليجد والدته ما زالت نائمة، عاد إلى غرفته ووضع بعض الموسيقى ثم تمدد على السرير آملا في وصلة جديدة من النوم أو مزيد من الراحة؛ فهو يعلم أن الغد أصعب وأن جلسته مع مصطفى قد تطول حتى الصباح فلا يدري هل يتمكن من النوم مرة أخرى أم لا.. ولكن الأمر لم يكن بتلك السهولة المتوقعة وهل سيتركه هذا الصوت يهنأ ببعض الوقت للراحة، كان ممددًا على السرير فاردًا ذراعيه وقدمه متدلية، نصف جسده على السرير وقدماه على الأرض، مغمضًا عينيه، متوقعًا قدومه وسماع صوته وقد كان، ولم يخب ظنه وبالفعل سمعه يقول له بصوته الرخيم القوي:

-هل تعلم أن هناك جريمة كونية تتم يوميًّا؟

-جريمة كونية يوميًا؟

-أجل..

-كيف ذلك؟

-ماذا تظن بتعاقب الليل والنهار؟ لا بد أن يقتل أحدهما الآخر لكي يعيش ما هو بعده، الشمس والقمر في صراع دائم وعقارب الساعة

هي من يحسم هذا الصراع كل يوم، هي من يحدد مدة الصراع، ثم يعلن النتيجة لكليهما في النهاية وكل منهما يرضخ للنتيجة راضيًا، غير ساخط، ولا يعلمان لأيهما سيحسم الصراع التالي، فلا بد أن يكون هناك صراع ولكن منتصر واحد فقط.

-ما هذا الذي تقوله؟ كلنا يعلم أن الليل يتبعه نهار والنهار يتبعه الليل شمس يتلوها قمر وقمر يتبعه شمس.

-كل هذه تنبؤات فلكية كما تسمونها، ولكن مالا تعلمونه وتدركونه أنها تسير وفقًا للناموس الأعظم وقوانين عقارب الساعة، حيث أن الثانية الواحدة هنالك تحدث فارقًا كبيرًا، قد لا تهتمون أنتم بها، ولكن على أساسها قد تنتهي عوالم وتولد أخرى، في غمضة العين الواحدة قد يتمرد شخص على قوانين عقارب الساعة محاولًا تغييرها فيتسبب في هلاك أمم بأكملها، حقًا كم أنتم مهملون، وتظنون أنكم أسياد العالم بعلمكم القاصر، أتعتقدون أنكم بصعودكم إلى الفضاء قد فعلتم المستحيل! أتفخرون بآخر تقنياتكم تطورًا، كم أنتم جاهلون، كم أنتم حمقى أيها الفانون.

-تتحدث وكأنك تنتمي لجنس آخر يفوق الجنس البشري!! ألست واحدًا من أبناء هذا الجنس الذي تسخر منه؟

انطلق الصوت ضاحكا ضحكات ساخرة، ضحكات مريرة وكأنه بذكر هذه النقطة يشعر بمرارة كونه أحد أبناء البشر بالفعل ثم قال لآدم وفي صوته نبرة فخر متعالية:

-بطاعتي لقوانين عقارب الساعة ورضوخي لها، سُمح لي بالتفوق عليكم جميعًا والتطلع إلى الأزمنة الثلاث، بل والتحكم بها أيضًا، أجل أنا أسمى منكم أيها الجنس التافه، أنا أتحكم بمصيرك الآن أيها التعس.. ما أنت فيه الآن لا يتعدى ثانية من سنوات من العلم والخبرات التي أصبحت ملك يدي، والآن فلنعد لمتابعة اللعبة، فميعادك مع صديقك قد حان.

قام آدم من سريره فزعًا، ناظرًا في ساعته.. بالفعل حان الوقت، هذا الحديث لم يتعد الدقائق القليلة فكيف مرت الساعات، بدأ القلق يدب في قلبه ولكنه أسرع بارتداء ملابسه، هو لم يحدد مع مصطفى ميعادًا معينًا ولكنه اعتاد أن يقابله دومًا في مثل هذا الميعاد الذي قرر أيضًا مقابلته به اليوم.. انتهى سريعًا من ارتداء ملابسه وخرج من غرفته، فلم يجد والدته بالمنزل، فانطلق إلى حيث ترك سيارته لتقله حيث سيقابل صديق عمره الذي يفتقده وباعد بينهما الزمن.

04:38

وصل آدم إلى المكان الذي يجمعه دائمًا مع مصطفى، الشقة التي ابتعدا عنها لفترة بعدما داهمتها الشرطة في آخر مرة جمعتهما سويًا، كم يشعر بالحنين لتلك الأيام التي طالما تحمَّل فيها والداه طيش شبابه وكانا خلفه دائمًا يتحملان تبعات أفعاله، لم يكن يحمل هم عمل أو شركات، لطالما استمتع بشبابه، ما زال شابًا ولكن هذه الأيام قد ولَّت بلا عودة بعد وفاة والده وتحمُّله كافة المسؤوليات التي كان والده متعهدًا بها، صعد سريعًا حتى وصل إلى الشقة

وحاول فتح بابها بالمفتاح الذي معه، فلم يستجب له المزلاج، دقَّ الجرس وانتظر قليلًا حتى سمع جلبة بالداخل ثم فتح الباب وصُدم مما رأى.. للوهلة الأولى لم يتعرف عليه، لشدّ ما تغير مصطفى، صار نحيفًا كالقلم، شاحب الوجه، أشعث الشعر، لحيته نامية ولكنه هو صديقه.. احتضنا بعضهما البعض حضنًا طويلًا، قال آدم وهو ما زال محتضنًا صديقه، مربتًا على ظهره.

-لكم أفتقدتك يا رجل!!

-وأنا أيضًا افتقدتك.

-ماذا حدث لك؟ لقد تغيرت كثيرًا.

-فلنتحدث بالداخل، ادخل..

قالها مصطفى وهو يجذب يد صديقه إلى الداخل، تبعه آدم مجبرًا فهما لن يقضيا طوال الوقت أمام باب الشقة، جلسا كعادتهما على الأرض حول تلك المنضدة القصيرة التي تحوي العديد والعديد من أصناف المخدرات وأنواع مختلفة من الحشيش وغيره من الأشياء الغريبة التي لم يرها آدم من قبل، تساءل متعجبًا:

-ما كل هذا؟ هل دعوت أحدًا ما؟

-كلا.. كل هذا لي - ولك إن أحببت - لسهرتنا هذه الليلة.

-لقد تغيرت كثيرًا يا صديقي.. ازددت شحوبًا، ازددت عبوسًا، ازددت نحافة، لم؟

-المخدرات تفعل أكثر من ذلك بكثير ولكني لا أهتم؛ فقد أصبحت حياتي ولا أستطيع تركها، أتعلم يا آدم! لقد اكتشف أنواعًا جديدة، الحشيش وحده أصبح لا يكفيني ولا يكفي احتياجاتي.. هناك نوع من الحبوب حين أحولها إلى فتات بفرمها مع بعض الحشيش مع بعض التبغ ولف ذلك كله في ورقة...

-كفى.. أنت تضيع بهذه الطريقة، ولن أسمح لك أن تفعل هذا بنفسك.

انطلق مصطفى مقهقهًا على كلام آدم، ثم قال له ساخرًا:

-أحقًا؟ ماذا ستفعل؟ ستضربني على يدي وتقول لي إن هذا لا يصح، لقد كبرنا على مثل هذه التفاهات يا آدم، أخبرني ما الذي يستحق في هذه الحياة أن أحافظ على نفسي من أجله؟ أبي الذي يعاملني كأنه بنك، مصدر أموال ولا يعرف عني شيئًا إلا حينما أطلب منه المال؟ أم أمي التي لم تعد كذلك بعدما طلقها أبي وذهبت لتتزوج من عشيقها ولم تعد تسأل عن أيٍّ منا، أم أشقائي الذين نسوا أن لهم أخًا، أم تعتقد أن إخوتي غير الأشقاء يهتمون بي وهم بعد صغار.. أتدري أنك أيضًا تغيرت كثيرًا يا آدم.

-حقًا؟ كيف؟

-أراك الآن رجلًا بحق، تحمل هموما ومسؤوليات غيرت منك إلى الأفضل، ذهب آدم الشاب الطائش وأصبحت آدم مدير وصاحب شركات وترأس العديد من الموظفين، كلهم طوع أمرك.

-أستطيع أن ألحقك بالعمل معى في الشركة وستتبوأ منصبًا كبيرًا.. دعنى أساعدك يا صديقى على العودة إلى ما كنته يومًا وربما أفضل.

-لا أستحق نصف ما تتحدث عنه، ثم من يحتاج العمل وعنده مصدر دخل لا ينقطع، فأبي لا ينفك يعطيني ما أريد من المال حتى بدون أن أطلب منه.

-أنت تذكرني بنفسي منذ سنوات قلائل.. كنت مثلك الآن تمامًا، ولكن بعد وفاة والدي أنت ترى كيف تغيَّر حالي، مصطفى لا تترك نفسك تجرفك إلى طريق لا تحمد عقباه.

-أتريدني أن أبتعد عن تلك المكيفات التي تضبط رأسي؟ أنسيت متى كنت أعطيك الجواب الأفضل والقرار الصائب الذي تتخذه وأنت مغمض العينين؟ كان أفضل قرار أعطيك إياه ورأسي في غياهب الحشيش والمخدرات.

-فكر فيما أقوله لك، وسيظل عرضي لك قائمًا دائما وأبدًا.

-هل جئت لنتحدث في هذا الأمر؟ أم لنقضي الليلة سويًّا.

-معك كل الحق في ذلك.

امتدت سهرتهما حتى ساعات الصباح الأولى، لم يناما ليلتهما تلك، ومع أشعة الشمس الأولى ودَّع الصديقان بعضهما على وعدٍ بلقاء قريب، دخل مصطفى لينام بينما انطلق آدم إلى الشركة.

04:46

لم يكد آدم يطأ بقدمه الشركة حتى عاجله خالد بأن أمامهما العديد من الإجراءات التي تستلزم الانتهاء قبل الغد ليشرع العمال في العمل مباشرة ويبدأ المهندسون الذين انتهوا من التصميم المبدئي بإعطاء التصاميم والأوراق للمهندسين المختصين بالبناء ليحولوه من مجرد رسم على ورق إلى حقيقة وواقع ملموس، لهذا انطلق آدم مصطحبًا خالدًا معه.. قضى آدم هذا اليوم في التجول بين أماكن عدة من الفيلا إلى شهر عقاري إلى مهندسي التصميمات إلى البحث عن عمال والاتفاق معهم، وانتهى به المطاف بالذهاب إلى بعض الصحف لتكون شاهدًا على الحدث قبل بدايته؛ فهو يضع أملًا كبيرًا -إن لم يكن أمله كله- على هذا المشروع الذي سيكون سببًا في إزالة أو الحد من الضرائب المفروضة عليه وعلى الشركة التي خلفها له والده بعد وفاته.. قضى آدم معظم يومه مترجلًا، أو واقفًا في الشمس، لم يستعمل سيارته إلا لمامًا، لذا عاد آدم إلى منزله في نهاية اليوم يكاد لا يقوى على ملامسة قدمه للأرض، دخل إلى غرفته مباشرة وبالكاد بدل ملابسه وتمدَّد على السرير وراح في نوم عميق.

رأى آدم نفسه مرة أخرى واقفًا خلف عدد هائل من البشر الأطفال والعجائز، اختفى الباب الذي فتحه المرة السابقة بحث عنه كثيرًا بعينيه ولكن لم يقابله سوى الفراغ.. فراغ هائل يمتد أمام ناظره حتى بدا له أن هذا الفراغ لا ينتهي أبدًا أو أن هذه الأرض قد تبدلت بأخرى بسيطة، واسعة، مستوية.. أقامت الساعة؟ فالأرض الوحيدة التي يعرف لها هذه المواصفات قد سمع وصفها حينما مرَّ اليوم على إحدى مقاهي وسط البلد عندما كان يتحدث مع العمال، سمعها في الصوت الذي كان ينبعث من الراديو الصغير، وقتها لم يدرِ لم لفتت انتباهه هذه الجملة وهذا الوصف بشدة، كان هذا الشيء الوحيد الذي استمعه، ولكنه متأكد أن ما يمرّ به الآن حلم.. شعر بشيء أملس يلتف حول قدميه فأجفل وقفز إلى الخلف -أو أراد ذلك- ولكنه لم يحدث فقد ظلَّ ثابتًا مكانه وكأن قدمه قد ثبتت إلى الأرض، شعر بالقلق والخوف ولكن حين نظر إلى أسفل ليرى ماذا يحدث، عندها ازداد رعبه وأخذ يقاوم بشدة يحاول أن ينفض هذا الشيء بعيدًا عن قدميه، ولكن قدمه لم تتحرك قيد أنملة، كان هذا الشيء يكبل قدميه والأسوأ أنه يزحف حول قدمه ويصعد على ساقه.. ثعبان هائل الحجم يزحف ملتفًا حول قدميه المشلولتين من الرعب الذي يسيطر عليه الآن، تخيل مئات، بل آلاف التوقعات التي قد يفعلها ثعبان بهذا الحجم بجسده الضئيل، ولكن ما حدث لم يكن في الحسبان ولم يرد له على خاطر ولم يتوقعه في أسوأ كوابيسه، ظلَّ الثعبان يلتف حول جسده حتى وصل إلى صدره

مكبّلا كلتي يديه وأصبحت رأس الثعبان خلف رأسه، وفي لحظات كانت بجوار أذنه تمامًا حتى أنه أصبح يسمع الفحيح الصادر منه.

لا يدري لِم تذكر الآن رمز إله الطب الشهير عند الإغريق والذي عُرِفَ أيضًا باسم "اسكليبيوس" وقد اتخذه الصيادلة شعارًا لهم والذي تطور ليصبح كأسًا -بعدما كان عصا- يعتصره ثعبان كبير وبدا تمامًا أنه يشبهه في هذا الوضع باختلاف أن الثعبان يلتف حول جسده وليس حول كأس، بدأ يشعر بتحرر قدميه قليلًا ولكن ما حدث بعدها جعله يتمنى لو أنها ظلت مقيدة إلى الأرض؛ فقد شعر بتحرر قدميه ولكنها أصبحت لا تلامس الأرض بل ترتفع عنها وبالفعل نظر إلى أسفل بعيدًا عن رأس الثعبان ليجده يرتكز على ذيله رافعًا جسد آدم عن الأرض وحدث ما كان آدم يخشى حدوثه، اقترب فحيح الثعبان من أذنه فحاول إبعادها ولكن الثعبان كان أسرع ويملك السيطرة التامة على جسد آدم، شعر بإبرتين حادتين يخترقان جانب رقبته ثم شعر بخدر فيها وارتخى جسده وانبسطت عضلاته، كان يحاول الفرار وتخليص جسده من الثعبان ولكنه كان أضخم ويلف جسده بإحكام، بدأ خيط من الدم يسيل على جانبي رقبته، ثم حدث شئ يعد دربا من دروب الخيال ولكن آدم تقبله لعلمه التام بأنه يحلم ولكن هل في الحلم يمكن للمرء الشعور بالألم الذي يشعر به الآن، حلم شديد الواقعية على ما يبدو.. أنّات خفيفة ندت عن آدم الذي كان الثعبان يلتف حوله أكثر ثم دوت الصرخة المدوية حينما بدأ الثعبان بعصر جسد آدم بقوة أكبر، آدم الذي صمت

تمامًا إلا من أنّات بين الحين والآخر حين رأى هذا المشهد الذي يحدث أمامه مباشرة وكان هو محور هذا الحدث الرهيب..

مع عصر الثعبان لجسد آدم كانت تتساقط نقاط من دمائه وكل نقطة تسقط على شخص بعينه من الجمع المتوقف تحته وكأن كل نقطة من دمه تعرف طريقها إلى كل شخص تقصده.. كل فرد تلمسه نقطة من دم آدم يمتصها جسده ثم يبدأ التحرك بالسرعة نفسها التي يتحرك بها آدم وكأن.. حين خطر على ذهنه تلك الفكرة طردها سريعًا؛ فهو لا يصدق إمكانية حدوث هذا الأمر، شعر بآلام شديدة تكاد تفتك به وكأنه على شفير الموت حتى نسى أنه يحلم.. أو ربما لا يحلم، ماذا إن كان ما يحدث له الآن هو الواقع؟ ولكن ما يراه قد حدث في حلمه الأخير ويبدو أنه الآن يكمله ولكن الآلام لا تحتمل حقًا؛ فهو يشعر بكل نقطة دم تسحب منه، لاحظ أن الغالبية العظمى من الجمع قد بدأت تتحرك، وبنظرة سريعة إلى الأسفل أدرك أن دمه على وشك الانتهاء بل هو بالفعل انتهى ولكنه ما زال على قيد الحياة، فكيف ذلك؟ لم يعد يتساقط منه نقطة دم واحدة، ولكن هيهات، ازداد عصر الثعبان له فشعر وكأن قفصه الصدري يتحطم وبدأ يكتنفه الدوار وعاد الدم مرة أخرى يتساقط كقطرات المطر على الجمع من تحته، كل من يتحرك منه ينظر إلى الأعلى بنظرة امتنان إلى آدم المعلَّق أعلى منهم، بدأت نقطة سوداء تظهر أمام عيني آدم، ثم بدأت تتسع حتى شملته وانتهى كل شيء.

04:54

كانت الغرفة غارقة في الظلام التام وآدم ملقى على سريره فاردًا ذراعيه، لم يتحرك حركة واحدة منذ سقط في غياهب النوم العميقة، ولكنه حين فتح عينيه في هذا الظلام الدامس كان يشعر وكأن جسده تحطم ولاقى صعوبة في التنفس ونتيجة الآلام في قفصه الصدري الذي يشعر أن جميع أضلاعه تداخلت وخدر في عنقه حيث عضه الثعبان في حلمه، هل كان واقعًا أم حلمًا واقعيا؟ فقدَ آدم حسه الزمني والمكاني هو ليس متأكدًا حتى أنه على سريره، ولكن الملمس الناعم والدفئ أكّدا له ذلك، حاول رفع يده ليتلمس عنقه ولكن يده خذلته، جاهد كثيرًا حتى استطاع الوصول إليه، لا شيء هناك، زفر بقوة وهو يشعر ببعض الراحة التي لم تدم طويلًا حتى سمع صوته..

-حقًا، كم هو ضعيف الإنسان!!

-خالد، كيف حالك؟ افتقدتك.

-حقًا؟!!

قالها الصوت بتعجب وسخرية في الآنِ ذاته، وكذلك كان آدم يسخر، ولكنه بالفعل بدأ يألف وجوده معه في هذه اللعبة، لذلك أكمل قائلًا:

-ماذا حدث لي هناك؟

-أخبرتك من قبل، أنا فقط من يلقي الأسئلة.

-ولكن من حقي أن أفهم!!

-ومن أعطاك هذا الحق؟

-نحن صديقان قديمان..

-أجل، نحن معًا منذ أمد بعيد، ولكن كيف تسمي نفسك صديقًا لي؟

-كنت تقول إن الإنسان ضعيف، ماذا تعني بذلك؟

-أجل، ضعفه يكمن من عدم قدرته على الفهم؛ فالمجهول دائمًا مرعب، ألم تدرك المعنى لما حدث لك في هذا الحلم؟

-كلا، حاولت ولكني لم أصل لشيء، حاولت ولكني لم أفهم، ألم تخبرني أن هناك فارقًا زمنيًا بينى وبين هؤلاء البشر، وأن الزمن يمر بي أسرع منهم؟ لذلك كنت أراهم ثابتين، كيف إذًا رأيتهم يتحركون؟ ماذا فعلت دمائي لهم؟

-إن نظرتك شديدة السطحية وتنظر إلى الأمور من منظورها المباشر.

-ماذا تعني؟

-أعني أنك حين قمت -راضيًا- بإعطائهم من دمائك، تلاشى الفارق الزمني بينكم وأصبح بإمكانهم مجاراتك في سرعتك.

-راضيًا!!! إذًا ماذا كان يفعل هذا الثعبان هناك؟

-كان هو الوسيلة التي ساعدتك للتنازل عن تلك الهبة، ألم ترَ كيف نظر الناس لك بامتنان شديد لمساعدتهم..

-نعم، ولكني كنت أتألم، ألم يلاحظ أحدهم ذلك؟

-الألم هو الضريبة التي تدفعها راضيًا للتخلص من العذاب الأكبر.

-الضريبة؟!!!!

الآن فقط بدأ آدم يفهم المعني الرمزى في حلمه، الآن فهم أن كل ما مضى كان يؤهله لتلك اللحظة التي يؤدي فيها دوره للمجتمع وهؤلاء البشر، الحلم بأكمله عبارة عن معنى خفي، الآن وضحت الصورة بأكملها؛ فهذا الجمع يمثّل الأطفال والمسنين الذين يقوم ببناء دار الأيتام ودار المسنين لهم للتخلص من الضرائب، كانوا في البدء يطاردونه وكان سلاحهم نقوده التي حجبها عنهم لأطماعه الشخصية أو ربما لغفلة منه وحينما وقع في مشكلة الضرائب، قرر آدم بمساعدة من خالد القيام بعمل ينتفع به المجتمع لتخفف عنه الضرائب أو تسقط تمامًا، وكان العمل الذي قررا الشروع فيه هو بناء دار الأيتام ودارًا للمسنين، حينها قرر آدم التنازل بنفس راضية عن هذا المال لمساعدة هؤلاء البشر، وكان المال الذي تبرع به متمثلًا في الدم الذي يعطيه لهم، وحين يصل لأحدهم نقطة يصبح قادرًا على تجاوز الفقر والفاقة وينظر لآدم نظرة تعبِّر عن امتنانه وشكره،

هنا توقف آدم أمام شيء في الحلم لم يجد له تفسيرًا، الثعبان.. أكان يمثِّل خالد أم الضرائب؟

زال عن جسده الخدر تمامًا وبدأ في استعادة نشاطه، فتحرك من مكانه ليسمع صوت فقرات ظهره وعنقه تأن من الألم ولكنه لم يهتم كثيرًا، اتجه مباشرة إلى زرّ الإضاءة وضغط عليه ليبهر عينيه النور المفاجئ فأغمضهما قليلًا ثم فتحهما ببطءٍ متوقعًا حدوث شيء سيء، حدسه يخبره بذلك، ولكن شيئًا لم يحدث بتاتًا، عاد مرة أخرى إلى سريره، تأهب للاستلقاء عليه حين لمح شيئًا يمرّ بقربه، نظر سريعًا ولكنه لم يجد شيئًا، كان ينظر مباشرة إلى المرآة، اتسعت عيناه مما رأى، قام ليتأكد مما يراه، لم يكن هذان موجودين من قبل، ثقبان شديدا الوضوح حيث لدغه الثعبان في الحلم، ولكن يبدو أنهما قد اندملا، إذ يبدو أنه أثر للدغة شديدة القدم حدثت منذ أمدٍ بعيدٍ، شعر مرة أخرى بشيء يمر سريعًا بجواره، نظرة سريعة، لا شيء، عاد ببصره إلى المرآة وهناك شيء ما خاطئ، بدأ انعكاس وجهه يتحول في المرآة، يتحول إلى...

مسخ، رفع آدم يديه ليتحسس وجهه ولكن انعكاسه لم يفعل مثله، بل انتظر قليلًا حتى اكتمل التحول ثم ابتسم، هنا صدر من آدم فعل ندم عليه أيما ندم، مدَّ يده لملامسة المرآة، كان المسخ يقلده هذه المرة ولكن المسخ مد كلتا يديه، وحينما لمس آدم المرآة تفاجأ بيد المسخ تخرج من المرآة وتمسكه من رقبته وتجذبه نحو المرآة، حاول المقاومة ولكن جسده لم يقاوم، كانت المقاومة من عقله، ولكن

جسده لم يستجب وكأن الاتصال بين عقله وجسده قد انقطع.. اقترب آدم من المرآة وكانت الصدمة قوية بحق ولكنه عبر، شعر بطنين هائل في أذنيه وألم في عينيه وكأنهما تحترقان، كان المسخ ممسكًا بيده ويقتاده ثم سمعه آدم يتحدث، ولكنه لم يميز الصوت جيدًا بسبب هذا الطنين الذي في أذنه، ولكنه فهمَ جيدًا ما كان يقول:

-مكانك في العالم الخارجي أصبح مرهونًا، والزمن لم يعد ملكًا لنا، أصبح الدخول هنا شديد الصعوبة

صمت كل شيء بغتة وعلم آدم أنها النهاية، نهاية هذه المرحلة من اللعبة.

04:59

خرج آدم من المرآة ليجد نفسه بكلوميرو، نظر إلى المرآة التي خرج منها توًا وهو يعلم ما سيراه جيدًا، بالفعل بدأ السواد يكسو المرآة التي تحمل الرقم "4" وكتب بخط واضحٍ كبيرٍ عليها بعدما تحولت إلى اللون الأسود تمامًا "04:59" وأصبحت عقارب ساعة يده تدور أبطأ من المعتاد؛ فهذه قوانين كلوميرو، هذه قوانين عقارب الساعة، لم يفهم لم يحدث هذا في هذه الغرفة تحديدًا، ولكنه لم يهتم كثيرًا بالسؤال، كان عقله وبصره وكافة جوارحه متعلقين بالمرآة السادسة، تساءل في نفسه: ترى، ما القادم؟ ليجيبه الصوت مرة أخرى:

-أما زلت لا تذكر شيئًا مما حدث قبل دخولك الغرفة؟

-كلا..

-ألا يراودك الفضول؟

-الفضول طبيعة بشرية.. وأنت بالتأكيد تعلم أنني أرغب في معرفة أين أنا؟ وما الذي أفضى بي هنا؟

-ألا تعلم المقولة الشهيرة بالفضول الذي قتل القط؟

-بلى، ولكن المعرفة أحيانًا مفيدة.

-أتعلم لم يصعب دخولك المرآة في هذه المراحل؟

-لِم؟

-أجزاؤنا مترابطة ارتباطًا وثيقًا بالزمن، وكلما مرَّ الزمن كلما سحب جزءًا من روحك معه.

-أتعني أنني...

-أجل قاربت على الانتهاء، فوقتك على وشك التلاشي، ومعه قد تتلاشى روحك إلى الأبد، هذا يعود إليك.

-وهل لي حق الاختيار؟

-ستعلم حينما يجب أن تعلم.

-تبًا لك ولألاعيبك، لقد سئمت من كل ما يحدث.

-هذه أفعالك، ليست ألاعيب، إن سئمت منها، فقد سئمت حياتك.

-أعترف أنني قد اقترفت أفعالًا أندم الآن عليها، ولكني كنت شابًا طائشًا.

-وهل أمهلك الزمن؟ كلا.. يمرّ الزمن عليك ويقضي على أيامك بلا أدنى شعور منك، والآن فلنعد إلى اللعبة.

تذكَّر آدم شيئًا فاستوقفه قائلًا:

-مهلًا.. من هذا المسخ الذي يلاحقني وأنهى هذه المرحلة؟

-ألا تعرفه حقًّا؟ أنت بهذا تسيء إليَّ وتقلل من شأني.. فلنعد الآن.

حاول آدم إيقافه مرة أخرى، إلا أن الصوت -خالد- لم يمهله ووجد آدم جسده ينتصب مواجهًا المرآة السادسة التي تحمل دائرتها المذهبة الرقم "5" وبدأ يتكون على مكان انعكاس قلبه في المرآة تمام الساعة الخامسة "05:00" كان لون الكتابة هذه المرة يميل إلى الأسود أكثر منه إلى الأحمر وبدأ الانتقال إلى المرحلة الجديدة، حينما بدأ آدم الاقتراب من المرآة، توقع الصدمة الشديدة التي سيمر بها؛ لذلك أغمض عينيه واستعد للصدمة ولكن انتظاره لم يدم طويلًا، إلا أن الصدمة هذه المرة كما توقع كانت أشد من سابقاتها، حتى شعر أن روحه تُسحَب من جسده، كان الألم لا يُحتمَل فأفلتت أنّة قوية من آدم تحمل كل عذابه وشعر بحبات العرق الباردة تتكون

على جبينه وحينما عبرَ آدم المرآة وقف يلهث بقوة قبل أن يدرك أين هو، أو الأدق متى هو! في أي مرحلة من مراحل حياته لتبدأ المرحلة الجديدة من اللعبة.

obeikandl.com

05:00

وسط أشعة الشمس الحارقة والأتربة التي تغطي المكان ووسط العمال الذين ينقلون الأحجار والرمال للبناء، وجد آدم نفسه واقفًا يراقب هذا الجمع المهول من البشر وهم يعملون بهمة ونشاط من أجل إنهاء أعمال البناء، الهمة والنشاط كانا لسببين، أولهما أنهم علموا أنهم يعملون عملًا خيرًا، سوف يساعدون به الأيتام وكبار السن، والسبب الثاني أن صاحب هذا البناء شديد الكرم ويدفع بسخاء للانتهاء سريعًا وفي أقرب وقت ممكن، كان آدم واقفًا يتابع أعمال البناء حينما سمع صوتًا يأتي من خلفه:

-ألا تحتاج بعض المساعدة؟

لم يميز آدم صوته جيدًا بسبب الصخب المحيط به فالتفت ليجد آخر شخص قد يتوقع وجوده هنا يعرض المساعدة، قال بدهشة لم يحاول إخفاءها:

-مصطفى، ماذا تفعل هنا؟ وهل أنت جاد بعرض المساعدة؟

ضحك مصطفى وكان آدم يعلم الإجابة على سؤاله الثاني مقدمًا:

-بالطبع لا، لم أجد شيئًا لأفعله فأتيتك.

-كيف عرفت بمكاني؟

-اتصلت بك كثيرًا على هاتفك، يبدو أنك لم تسمعه، وحينما لم ترد اتصلت على هاتف الشركة، فعلمت من هناك مكانك وأتيت إليك.

-تعالَ لنبتعد عن تلك الضوضاء.

ثم جذبه آدم من يده مبتعدًا عن أصوات الآلات التي تهدر حولهما وتجعل كل منهما يصرخ ليسمعه الآخر، دلفا إلى سيارة آدم، مع إغلاق الأبواب خفتت الأصوات ليبدأ كلاهما الحديث في وقتٍ واحدٍ، فلم يسمع أيّ منهما ما يقوله الآخر، ليضحك كلاهما ثم بدأ آدم الحديث:

-ماذا حدث؟ لا أصدق حقًا أنك أتيت لأنك لا تجد ما تفعله.

-لا شيء، مللت كل شيء فأتيت لأجلس معك قليلًا، لم أكن أدري أنك مشغول.

-يمكنك البقاء معي إن أردت.

كان آدم يحاول جذبه إلى بيئة العمل ليرى المتعة في إيجاد مقابل لتعبه وتقديره لكل ما يدخل جيبه من نقود لأنها أتت بعد وقت ومجهود، ولكن مصطفى كان أذكى من أن يقع في هذا الفخ –أو هو أغبى- لا يدري بالضبط، لكنه لا يريد الدخول في هذه البيئة المملة من وجهة نظره، كل شيء أصبح مملًا حتى المخدرات لم تعد تكفيه، يريد فعل شيء آخر أكثر جنونية، لكنه لا يدري ماذا يفعل، كان يتحدث مع آدم محاولًا جذبه هو الآخر ليفعلا شيئًا مما كانا يفعلانه أيام الطيش،

ولكنه صُدِمَ حين رأى آدم شديد الجدية في عمله ومتابعًا له بنفسه وشديد الشغف على إنهائه؛ فقال مقاطعًا آدم الذي كان يتحدث ولكنه لم يكن منصتًا.

-أريد فعل شيء جنونيّ.

-ماذا؟

-لا أدري، لا بد من كسر الروتين الممل الذي بدأ يسيطر عليَّ وعلى حياتي، لذلك أريد أن أفعل شيئًا جنونيًا.

-هناك شيء ما، ولا أدري إن كنت ستوافقني.

نظر له مصطفى بتوجُّس منتظرًا منه أن يكمل، فقال آدم بين التردد والحماسة فخرجت كلماته بصوت خفيض ولكنه مسموع:

-ما رأيك أن تعمل؟

كاد مصطفى أن يرفض الفكرة بشدة، ولكنه ما لبث أن فكَّر قليلًا، ثم قال بهدوء شديد وهو مستغرق في التفكير، ينظر شاردًا إلى آدم:

-حسنًا، لم لا؟ ولكن ماذا سأعمل؟

-سأعينك بالشركة معي، ولكن عليك بالالتزام، فلا صداقة بالعمل.

وتصافح الصديقان..

05:11

أظلمت الدنيا أمام عيني آدم ليدرك أنه سيدخل في حوار مع الصوت - خالد- المصاحب الوحيد المستمر معه في مراحل هذه اللعبة وبالفعل.

-لم؟

-لم ماذا؟

-لم أردت مساعدته بشدة؟

-أردت أن أجذبه من بحر الضياع الذي كدت أن أغرق به يومًا ما.

-ولكنك لم تصل للشاطئ حتى، وأنقذك أحدهم.

-بل موت والدي هو ما أفاقني، أما قبلها فقدمي بدأتا بالغوص، ووالدي كان مساعدًا في ذلك –دون أن يدري- كما فعل والد مصطفى.

-هل تظنه كان مخطئًا؟

-بل هو خطأ مشترك، ولكنهما كانا يعتقدان أن النقود هي الشيء الهام الذي سيرسم طريق السعادة لأولادهما، ولكن مع الحصول السهل على النقود، كان هذا سيتسبب في عدم قدرتنا على الاعتماد على أنفسنا في شتى أمور الحياة مستقبلًا.

obeikandl.com

-وهل تملك المستقبل؟ وما أدراك أن مستقبلك الآن سيصبح مزدهرًا؟

قابله آدم بالصمت التام، فأكمل الصوت قائلًا:

-حسنًا إذًا، يبدو أنك لا تتذكر ما حدث لصديقك الذي أردت جذبه بعيدًا عن طريق الهلاك.

هو لا يتذكر، نسى أو تناسى ما حدث من مأساة، بدأت تغزو ذكرياته رويدًا رويدًا، ولكن الصورة بأكملها لم ترتسم في عقله بعد وكأنها حدثت منذ أمدٍ بعيد.

05:15

انتظم مصطفى في العمل بالشركة لعدة أيام، وإن كان يبدو أن ذلك لم يؤثّر عليه كثيرًا كما اعتقد آدم، لم يتغير مصطفى وظلَّ كما هو مع مخدراته، صباحًا هو في الشركة، وفي المساء جلسة من جلسات المخدرات التي بدأ يستكشف منها أنواعًا جديدة، أقوى وتأخذه إلى عوالم جديدة؛ فالأصناف المعتادة لم تعد تكفيه ولا تسد احتياجاته.. حاول آدم أن يثنيه عن هذا الطريق مرات عديدة، كان مصطفى يستمع إلى المحاضرة التي يلقيها عليه صديقه، يهز رأسه مؤيدًا كلامه، يبدي الندم على ما يفعل من أخطاء فقط حتى ينصرف آدم ليعود إلى ما كان فيه ضاربًا بكل حرف قاله آدم عرض الحائط.. ولكن هذا الانتظام لم يدم طويلًا.

-ألم يأتِ مصطفى بعد؟

قالها آدم سائلًا أحد الأشخاص الذين يعملون في المكتب مع مصطفى:

-كلا، لم يأتِ بعد.

-من فضلك، حينما يأتي أبلغني مباشرة.

-حسنًا، سأبلغك بمجرد وصوله.

حاول الاتصال به كثيرًا ولكن هاتفه كان خارج نطاق الخدمة، دخل عليه خالد المكتب ليجده ممسكًا الهاتف ويبدو عليه الغضب، فقال مخففًا:

-قارب العُمَّال على الانتهاء من أعمال البناء.

-هذا جيد.

-ماذا بك؟

-لا شيء، بعض المشكلات الخاصة.

-أتحسبنى غبيًا؟! ما أنت فيه من غضب بسبب غياب صديقك الذي كنت تحاول مساعدته ولكنه لا يزال مصرًا على عدم الالتزام.

نظر إليه آدم بتعجب، فأنى له بمعرفة هذا الأمر الذي لم يخرج لآحد بتاتًا، قال خالد وهو ينصرف من المكتب:

-أرجوك يا آدم، لا تستهن بذكائي المحدود، وإلا قد يأتي اليوم الذي تتمنى فيه لو أنك اتخذتني كصديق لك.

لم ينتبه آدم لهذا التهديد الواضح في صوت خالد حينما رن هاتفه برقم مصطفى فالتقطه سريعًا ليسمع صوت صديقه ناعسًا:

-ماذا حدث لكل هذه الاتصالات؟ أقامت الساعة؟

-أين أنت؟

-نائمًا، أين سأكون؟ بالطبع في الشركة!

ثم انطلق ضاحكًا بضحكات يعرف آدم جيدًا متى تخرج بهذا الشكل.

-يبدو أن العمل جعل حس الدعابة لديك ينمو.

-لا تنفعل هكذا، سأقوم الآن وآتي سريعًا إلى الشركة.

-حسنًا، لا تتأخر..

لم يدر آدم أن هذه المكالمة ستكون الأخيرة بينه وبين صديق عمره، لم يدرِ أن مصطفى لن يعود بعدها للشركة أبدًا، للمرة الثانية في حياته يرحل شخص تاركًا إياه وحيدًا ويبتعد ربما للأبد؛ فبعد رحيل حبيبة كان مصطفى هو الشخص التالي الذي هجره للأبد، هجره في خضم أحداث كان في أمسّ الحاجة لوجود شخص بجانبه، يساعده ويحمل عنه همومه، كان مصطفى هو من يشاركه تلك الهموم، يا لقساوة الحياة حينما يختار المقربون منك الرحيل، يتركونك تجابه

جميع صعاب الحياة وحيدًا، تحاول الصمود ولكن الإنسان ليس بتلك القوة التي يتخيل نفسه بها، يحاول الصمود حقًا ولكنه يصبح كالجبل الذي يقف في مواجهة سيل من الأمطار التي يتعرض لها طويلًا لتصنع كل قطرة مياه ثقبًا صغيرًا يكاد يكون لا يُرَى بالعين المجردة، ومع مرور الوقت ينهار الجبل فجأة بعدما صمد طويلًا، وكذلك تصنع الهموم بالإنسان.

انتظر آدم طويلًا أن يأتي مصطفى بعدما أغلق الهاتف معه، لم يأتِ ذلك اليوم، حاول آدم الاتصال به كثيرًا بعدها، ولكن يبدو أنه أغلق هاتفه مرة أخرى، انتهى من العمل بالشركة وذهب إلى الشقة التي يجتمعون فيها، ودخل إليها باحثًا عن صديقه، بحث عنه في جميع الغرف، ولكنه لم يجد له أثرًا، يبدو أنه لم يأتِ إليها منذ عدة أيام، جلس ليستريح قليلًا وتمدد على أحد الأرائك ثم عاود الاتصال به مرة أخرى، ولكنه لم يسمع رنين الهاتف أو الرسالة المسجلة بأن الهاتف مغلق؛ فقد سقط الهاتف من يده، وسقط هو في حالة تشبه الإغماء، حالة اللايقظة واللانوم، نائم ولكنه يدرك كل ما يحدث حوله، مستيقظ ولكنه لا يستطيع فتح عينيه أو اتخاذ رد فعل ما، في تلك الحال يسهل على عقله أن يمرر له الصور الأحداث، في هذه اللحظات يكون العقل الباطن هو المسيطر على كافة الأمور.. بدأ سيل الذكريات مرة أخرى حيث انتهى من قبل.

أدار آدم محرّك سيارته وكاد ينطلق بها لولا أن فُتِحَ باب السيارة ودخل أحدهم ليجلس إلى الكرسي المجاور له، لم يميّز شكله جيدًا بسبب الظلام، دار بينهما حوار ما لم يميز منه آدم حرفًا، ويبدو أن عقله لا

يتذكره أيضًا، احتدَّ الحوار بينهما، كان آدم يتكلم بعصبية شديدة مشيرًا إلى الشخص الجالس بجواره، ثم يبدو أنه طرده من سيارته لسبب ما؛ فقد أشار بسبباته إلى الخارج وأشاح بوجهه عنه ليترجل الآخر من السيارة ويغلق الباب خلفه بعصبية شديدة حتى إن السيارة ارتجت "من هذا؟" قالها آدم في نفسه: "لم أنا شديد العصبية هكذا؟" نظر له ذلك الشخص من شباك السيارة حيث كان يجلس، ثم أشار متوعدًا لآدم، قبل أن تمر سيارة فتضيء كشافاتها المكان للحظة، لحظة ولكنها كانت كافية ليرى وجه ذلك الشخص ويتعرف إليه "ياللهول إنه..."

قطع سيل أفكاره رنين الهاتف المزعج فقام لاعنًا ذلك الاختراع الذي لم يمهله لحظات أخرى من الاسترسال داخل ذكرياته والتوغل داخل ثنايا عقله، كان المتصل رقم غير مسجل في هاتفه فضغط زر استقبال المكالمة ليأتيه صوت أنثوي، قالت له شيئًا جعله يعتدل جالسًا فردَّ بتوجس:

-نعم أنا آدم، من أنتِ؟

أجابت على سؤاله بشيء زاده حيرة ظاهرة من تقطب جبينه، فعاود سؤالها:

-ماذا حدث؟

ما كاد يستمع إلى أول كلمتين من حديثها حتى سقط الهاتف من يده، لم يعد يقوى على رفع يده الممسكة بالهاتف، حاول القيام فسقط

جالسًا مكانه مرة أخرى، انحدرت دمعة من عينه، تبعها الكثير حتى أصبحت عيناه كشلال من الدموع لا يستطيع إيقافه، لأول مرة منذ زمن طويل يبكي بهذه الغزارة؛ فما سمعه من تلك المتصلة كان أكبر من تحمُّله؛ فما أخبرته به للتو كان هو القطرة الأخيرة التي تسببت في انهيار الجبل الذي صمد طويلًا.

05:23

داخل أروقة المستشفى انطلق آدم حتى وصل إلى هدفه: غرفة صغيرة مكتوب عليها "المشرحة" يجلس على بابها جندي يتحدث في هاتفه ويبتسم، ما إن رأى آدم حتى أنزل الهاتف وهبَّ قائمًا سائلًا إياه:

-ماذا تريد؟

-لقد تم الاتصال بي للحضور للتحقق من شخصية إحدى الجثث.

-حسنًا تفضل.

فتح له الباب، دخل آدم وهو يؤخّر قدمًا ويقدم الأخرى رهبة لموقف الموت وخوفًا من صحة ما أخبرته به الممرضة التي اتصلت به ما إن ولج داخل الغرفة حتى اتسعت عيناه لما رأى هذا العدد من ضباط الشرطة الذين يقفون متحلقين حول أحد الأطباء وجثة ممدة على السرير، يملي عليهم تقرير تشريح الجثة ليكتبوه في التحقيق، هذا ما أدركه آدم للوهلة الأولى.

انتبه الجميع لدخول آدم فالتفتوا له متسائلين عن دخول شخص مدني في هذا الوقت الباكر، فسأله أحد الضباط عالي الرتبة كبير السن:

-من أنت أيها الفتى؟

-آدم أحمد عبد الواحد، تم استدعائي للتعرف على الـ .. الجثة.

قال الطبيب مشيرًا إلى السرير:

-فلتقترب يا ولدي، وتخبرنا إن كان هذا هو.

اقترب ببطء شديد وهو يتمنى أن يكون استدعاؤه خاطئًا ولا يرى تلك الجثة، وصل إلى السرير حيث ترقد الجثة رفع الطبيب الغطاء عن وجهه، شعر آدم أن الوقت يمر بطيئًا، وأن حركة الطبيب تتم بالتصوير البطيء حتى كشف عن وجهه تمامًا فشهق آدم، تمالك أعصابه وقال لهم بصوتٍ حاول أن يخرجه متماسكًا

-أجل هذا هو صديقي.. مصطفى.

ثم رأى نقطة سوداء أمام عينه تتسع وخرّ مغشيًا عليه..

حينما أفاق كانت أشعة الشمس تدخل إلى الغرفة، يقف بجواره طبيب شاب غير الذي كان معه في المشرحة، وكان معه ضابط حديث السن وأمين شرطة يجلس ممسكًا بدفتر وقلم مستعدًا لكتابة ما يمليه عليه الضابط الواقف أمام سرير آدم، اطمأن الطبيب على نبضه ومقدار وعيه ثم تركه للضابط ليجري معه ما يريد من

تحقيقات، عزاه الضابط في وفاة صديقه، وطلب منه أن يجيب عن بعض الأسئلة الروتينية إن كان يوافق فهز آدم رأسه موافقًا:

-متى كان آخر اتصال بينك وبين المتوفي؟

-صباح الأمس، حينما تأخَّر عن القدوم للعمل، اتصلت به.

-هل أخبرك بنيته في الانتحار؟

-انتحار؟ هل مات مصطفى منتحرًا؟

-أجل، هذا ماحدث، يبدو أنك لا تعلم ما حدث مع صديقك.

-كلا، لقد أخبروني في الهاتف مساء أمس، فأتيت مسرعًا.. من فضلك أخبرني ما توصلتم إليه.

-عصر الأمس اتصل أحد الأشخاص مبلغًا عن شاب قفز من فوق الكوبري إلى النيل، بحثنا كثيرًا حتى وجدنا جثته طافية بعيدًا عن المكان الذي أبلغ عنه المتصل، يبدو أن المياه قد جرفته، أخرجنا الجثة وكان قد انتهى الأمر.

-مصطفى لم يكن من الأشخاص الذين يميلون إلى الانتحار، فقد كان محبًّا للحياة وملذاتها.

-يبدو أن ذلك المخدر الذي وجدناه في دمه كان هو السبب في ذلك.

-أيّ مخدر؟ فهو لم يكن يدخن سوى الحشيش.

نظر له الضابط نظرة لائمة فتابع آدم قائلًا:

-كنت أعلم، وحاولت أن أثنيه كثيرًا عما يفعل، هل يمكن أن يسبب الحشيش ذلك؟

-لم يكن الحشيش، ولكن عقار الهلوسة LSD المنتشر بين الشباب هذه الأيام.

-لم تم الاتصال بي؟ لم ليس أحد من ذويه؟

-لأننا لم نجد معه أي إثبات لهويته، ولأن رقمك واسمك هما كل ما وجدناه في سيارته.

05:37

مع عودة هذه الذكريات إلى آدم ومعاصرته لها مرة أخرى كان في شدة الضعف والانهيار، حين ساد الظلام المفاجئ ظن أنه سقط في غيبوبة مرة أخرى، ولكن الصوت -خالد- انتشله من أفكاره تلك وعلم أنه في تلك المنطقة التي اختارها خالد ليتواصل معه أثناء مراحل اللعبة، دار هذا في ذهنه، ولكنه تفاجأ بسماع الصوت قائلًا:

-أجل، هي منطقة اخترتها للحديث معك، ولكنها ليست منطقة مكانية، بل هي منطقة زمنية.

-يبدو أن هذا لايهم كثيرًا، أين نحن أو متى نحن فلم يعد شيء يهم في ذلك.

-لا يهم بالنسبة إليك، لكن لي فهو لب الموضوع.

-هل أتيت بي لتعطيني محاضرة في أي مكان نحن؟

-بالطبع لا، لقد أتيت بك لأخبرك أن صديقك حاول التلاعب بعقارب الساعة، مخالفًا بذلك الناموس الأعظم ولكن -لحسن حظكم- اقتصر العقاب عليه وحده، كما أخبرتك من قبل أن محاولة التلاعب بهذه القوانين قد يتسبب في هلاك أمم بأكملها في الحال.

-أتناوله لعقار الهلوسة أصبح جريمة كونية عظمى؟

-ليست المشكلة في ذلك العقار، بل الهدف من تناوله، فما يحدث لك بعدها يكون ناتجًا عن رغبات في العقل يساعد ذلك العقار في إخراجها ويجعلك تعيشها مسببًا للحظات بعض السعادة التي لا تلمسها في أرض الواقع.

صرخ آدم مخرجًا كل غضبه وألمه في ذلك الشخص الذي يستهزئ بموت صديقه معتقدًا أنه بذلك يُعاقب على ما ارتكبه من جرم.

-أكلّ ذلك بسبب مخدر؟

-يبدو عليك عدم التصديق، فلترَ إذًا ما حدث لصديقك.

بدأت دائرة الضوء تحلّ محل ذلك الظلام واختفت جميع الأصوات من حول آدم، وجد نفسه في غرفة مصطفى الذي كان نائمًا حينما رنَّ هاتفه فرفعه لوجهه بتكاسُل ليرى من المتصل، كان آدم هو المتصل من الشركة ودار بينهما الحوار السابق الذي انتهى بأنه

سيقوم الآن ويذهب إلى الشركة، أغلق مصطفى الهاتف ثم تمدد على السرير مرة أخرى لتأخذه غفوة أخرى.. ظلَّ آدم واقفًا يراقبه بصمت حتى قام من على سريره واتجه إلى حيث يقف آدم ونظر في المرآة ليجد عينيه شديدتي الاحمرار نتيجة ما فعله بالأمس من تدخين للحشيش حتى وقت متأخر من الليل، هو لا يدري حتى كيف جاء إلى سريره، انطلق مقهقهًا بلا سبب واضح، قطع ضحكه الجنوني المتواصل رنين الهاتف، فالتقطه ليجد رقم والده فردَّ عليه بمرح، سُمِحَ لآدم بسماع طرفي المكالمة:

-مرحبًا أبي كيف حالك؟

-صباح الخير يا مصطفى، أنا بخير حال، كيف حالك أنت؟

-ماذا ترى من صوتي؟

-يبدو عليك السعادة، أريد أن أراك اليوم.

-لِم؟ هل ستأتيني بهدية ما؟

-حينما تأتي ستعرف، سأنتظرك في المكتب الساعة الثالثة عصرًا إلى اللقاء.

بدا العبوس على وجه مصطفى وهو ينظر إلى الهاتف، ألقاه على سريره ثم اتجه ليأخذ دشًا سريعًا؛ فالوقت قد قارب من الثانية، والطريق إلى المكتب قد يستغرق الساعة أو أكثر.

في مكتب والد مصطفى جلس آدم أمام صديقه مراقبًا مالم يرَ من أحداث أدت إلى وفاة صديقه أو انتحاره كما قيل له، دخل والد مصطفى إلى المكتب ليجد ولده في انتظاره بعد ميعاده بنصف ساعة، دار بينهما ترحاب يتسم ببرودٍ شديدٍ، ليس لقاء بين أب وابنه لم يلتقيا منذ شهر أو أكثر.

-ألا تريد نقودًا؟ هل لديك ما يكفي؟

بدا الضيق على وجه مصطفى وشعر به آدم، حينما يتحوَّل الأب إلى ماكينة لصرف النقود ولا يهتم بأيء شيء آخر، قال آدم ناسيًا أنه غير مرئي ولا مسموع لأيٍّ منهما موجهًا حديثه لصديقه.

-أخبره أنك تعمل الآن ولا تحتاج المزيد من نقوده، سيفخر بك إن أخبرته ذلك.

-نعم، لدي ما يكفي من النقود، هل أردت شيئًا آخر؟

قام الأب ودار حول مكتبه حتى أصبح بجانب ولده، ربت على كتفه قائلًا:

-حسنًا، إن أردت شيئًا فلت...

أبعد مصطفى يد والده من على كتفه وقال بغضب شديد:

-أجل أريد شيئًا ما.

-حسنًا أخبرني كم تريد لشراء ما تتمنى؟

-لا أريد نقودك، هناك أشياء أخرى، أشياء لا تُشترَى بالنقود، أشياء لا تكفي نقود العالم للحصول عليها، أشياء نسيتها عبر الزمن، نسيت أن لك ولدًا يحتاج إلى القليل أو الكثير من مشاعرك الأبوية، بعض الاستشارات والنصائح التي تساعد الولد على اختيار الطريق الصحيح واتخاذ القرارات واختيار الوقت الملائم لوضعها حيز التنفيذ.

-وهل قصرت معك يومًا ما؟ كل ما تمنيته تجده أمام ناظريك قبل أن تطلبه، وقفت بجانبك حينما علمت أنك تشرب المخدرات..

-أجل وقفت بجانبي، ليس لأنك تريد مصلحتي، بل خوفًا على اسمك من الصحافة، أتعلم شيئًا؟

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال وكأنه يزيح حملًا عن كاهله:

-أنا مازلت أعيث فسادًا وسط المخدرات، أأنت سعيد الآن؟

-ماذا تقول؟ ألم أخبرك أن تتوقف عن هذا مرة..

قالها بغضبٍ والشرر يتطاير من عينيه، نظر له مصطفى بسخرية ثم قال باستهزاء:

-أخبرتني!! إن كنت تريدني أنا أتوقف حقًا لقمت بعلاجي، لقمت بإجبارى على الدخول إلى مستشفى للاستشفاء التام من كل آثار المخدر، هذا إن كنت تهتم بي بالفعل.

قالها مصطفى ثم قام ليغادر المكتب غير عابئ بغضب والده الذي لحق به على باب المكتب قبل أن يفتحه، أمسك بيده ليجعله مواجهًا له، ونظر في عينيه قليلًا ثم رفع يده ليضربه، فأمسك مصطفى بيد والده وهو يعتصرها قائلًا:

-ليس من حقك أن تضربني.

-بل يحق لى ضربك لتأديبك فأنا والدك.

نظر له مصطفى بتحدٍ ثم قذف به إلى الخلف ليصطدم بالشماعة الموضوعة خلف باب المكتب ويسقط معها على الأرض مسببة جرحًا في جبينه، سال منه الدم وقف مصطفى ناظرًا له وللدم الذي يسيل على جبينه ثم قال بهدوءٍ شديدٍ:

-كلا، أنت لست والدي، أنت مصدر للنقود فقط، أنت بالنسبة لي بنك متحرك على قدمين.

ثم فتح الباب وغادر المكتب، تبعه آدم إلى سيارته ودخل إليها، جلس قليلًا مغمضًا عينيه ثم فتحهما وأخرج شيئًا من جيبه يشبه طابع البريد فتحه بحذر، رأى آدم ما يوجد به فعلم على الفور أن هذا هو عقار LSD الذي تسبب في مقتله، ولكن كيف؟

05:48

سمع آدم صوت خالد يسأله:

-أتريد معرفة ما شعرَ به حقًا؟

-بل أريد منعه من فعل ذلك.

-لايمكنك أن تمنعه، وأنت على عِلمٍ بهذا، سأسمح لك بتجربة ما شعر به وقتها.

-هل يمكن ذلك؟

-بالتحكم في عقارب الساعة يمكنني أن أجعلك تعيش أنت تلك اللحظات داخل جسد صديقك.

-ألم تخبرني أن هذا به خطورة شديدة؟

-على الجهلاء أمثالكم فقط.

شعر آدم بروحه تنسل بسلاسة لتدخل جسد صديقه الذي كان قد استنشق ما يحويه ذلك الطابع، مشاعر متضاربة متداخلة داخل عقل صديقه، حتى صفا عقله ورأى صورته متمثلة أمام وجهه، في تلك اللحظات كان آدم هو محور تفكير صديقه، كان لا يزال في وعيه فأخرج ورقة وقلمًا وكتب رقم آدم الذي يحفظه عن ظهر قلب واسمه ثلاثيًا.

بدأت الرؤية تتشوش وأصبحت الأشياء تتمايل أمام ناظره، تملَّكه إحساس بأن شيطانًا اقتحمه وسيطر على عقله وجسده وروحه، شعر أنه يريد التحرر ولكنه يزداد غرقًا في مقعده، الآن يريد التحليق في الهواء لينافس تلك الطيور التي تتخذ من السماء مسكنًا لها، يقاوم آدم ليغادر هذا الجسد، ولكن هناك ما يربطه إلى الأرض، أخذ يحرك يديه وقدميه كي تتحرر من تلك السلاسل التي تقيّده ولا يراها، لابد أن يخرج من هذا المكان الذي بدأ يشتعل، بصعوبة وصل إلى مقبض الباب وفتحه، دار حول السيارة واتجه إلى سور الكوبري حيث وجد من يناديه هناك، اعتلى قمة السور ونظر إلى الأسفل ليجد الكثير من البشر محلقين بأجنحة من نور يشيرون إليه أن تعالى لتتحرر من قيودك وتصبح مثلنا.. فردَ ذراعيه وقفز، مغمضًا عينيه، مستمتعًا بالهواء الذي يضرب وجهه وذراعيه.

شعرَ بأن المسافة قد طالت وأنه لن يصل أبدًا، فتح عينيه ليجد ذلك المسخ مرة أخرى يحدق فيه بعينيه، اقترب الماء بسرعة شديدة ثم حدث الصدام، على الرغم من أنه في جسد مصطفى إلا أنه شعر بقوة الصدمة وشعر أن جسده قد تقطَّع لأجزاء، رأى ذلك المسخ يسحب الجسد لأسفل المياه، ثم لفَّ حوله ووقف على ظهره ممسكًا برأسه وأخذ يجذبها لأعلى، بدأ آدم يشعر بالغرق، أخذ يقاوم من أجل استنشاق الأكسجين، يضرب الماء بيديه، وحينما فشل، سمح للماء بالدخول إلى رئتيه ليشعر بعذاب لا مثيل له.

الآن فهم ما يصنعه ذلك المسخ؛ فهو يخرج روحه من جسد مصطفى، ولكنه كان يتألم بشدة يشعر وكأن روحه يتم تقطيعها لتغادر ذلك

الجسد وحينما نجح في ذلك كان آدم يعاني من آلام شديدة، آلام روحية وجسدية مرهقة، سقط في غيبوبة شعر أنه لن يستيقظ منها أبدًا ولكنه استيقظ.

استيقظ آدم ليجد نفسه ما زال راقدًا على الأريكة في الشقة التي كانت تجمعه بصديق عمره الذي فقده، شعر بخطّين ساخنين يسيلان على خديه، ظلَّ يبكي طويلًا حتى تمالك نفسه وبدأ يتحدث:

-لِم تفعل بي هذا؟

-أنا لا أفعل شيئًا، هذه حياتك، هذه أيامك التي قضيت كل ساعة وكل دقيقة منها باختيارك، أنا فقط أريك ما لا تستطيع رؤيته بسبب قصورك البشري، أريك أعمالك من منظور آخر.

-أنا أتعذب حقًا، لقد أقررت لك بأنني قد أخطأت، ونادم على ما اقترفت من أخطاء.

-أنا أعلم هذا، ولكن من بدأ شيئًا فعليه إنهاؤه.

-ولكني لم أختر تلك البداية، أنت من اختر ووضعني فيها دون إرادتي.

-لا شيء يحدث دون إرادتك، فأنت من يرسم الطريق في كل خطوة تخطوها في تلك اللعبة، في كل دقة مع دقات عقارب الساعة في هذا الزمن، والآن فقد أوشكت تلك المرحلة على نهايتها فلتكمل ما بدأته.

05:55

وقف آدم في عزاء صديقه لاستقبال المعزين؛ فقد رفض والده أن يتقبَّل العزاء في ولده لما فعله به قبل موته مباشرة؛ فما زالت الضمادات تغطي جبهته، حين انتهى العزاء وبدأ العمال في جمع المقاعد وانطفأت الأضواء، تذكَّر آدم تلك الذكريات التي كانت تنساب لعقله محاولة إنعاش ذاكرته؛ فقد كانت تلك المشاهد تتشابه تمامًا مع الموقف الذي يمرّ به الآن، هل كان هذا آخر مكان يتواجد به آدم قبل دخوله إلى تلك الغرفة أم هي مجرد هلاوس فقط.

بخوف شديد اتجه آدم إلى سيارته التي يراها رابضة على بعد عدة أمتار، حين وصل إليها تلفت حوله باحثًا عن ذلك الشخص الذي دخل إلى سيارته وتحدث معه، ولكنه تذكر أن هناك بعض المواقف غير مكتملة، فهو غادر العزاء بعد انصراف جميع المعزين ولم يجرِ الحوار الذي حدث بينه وبين الأشخاص الذين يعرفونه جيدًا، كما أن ملابسه مختلفة، ليست كما يرى نفسه في تلك الذكريات، دخل إلى سيارته وأدار محرّكها وانطلق حتى وصل إلى منزله، جلس داخل السيارة أسفل المنزل وظلَّ يبكي صديقه الذي فارقه إلى الأبد، ذلك الناصح الذي كان يلجأ له حينما تضيق به الدنيا، حاول أن يردّ له الجميل بإبعاده عن طريق المخدرات ولكنه لم ينجح وابتعد عنه إلى الأبد.

وكأن السماء قررت أن تشاركه حزنه فانهالت الأمطار بغزارة شديدة ليترجل هو من سيارته ويقف تحت الأمطار رافعًا يديه إلى الأعلى وكأنه يطلب من السماء أن تغسله من همومه وأحزانه التي تثقله ولم يعد له قِبَل بها، كم هو مؤلم الشعور بالوحدة حين تعرف أن صديقك الوحيد لم يعد موجودًا إلى جانبك، سار باتجاه منزله وصعد درجات السلم حتى وصل إلى شقته ليجد والدته بانتظاره أمام الباب، ما إن دخل حتى استقبلته بمنشفة تجفف بها جسده، احتوته في حضنها وهي تجفف رأسه واحتضنها هو الآخر وظلَّ يبكي بين ذراعيها وهي تربت على ظهره وتدعو له بالصبر والنجاح، خرج من بين ذراعيها واتجه إلى غرفته وهو يعلم جيدًا ما سيحدث، بالفعل ما إن خطا بداخلها وأغلق الباب خلفه حتى وجد المرآة تهتز وكأنها تحولت إلى سائل، اتجه إليها ولمسها بسبابته ثم خطا بداخلها.

05:59

كان الانتقال هذه المرة شديد السهولة على عكس ما توقع آدم؛ فهو قد هيَّأ نفسه لمواجهة الآلام الشديدة التي أصبح يعانيها في الانتقال المرات الأخيرة، انتهى الانتقال ودخل آدم كلوميرو ليسمع مُحدثه يقول له مرحّبًا:

-مرحبًا بعودتك يا آدم، لقد اخترت الدخول بإرادتك الحرة هذه المرة.

-شئت أم أبيت فهذه قوانين اللعبة ولا بد أن أمرّ بها.

-أتعلم لم كان الانتقال سهلًا هذه المرة؟

-هل لأنني دخلت بنفسي؟

-هذا أحد الأسباب، والسبب الآخر فلنقل إنني شعرت بك وبحزنك فاخترت ألا ألقي عليك المزيد من الآلام.

-يا لرقة قلبك.

-حسنًا، لقد انتهينا من الترحيب والآن فلندخل مباشرة في المرحلة الجديدة، دعني أبدأها بسؤال بسيط.

-وما هو هذا السؤال؟

-أتعلم لم أسمتك أمك آدم؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال؟

-لم؟ لأنها كانت تحب هذا الاسم؟

-بالطبع لا، ولكنك كنت مولودها الأول، فأرادت أن تجعل اسم مولودها على اسم أول مخلوق بشري.

-أنى لك بمعرفة تلك المعلومة؟ أم أنها مجرد تخمين؟

-حسنًا، دعنا نرى.

اتجهت أنظار آدم إلى المرآة السابعة التي تحمل دائرتها المذهبة الرقم "6" وقف أمامها متأملًا جسده الذي هزل عن أول مرحلة وذلك السواد الذي غزا أسفل عينيه ولونه الذي شحب كثيرًا، يا للهول لقد أثرت هذه اللعبة على جسده وروحه، يبدو أنه لن يتحمل كثيرًا، أَمَلَ أن ينتهي سريعًا ويموت، ولكن يبدو أن هذه الأمنية أصبحت

خارج نطاق حساباته؛ فخالد لن يسمح له بذلك، سيجعله يتمنى الموت ولن يناله.

شعر بأن قدميه قد تم تقيدهما إلى الأرض، وأن جسده أصبح لا يطيع أوامره، وأن له إرادته الخاصة أو إرادة خالد الذي يتحكم به، فزع حينما رأى الوقت الذي يرتسم على انعكاس قلبه في المرآة "06:00" فقد كان باللون الأسود القاتم، أسود تمامًا لم يعد يمتّ للون الأحمر بصِلَة، شعر بجسده يقترب من المرآة، ولكن هذه المرة كان الاصطدام أشد ما يكون، يبدو أن خالدًا يهوى أن يخالف توقعاته دائمًا، شعر بأن روحه وجسده سينفصلان، أحدهما فقط هو من سيسمح له بالعبور، صرخة قوية لم يحبسها آدم وأطلق لها العنان؛ فالألم لايطاق وحينما تم الانتقال سقط آدم على الأرض قبل أن يدرك المكان حوله وتبدأ المرحلة الجديدة من اللعبة.

o'belkandl.com

obeikandl.com

06:00

حينما أفاق آدم من آلامه وبدأ يدرك المكان من حوله، وجد نفسه مرة أخرى في مستشفى، ولكن هذه المستشفى كانت مجهزة بمعدات فقيرة، أقل تطورًا من الأولى؛ امرأة ممددة على السرير تنطلق من فمها أنّات خفيفة أو هي تجاهد لإخفائها؛ فهي لا تريد أن تبدو بمظهر الضعف والخوف أمام الممرضات وطبيبتها التي ستدخل بعد قليل لتضع هي مولودها الأول، أظلمت الدنيا للحظة خاطفة وأضاءت مرة أخرى وكأنها فلاش كاميرا ليسمع صرخات مولود تشق السكون وأمها الراقدة على السرير ترفع رأسها لتختلس النظرات لمولودها، أو دعنا ندقق ونقول مولودتها الأولى وزوجها الذي دخل والسعادة بادية على وجهه، فها هو بعد ما يقرب من السنوات العشر من الزواج يرزقه الله بهذه المولودة، كان يرغب بولد يحمل عنه همومه، ولكنه لم يهتم؛ فهو الآن يحمل طفلة من صلبه ستحمل اسمه، سألته زوجته:

-ماذا سنسميها؟

-لقد استجاب الله لدعائنا، سنسميها دعاء.

-اقترب، دعني أراها، دعاء ابنتي.

قالتها حالمة وكأنها تتذوق الاسم على لسانها، اقترب منها زوجها وضمَّ كليهما، حينها أدرك آدم من هؤلاء.. والدته، جده وجدته فأمه كانت

الطفلة الوحيدة لهما ولم يشأ الله أن يرزقا بغيرها، مرة أخرى أظلمت الدنيا وأضاءت أمام عينيه ليجد نفسه في مدرسة للابتدائية يقف بعض الطلبة والطالبات على مسرح للتكريم، كانت حفلة لتكريم الطلبة الأوائل، والدته كانت إحدى الطالبات اللائي يتم تكريمهن، انتهى التكريم وانطلقت دعاء إلى والدتها لتقبّلها وكانت في قمة سعادتها، أثناء عودتهما للمنزل أصابت والدتها وعكة، طلبت منها دعاء الذهاب إلى الطبيب، ولكنها طمأنتها أنها شيء صغير ولا يستحق الاهتمام؛ فيكفي فرحتها اليوم بابنتها التي ستنتقل إلى المرحلة الإعدادية بعد خمس سنوات تكللن اليوم بالتكريم.

في المساء استيقظت دعاء على جلبة من الخارج وعويل من جارتهم لتهب فزعة من سريرها وتنطلق إلى مصدر الصوت لتجد والدها يغطي وجه والدتها وهو يتمتم ببضع آيات من القرآن ويسكت تلك الجارة التي أتت هي الأخرى على صوت الجلبة، حين رأى دعاء مصدومة واقفة على الباب ناداها لتقترب منه وحينما أتت ضمها إليه لتسأله هي وعيناها معلقتان بوالدتها المغطاة من رأسها حتى أخمص قدميها:

-أبي، لم غطيت أمي هكذا؟

-يا بنيتي لقد كبرتِ ويمكنني أن أخبرك أن والدتك قد انتقلت إلى مكان أفضل، لقد انتقلت إلى جوار الله.

-هل ستتركنا؟ هل ماتت أمي؟ لم اليوم؟

-هـذا قضـاء الله وقـدره، ومـا علينـا سـوى الرضـا والـدعاء لهـا أن يتغمدها الله برحمته.

-هل ستدخل الجنة؟

-لندعو الله لها بذلك.

ضمها إلى صدره أكثر وقبَّل رأسها، كانت دموع آدم تنساب من براءة تلك الطفلة التي نسى أنها أمه ولم يرها سوى طفلة فقدت والدتها للتو.

06:16

في ذات المنزل بعد بضع سنوات، في صباح مشوب بالقلق جلس آدم بجوار والدته وجده يستمعان إلى أرقام تُتلى في الإذاعة، كانت هناك بعض الأرقام التي لا يذكرها الرجل الذي يتلو تلك الأرقام، أخذ آدم بعض الوقت حتى أدرك أن هذه نتيجة الثانوية العامة، ظلا على هذا الوضع حتى ذكر الرجل رقمًا ما فقام جده مهللًا، وقامت والدته سعيدة واحتضنت والدها، ارتسمت البسمة على وجه آدم رغمًا عنه؛ فها هو يرى نجاح والدته واجتيازها مرحلة الثانوية العاملة بنجاح.

تذكَّر جده شيئًا ما فأشار إلى دعاء أن تنتظره، ثم عاد وطلب منها أن تغمض عينيها فقالت له:

-ماذا ستفعل؟

-مفاجأة بمناسبة نجاحك.

أغضمت عينيها؛ فشعرت به يلتف من خلفها وألبسها شيئًا ما، ثم طلبَ منها أن تفتح عينيها، فتحتهما لتجد قلادة على شكل قلب معلقة في رقبتها فتحتها لتجد صورة والدتها في جزءٍ منها، وفي الجهة الأخرى صورة طفلة صغيرة.

-ما هذا؟

-هذه هدية، كانت والدتك تحتفظ بها لهذا اليوم، كانت تود أن تلبسها لك بنفسها.

-كم أفتقدها الآن، كم أتمنى أن تكون معي.

-هي معنا الآن بروحها، وبالتأكيد هي سعيدة بنجاحك.

مسحا دمعات انسابت من أعينهما، دموع الفرحة مختلطة بدموع أخرى حزينة مفتقدة محبة، تكللت بضمة أبوية حانية لابنته.

عاش آدم معهما معاناة التنسيق والطوابع والأوراق، وكان حاضرًا يوم جاءها مظروف مغلق من البريد يحتوي على جواب قبولها في كلية التجارة وتجددت السعادة مرة أخرى في ذلك المنزل.

في اليوم الأول لبداية الدراسة أوصلها والدها إلى الجامعة بنفسه قبل الذهاب إلى عمله.

06:21

لاحظ آدم اختلاسها للنظرات لذلك الشاب الذي يختلس النظر إليها، في البداية تضايقت من ذلك، ولكن طالما هو بعيد فلم تلقِ بالًا للأمر؛ فقد كانت مثالًا للأخلاق، الالتزام والتفوق وسط زميلاتها، لم تتحدث إلى شاب إلا فيما ندر وقد صدت كل من حاول التودد إليها طوال الأعوام الثلاثة السابقة لها في الجامعة، ذلك الشاب لم يكن سوى والده "أحمد عبد الواحد" الذي فاجأها بزيارة في منزلهم لمقابلة والدها والتقدم لها رسميًا، بالطبع كاد يغمى عليها من المفاجأة، حينما سألها والدها عن رأيها لم تجبه من شدة خجلها فتوكل على الله وأتم الخطبة، في نهاية السنة الثالثة تم الزواج بحضور والدها وعدد من الأصدقاء وبالطبع آدم.

-أتعلم ماذا سأسمي مولودنا؟

-ماذا ستسميه؟

-سأسميه آدم..

-وإن كانت فتاة؟

-بالطبع سأسميها حواء.

-أليس لي الحق في اختيار اسم ولدي؟

-كلا..

قالتها دعاء بعند طفولى الذي ما إن سمع هذه الكلمة حتى قام حاملًا إياها ودار بها في أنحاء الغرفة، علت ضحكاتهما سوية.

- ماذا تفعل أيها المجنون؟ ألا تخاف على ولدك؟

-هل ستتركينني أختار له اسمًا؟

-حسنًا، ضعني أولًا وأخبرني ماذا ستسميه؟

وضعها على السرير مقبّلًا إياها ثم قال غامزًا بعينه:

-سأسميه آدم

ضربته في كتفه وأخبرته في جدية:

-أتعلم لم اخترت هذا الاسم؟

-لِم؟

-لأنه اسم أول مخلوق بشري، وأريد أن أسمي ولدنا تيمنًا بهذا الاسم.

-يبدو سببًا مقنعًا.

06:33

سمع آدم صوت محدثه مرة أخرى:

-هذا ما لم ترَه من حياة والدتك.

-لِم تريني هذا؟

-هذا له علاقة بما هو قادم بعد قليل، ألا تريد معرفة أين كنت قبل دخول هذه اللعبة؟

لم يستطع آدم الرد من شدة ذهوله، هل هذا صحيح؟ هل سيخبره بما حدث؟

-يبدو أنك لا تصدقني، حسنًا دعنا نرى ما حدث.

عاد آدم مرة أخرى إلى غرفته بعد عودته من عزاء صديقه، جسده كله مبلل من المطر، ما إن جلس على سريره حتى فُتِحَ الباب لتدخل والدته، وجدها آدم تحمل بعض الطعام الساخن الذي تتصاعد منه الأبخرة وطلبت منه أن يبدّل ملابسه حتى لا يصيبه البرد ووضعت الطعام على منضدة بالغرفة، كانت تستدير مغادرة الغرفة ثم وقفت فجأة ممسكة ببطنها فقام إليها آدم أسندها وأجلسها على الكرسي ثم سألها واللهفة بادية على وجهه:

-أمي ماذا بك؟

-لا شيء، مجرد وعكة لاتقلق.

-لا بد أن نذهب إلى الطبيب لنطمئن عليكِ.

ابتسمت والدته وربتت على رأسه:

-لا يا ولدي، فالأمر لا يستحق، أنا بخير.

ولكن كلاهما الآن كان يعلم أنها ليست بخير، كلاهما يتذكر ما حدث لوالدتها منذ أعوام حينما أتتها ذات الوعكة، وقتها آدم لم يهتم، أما الآن فهو يعلم جيدًا، ولكنه مسيَّر لا يستطيع تغيير ما حدث، والذي حدث وقتها أن والدته قامت وتوجهت إلى غرفتها.

لم ينم آدم ليلته تلك، وظلَّ يتردد على غرفة والدته ليطمئن عليها، وفي الصباح لم يذهب إلى الشركة وظلَّ ملازمًا لها، قائمًا على خدمتها، تعافت والدته من تلك الوعكة الصحية وطلبت من ولدها أن يستريح قليلًا؛ فهي تعلم أنه ظلَّ بجوارها طوال الليل، مع إصرارها قام آدم ذاهبًا إلى غرفته، تمدَّد على السرير وغرق في نوم عميق.

استيقظ فزعًا على صوت يناديه ظنًا منه أنها والدته، ولكنه حينما أفاق أدرك أن ذلك الصوت هو ذات الصوت المصاحب له على مدار الساعات الماضية من اللعبة.

-ماذا تريد؟

-قم، فوالدتك لم تشفَ تمامًا.

-ماذا تقصد؟

-حينما رأتك متعبًا جوارها أشفقت عليك فتصنعت الشفاء، ولكنها الآن...

ثم صمت الصوت، فصرخ فيه آدم:

-الآن ماذا؟

-من الأفضل أن تقوم بنفسك؛ فهذا ما لم ترَه من قبل، وما يحدث الآن سبب مهم من أسباب دخولك تلك الغرفة.

قم آدم فزعًا جاريًا على غرفة والدته ليجدها ترتب سريرها، ناداها:

-أمي أأنتِ بخير؟

لم ترد عليه، فأعاد سؤاله فلم تلتفت له؛ ففهم ما يحدث فهو لم يكن حاضرًا ذلك الوقت؛ فهو الآن يراها وهي لا تشعر بوجوده، استندت على السرير بيديها وسعلت بقوة، رأى آدم قطرات من الدماء تخرج من فمها، سقطت بوجهها على السرير وهي ما زالت تسعل والدماء تتناثر على السرير، صرخ بكل قوة:

-ألا يمكنك أن تجعلها تراني؟

-كلا، فهذه قوانين عقـ...

-تبًا لك ولقوانين عقارب الساعة، هذه أمي أريد إنقاذها.

-لا يمكنك ذلك، ولا يمكنني مخالفة القوانين.

بكى آدم بحرقة، اقترب منها ودموعه تنساب وهو يقترب منها، كم يود احتضانها الآن ليحميها ويطمئنها أنه بجوارها، اقترب منها هامسًا:

-سامحيني يا أماه، أرجوكِ سامحيني.

رأى شفتيها تتحركان بشيء ما، فاقترب منها ليسمعها تهمس باسمه، اقترب أكثر فسمعها تقول:

-آدم، أحبك يا ولدي، سامحني لكذبي عليك، أحبك..

ثم تحشرج صوتها واحتبست الكلمات في حلقها ثم بدأ صوت يبدو كصوت الشخير يخرج من حلقها، جسدها ينتفض، وجدها آدم تبتسم ثم شهقت بقوة وصمتت تمامًا وسكن جسدها إلى الأبد، ظلَّ آدم يراقبها لدقائق لا يستطيع الكلام من هول الصدمة؛ فقد ماتت والدته أمام عينيه ولم يستطع أن يفعل أي شيء، كم يود الاعتذار منها على أشياء كثيرة، ولكن الأوان قد فات، وسبق السيف العذل.. الآن تذكَّر آدم، الآن أدرك ما حدث قبل دخوله هذه اللعبة، أمام عينيه توفيت أمه وشعر أنه فقد كل مسببات الحياة والسعادة في هذه الدنيا.

جلس عند قدمي أمه يبكي بحرقة طالبًا رضاها لعلَّ روحها تشفع له أفعاله غير عالِم أنها ما غضبت منه يومًا

-أتبكي الآن؟ ألآن تطلب رضاها؟

-أردت أن أعوّضها عما بدرَ منّي طوال السنوات السابقة، كنت غبيًا ولم أدرك أي كنز كنت أملك، الآن أعلم أن نقود العالم كله لن تعوضني عنها، عن لحظة أرى البسمة مرتسمة على ثغرها، عن دعوة تدعوها لي في جوف الليل.

اكتفى الصوت بهذا الكم من الحديث تاركًا آدم يذرف دموع الندم والحسرة.

في هذه اللحظات في الماضي كان آدم غارقًا في نومٍ عميقٍ نتيجة تعبه لسهره بجوار أمه، وحينما استيقظ ووجد أمه على هذه الحال لم يدرِ ماذا يفعل ولا كيف يتعامل مع هذا الموقف، مصدومًا اتصل بعمه وأخبره بكلمات مقتضبة أن امه قد ماتت ولا يدري ماذا يفعل، لم يصدق عمه أذنيه ولو لم يكن شاهدًا على تغيُّر آدم بنفسه لظنها إحدى ألاعيبه، فطلب منه عمه الانتظار، وفي عدة دقائق أتى عمه مصطحبًا أحد الأطباء الذي أكد وفاتها.

06:46

كان آدم في أشد حالاته بؤسًا؛ فخلال يومين متتاليين فقد آدم أهم شخصين في تلك المرحلة من حياته، تم دفن والدته بجوار زوجها في بلدته كما طلبت وعاد آدم مع عمه من المقابر ليجد بعض العمال ينصبون صوانًا كبيرًا لاستقبال المعزين، لم يهتم آدم لمعرفة من طلبَ ذلك، كان يريد العودة لبيته في أسرع وقت، ترك عمه يقوده إلى غرفة ما، أدخله إليها وطلبَ منه أن يستريح حتى يحين موعد

العزاء ليكون في استقبال من سيأتى ليعزيه ثم خرج وأغلق عليه باب الغرفة.

دخل آدم الغرفة ليجدها غرفة صغيرة تتكون من دولاب لحفظ الملابس، سرير ومنضدة أمامها زوجان من الكراسى، فوق المنضدة توجد صينية كبيرة مغطاة، اقترب آدم وكشف الغطاء ليجدها مليئة بأنواع مختلفة من الأطعمة، ولكنه زهد الطعام فغطّاها مرة أخرى ثم استلقى على السرير محاولًا النوم إلا أنه لم يستطع النوم أيضًا، فظلَّ مستلقيًا منتظرًا سماع صوت خالد، إلا أن انتظاره طال وخالد لم يتحدث إليه فقام يدور في أرجاء الحجرة حتى سمع دقات على باب الغرفة فسمح لمن يدق الباب بالدخول فدخل عمه ليطمئن عليه إن كان يريد شيئًا، ولكن آدم طمأنه بأنه بخير حال وإذا أراد شيئًا سيبلغه، لاحظ عمه أنه لم يمس الطعام فطلب منه أن يأكل شيئًا يقيم صلبه ثم خرج وأغلق الباب خلفه.

عندما يئس آدم من أن يتحدث إليه خالد بدأ هو الحديث

-أين أنت؟ لم لا تتحدث معي؟

-أنا معك دائمًا وأبدًا فقط أتركك لتراجع حساباتك وتسترجع ذكرياتك.

-تقصد أسترجع أحزاني وآلامي! ماذا فعلت بك لتفعل بي هذا؟

-الآن ستعلم ماذا فعلت بي؟ لِم تتعجل الأمور؟ دع عقارب الساعة تدور ومعها ستعرف كل شيء في حينه.

-أخبرتني أني سأعلم ما حدث قبل دخولي في تلك اللعبة.

-استعد، فالعزاء على وشك البدء.

صمت خالد ليسمع دقات عمه مرة أخرى على باب الغرفة فأخبره أنه سيخرج الآن، بالفعل عدّل من هندامه ثم خرج مع عمه إلى العزاء، متشحًا بملابسه السوداء، الحزن بادٍ على كل لمحة منه، وقف آدم بجوار عمه لاستقبال كل من أتى ليعزيه في مصيبته، حينما جلس آدم أخيرًا بدأ يتأمل في وجوه الجالسين، جميعهم يرتدون الملابس السوداء محاولين بصعوبة بالغة الحفاظ على ملامح الحزن مرسومة على وجوههم، لاحظ آدم شخصين جالسين يتحدثان في صمتٍ بينما يكتم أحدهما ضحكه بصعوبة بالغة، ولكن هزات كتفه تفضحه وحينما التقت عيناه بعيني آدم وضع وجهه في الأرض بخجل مصطنع أيضًا، هناك بعضهم حزين بصدق لا بد أنه تذكر عزيز عليه فقده يومًا ما "مخادعون، كلهم كذلك" قالها آدم في نفسه، استأذنه عمه في بضع دقائق فأذِنَ له آدم؛ فهو الوحيد الذي يبدو عليه الحزن الصادق والأسى البالغ ولم يذق طعم النوم منذ أن علِمَ بالخبر وظلَّ بجوار آدم بل قام بنفسه بعمل اللازم من أجل إنهاء جميع الإجراءات بسهولة ويسر حتى لا يثقل عليه.

مرت الدقائق عليه كأنها سنوات، سنوات من الزيف والخداع من جميع من هم حوله، الكثير من الحقائق المزيفة يرسمها له كل شخص يريد منه شيئًا ما "زائفون" مجموعة من الممثلين الذين يرتدون أقنعة يخفون بها وجوههم الحقيقية، كم يرغب أن يقوم مصفقًا لهم على براعتهم في خداعه -أو هكذا يظنون- فكل شخص

يتحول إلى حرباء تتلون متناسبة مع ما ترغب، تتلون لتناسب البيئة المحيطة، أو يقوم فيطردهم جميعًا فلا حاجة له بالمزيد من الخداع.

انتهى العزاء فقام مجمعًا أشلاءه المبعثرة، صافح العديد من الأشخاص الذين سلموا عليه بحرارة وواسوه بعبارات معتادة في مثل هذا الموقف، لا أحد يشعر بما يشعر حقًا، فقط يحفظون بعض العبارات يلقونها وكأنهم يتخلصون منها ببصقها في وجهه، ثم يغادرون راضين عن أنفسهم، استوقفه أحدهم عرف نفسه بأنه عم والده وسأله:

-كيف ستذهب الآن؟ فلتبق الليلة معنا.

-لا بد أن أذهب، فعندي بعض الأعمال صباحًا.

-هل ستعمل ووالدتك متوفاة؟

أراد آدم أن يخبره أن هذا ليس من شأنه، بالطبع لم يكن ليذهب إلى عمله، ولكنه أراد الذهاب من هذا المكان، فردَّ بلباقة:

-بعض الأعمال لابد أن أنهيها بنفسي.

سلَّم عليه آدم وابتعد قليلًا، بحث عن عمه قليلًا حول المكان ولما يئس من أن يجده اتجه إلى سيارته بخطوات مهمومة مثقلة، خطوات وئيدة متمهلة وكأنه يحمل جبالًا على كتفيه، حينما تموت الأم يشعر الابن أن هناك جزءًا منه قد انكسر، أن جرحًا قد انفتح ولن يندمل مهما طال الزمن ومهما تناول من مسكنات؛ فالألم لا يُحتمل، يشعر

أن خنجرًا مسممًا قد ضُرِبَ بقوة في قلبه، كيف سيدخل البيت ولن يجد رائحتها به، لن يجد لها أثرًا به بعد الآن.

وصل إلى سيارته الرابضة في الظلام، فتح الباب وألقى بثقل جسده على المقعد المقابل للمقود وأدار المحرك وحينما كان على وشك الانطلاق فُتِحَ باب السيارة ودخل أحدهم وجلس على الكرسي المجاور له، كان يتوقع القادم؛ فقد رآه من قبل في إحدى لقطات ذكرياته التي كان يرسلها له عقله، وبالفعل دخل ذلك الرجل، ألقى التحية على آدم الذي كان في أشد حالات ذهوله؛ فبالرغم من معرفة القادم إلا أن هذا لم يمنعه من صدمة المفاجأة، فردَّ آدم عليه التحية ثم قال:

-ما الذي أتى بك هنا؟

-أردت أن أعزيك في والدتك.

-ولكني لم أرك في العزاء، أهذا فقط ما أردت؟

-إنك لذكي حقًا يا آدم، بالفعل ليس هذا فقط ما أردت، ولكني فضَّلت أن أخبرك بما أريد على انفراد بعد العزاء.

-خالد، أخبرني بما تريد مباشرة.

-حسنًا أنت تعلم أن الشركة قد بدأت في الانهيار، ولقد جاءني الكثير من العروض أفضل من تلك الشركة؛ فبعد وفاة والدك أدار عمك الشركة لفترة محافظًا عليها، حينما أتيت أنت أدركت بخبرتي

وبتهورك أن الشركة لن تعود كما كانت في عهد والدك الذي كان يقدِّر خبراتي حقًا، ولكنك ألقيت بكل الحمل عنك وألقيته إليَّ.

-متى أتتك تلك العروض؟

-حينما كنت أبحث عن حلٍ للشركة وكنت أنت نائمًا في بيتك تنتظر أن آتيك بالحل السحري الذي سينقذك وينقذ الشركة، تسرب الخبر إلى الشركات المنافسة، ولأنهم يعلمون قدراتي الحسابية أرسلوا إليَّ بعروض جيدة بحق، في البداية رفضت ولكن ما حدث اليوم جعلني أعيد التفكير.

-ماذا حدث اليوم؟ أتقصد وفاة أمي؟

-كلا، بل أقصد أن مصلحة الضرائب علمت أن ما تفعل للتهرب من الدفع فزادوا من نسبة الضرائب المفروضة على الشركة، ستسقط هذه الشركة في غضون أيام صدقني.

-أيها الوغد، فلتخرج من سيارتي أنت مطرود من الشركة.

قالها آدم بغضب مشيرًا إلى الخارج، ففتح خالد باب السيارة وترجَّل منه ثم أغلقه خلفه وأدخل رأسه من الشباك المفتوح ثم قال لآدم:

-ستندم كثيرًا على فعلتك تلك، ليكونن حسابك عسير.

على ضوء سيارة قادمة رأى آدم نظرة الغضب على وجه خالد الذي يتوعد له، ألقى تهديده ثم استدار راحلًا دون كلمة أخرى، ضغط آدم دواسة الوقود بقوة لتحدث السيارة صريرًا عنيفًا وتنطلق بقوة، ظلَّ آدم يفكر هل ظلم خالدًا، كلا فهو لم يُسِئْ إليه ولكن هو من

استغل ضعف الشركة وحاجتها إليه واختار أن يتركها، ولكن هذا مستقبله وهو يرى أنه لا مستقبل له في هذه الشركة وأنه قد أعطاها ما يكفي ومن حقه أن يبحث عن فرصة أفضل، استغرق تمامًا في أفكاره وصراعه النفسي حتى أفاق على ضوء قوي أغشى عينيه للحظة رأى خلالها المسخ واقفًا أمام سيارته المسرعة حاول أن يتفاداه ولكنه اصطدم به، لم يتحرك المسخ من مكانه، ولكن وأمام عيني آدم رآه يخترق مقدمة السيارة كأنه شبح، وحين اقترب من آدم بدا وكأنه تجسَّد ليشعر آدم بأن جسده يتحرك إلى الخلف بسرعة تكاد تعادل سرعة الضوء ليجد نفسه ساقطًا في كلوميرو وقد اختفى المسخ.

06:59

لأول مرة منذ بداية اللعبة تمدد آدم في كلوميرو مغمضًا عينيه فاردًا ذراعيه بجواره ثم تحدث قائلًا:

-والآن هل انتهت اللعبة أخيرًا؟

-بل لقد بدأت للتو..

-ماذا تقول؟ ألم تقل أن هذه هي نهاية اللعبة؟

قالها آدم معتدلًا فسمع الصوت يقول له:

-بل قلت إن هذه نهاية تلك المرحلة من اللعبة.

-هل تنتقم منّي بسبب تلك الليلة؟ هل تنفّذ وعيدك؟

-أنا لم أبدأ بعد، والآن بعد أن أدركت أين كنت قبل دخولك كلوميرو الآن سنبدأ المرحلة الجديدة من اللعبة، إذا استطعت الخروج من تلك المتاهة تفوز وتنجو.

-أية متاهة تلك؟

-متاهة الزمن، أنسيتَها؟

-وماذا سيحدث إذا لم أستطع الخروج؟

-عندها سيتحدد مصيرك، عقارب الساعة هي الحكم، وأنت من سيحدد مصيرك بنفسك، والآن إليك القواعد للمرحلة الجديدة من اللعبة، المرايا السابقات كانت في الماضي، والآن سيبدأ المستقبل، ألا تتحرق شوقًا لمعرفة مستقبلك؟

-هل جننت؟ هل يمكن معرفة المستقبل؟ بالطبع لايمكنك ذلك!

-يبدو أنك لم تدرك بعد مدى قوة التحكم بعقارب الساعة فبزيادة سرعة دورانها يمكنني أن أجعلك تزور أيَّ زمنٍ أشاء، بالتحكم بها يمكنني أن أريك الماضي، الحاضر والمستقبل، أما وقد أريتك الماضي فالآن حان وقت زيارة مستقبلك لتعرف ما ترتَّب على ما فعلته في ماضيك البائس، خمس مرايا أخرى كل منهن تمثل ساعة زمنية،

ولكن فلتحذر فدوران العقارب سيكون أسرع من المعتاد وبنهاية آخر ساعة ستصدر الحكم في نفسك بنفسك.

بعدما عم السواد المرآة السابعة وجد آدم جسده ينتصب مواجهًا المرآة الثامنة أولى مرايا مستقبله، سيكون أول إنسان يرى المستقبل -مع شكه بذلك- إلا أن ذلك لم يبهجه كثيرًا على مكان انعكاس قلبه وبلون أبيض تمامًا تكون الزمن الجديد الذي سيبدأ به آدم المرحلة الجديدة من اللعبة المرحلة التي تحمل عنوان المستقبل "07:00" اقترب جسد آدم من المرآة مرغمًا وغاص فيها بكل سهولة ويسر إيذانًا بعودة آدم للعبة.

obeikandl.com

obeikandl.com

07:00

فتح آدم عينيه ليجد نفسه مرة أخرى في مكتبه بالشركة.. هل هذا هو المستقبل؟ يبدو كالماضي والحاضر تمامًا، لا شيء مميز يجعله مستقبلًا مختلفًا عن ماضيه، اتجه بخطوات متمهلة ليجلس على مكتبه، وهو في طريقه فُتِحَ باب المكتب فجأة ليدخل عمه ويسبقه ويجلس على مكتبه وتبعه شخص جديد لا يعرفه آدم، تعجب آدم لم يجلس عمه على المكتب وهو متواجد به فأراد تنبيهه لوجوده:

-مرحبًا عمي كيف حالك؟

وجَّه عمه حديثه إلى الشخص الذي كان يتبعه:

-فلتتوجه الآن إلى دار الأيتام لتنهي تلك الأوراق والمعاملات الخاصة بهم.

دون كلمة أخرى تناول ذلك الرجل دفترًا من عم آدم واتجه إلى خارج المكتب وأغلق الباب خلفه في هدوء، تم هذا كله وآدم يقف مذهولًا، لا يدري ما يحدث، أليس هذا مستقبله؟ إذًا لم لا يراه عمه؟ ليجيبه الصوت -خالد- على تساؤلاته:

-لن يجيبك عمك لأنك لم تكن متواجدًا تلك الفترة، فأنت ترى تلك المرحلة فقط بروحك وليس بجسدك.

-وأين أنا إذًا؟ لم يدير عمي الشركة؟

-هذا سؤال لا أستطيع إجابته الآن.

-بالطبع فسأعرف حينما يجب أن أعرف.

-هـذا مسـتقبلك يـا آدم والمسـتقبل مجهـول لـك، سـأجيب جميـع أسئلتك، ولكن في الوقت الملائم لذلك.

ظل آدم مع عمه مرافقًا له في كل حركة من حركاته ذلك اليوم، والغريب في الأمر أن عمه لم يذكره ولو بكلمة كأنه لم يكن موجودًا من قبل، ما فهمه آدم خلال مرافقته له هو أن الشركة تمرّ بمأزق شديد قد لا تتخطاه هذه المرة بسلام كما حدث من قبل، وأدرك أن ذلك الرجل الغريب لم يكن سوى بديل خالد الدهشان الذي ترك العمل بالشركة واتجه للعمل في شركة أخرى منافسة لهم، فقط عند نهاية اليوم ذكر عمه لمدير الحسابات الجديد أنه سوف يذهب للاطمئنان على آدم، عندها أدرك آدم أن به خطب ما.

عندما ولج عمه إلى السيارة تبعه وقلبه يدق بقوة حتى ظن أنه سيخرج من مكانه، فها هو عمه سيتجه إلى بيته -ربما- أو حيث يتواجد حاليًا، انطلق عمه بالسيارة، ومع انطلاقته اختفى كل شيء ليعم الظلام ويخيم الهدوء على آدم ليبدأ الحديث إلى المتسبب فيما حدث:

-لم الآن؟ لم لم تتركني معه إلى حيث سيذهب؟

-ليس الآن، لم يحن الوقت لذلك بعد.

-ألا يحق لي معرفة مكاني؟

-هناك ما هو أهم من ذلك الآن.

-وما هو الأهم من معرفة سبب إدارة عمي للشركة، ومعرفة سبب غيابي؟

-مصير الشركة بعدما حدث تلك الليلة.

07:15

بدأ الظلام ينقشع رويدًا ومع أول نقطة ضوء ظهرت، سمع آدم حديث بأصوات مختلطة هناك صوت أو اثنان يعرف أصحابهم لكنه لا يتذكر، اكتنف رأسه صداع عنيف فجأة وكأن آلاف المطارق تدق برأسه وآلام بأنحاء متفرقة من جسده، تلك الألام صرفت انتباهه عن التركيز في الحديث الدائر، دائرة الضوء تتسع أمام عينيه، لا يستطيع الصراخ من شدة الآلام وكأن فمه مكمم لا يستطيع فتحه، حاول رفع يده ليمسك برأسه ولكن يده لم تكن طوع أمره، يشعر أنها تزن أطنانًا، بدأت دائرة الضوء تتسع أكثر، الألم شديد بحق، يشعر أن جسده بأكمله مقيّد، انتبه إلى أن الأصوات صمتت، ولكن هناك حركة سريعة تجري من حوله ولكنه لا يراها على الرغم من الضوء الذي يحيط به، بدأ الظلام ينقشع ويحل الضوء مكانه، يشعر بألمٍ حارقٍ يسري في ذراعه اليسري ثم صمت كل شيء بغتة واختفت الآلام وشمله الضوء تمامًا.

في مكان متسع به الكثير من الأشجار وألعاب الأطفال، وجد آدم نفسه وسط زمرة من الأطفال من مختلف الأعمار، ووجد معهم امرأة كبيرة في السن تعلمهم شيئًا، أو تقرأ لهم حينما دخل عمه المكان لتتوقف المرأة عما تفعل وتلتفت إليه ويلتفت له الأطفال جميعًا ثم يقومون مهللين حين يرون وجهه وتبتسم المرأة لسعادة الأطفال الغامرة، التفوا حوله فوزَّع على كل منهم شيئًا من الحلوى، ثم سأل المرأة عن الأطفال وهل يشاغبونها أم لا، فأخبرته أنهم في قمة البراءة؛ فهم محض أيتام ومهما فعلوا فهم مغفور لهم، هنا أدرك

آدم مكانه؛ فهو في دار الأيتام التي كان يشرف على بنائها، تلفت بعينيه في المكان ليرى بديع صُنع العمال وذلك الحلم الذي تخيَّله يومًا هاهو يراه بأم عينيه، ولكن أين هو من كل هذا، انتبه إلى عمه الذي انصرف مغادرًا فتبعه ليجد أنه دخل إلى مبنى آخر وجد بداخله مجموعة من العجائز الذين يشاهدون التلفاز، سألهم عن أحوالهم وإن كان ينقصهم شيء ما، لكنهم أخبروه أن كل شيء على ما يرام وأخذوا يدعون له ولمن قام ببناء هذا المكان وتوفير كل تلك الخدمات لهم، انصرف عمه من المكان راضيًا ومن خلفه انصرف آدم بنفس حاله.. ما إن دخل عمه إلى سيارته حتى انقلب وجهه وكأنه يحمل همومًا لا يقدر على حملها، أدار محرك السيارة وانطلق إلى المنزل.

في اليوم التالي بالشركة دخل عمه مهمومًا، لم يكد يجلس على المكتب حتى التقط هاتفه واتصل برقم ما، سأله مباشرة:

-ماذا فعلت في تلك المشكلة؟

صمت قليلًا مستمعًا إلى محدّثه، ثم تابع بعصبية:

-ما زلت تحاول؟ فلتفعل ما بوسعك حتى ننتهي من ذلك الأمر سريعًا.

أغلق الهاتف بعنفٍ دون انتظار لسماع كلمة من محدّثه من الطرف الآخر، دخلت سكرتيرته المكتب مسرعة دون أن تقرع الباب، وأخبرت عمه في كلمات مقتضبة أن هناك أناسًا من مصلحة الضرائب العامة قادمون للقائه، الأمن أخبرها بذلك، امتقع وجه عمه حينما رأى شخصين يدخلان المكتب، يرسمان ابتسامة ودودة على

شفتيهما، فصرف السكرتيرة، ثم أشار لهما بالجلوس وسألهما عما يشربان.

-لا شيء، نحن هنا في مهمة سريعة وسنذهب مباشرة.

-ما الأمر؟ ألم يصل آدم ابن أخي إلى اتفاق مع مصلحة الضرائب؟

-وردنا بلاغ أن بناء ملجأ الأيتام، دار المسنين تم للتهرب من دفع الضرائب.

-من قام بهذا البلاغ؟

-لا أعرف، وإن كنت أعرف فلن أستطيع إخبارك.

-حسنًا ولكن القانون يقول إن...

-نحن نعرف القانون جيدًا سيد عادل، ولهذا أتينا إليك بأنفسنا لحل الأمر وديًا.

أدرك آدم أن صديق عمه في مصلحة الضرائب هو من قام بتسوية هذا الأمر وأنه أرسل هذين الشخصين لحل المشكلة وديًا، امتدت الجلسة لما يقرب من النصف ساعة، انتهت بمحاولة البحث عن حلٍ للمشكلة الجديدة الطارئة بمحاولة التوصل لصاحب ذلك البلاغ، كان آدم يعرف صاحب البلاغ جيدًا.. فها هو خالد قد عاد بقوة لينتقم منه.

07:37

شعرَ آدم بأن الوقت يسير أسرع مما كان عليه في المرايا السابقات بالفعل.. كانت أسهم الشركة في أسواق المال والبورصة قد بدأت في الانهيار بعد تسرُّب خبر أن الشركة على وشك الإفلاس بسبب مشكلاتها المتزايدة مع الضرائب، بدأ جميع رجال الأعمال في سحب تعاملاتهم مع الشركة شيئًا فشيئًا، ومرة أخرى بدأت الخسارة تلوح في الأفاق معلنة انتصار خالد والهزيمة النكراء لآدم الذي كاد يجن لمعرفة مكانه تلك الفترة عله يتمكن من إنقاذ ما يمكن قبل فوات الأوان، سمع آدم صوت محدثه –خالد- بتشفٍّ هذه المرة قائلًا بقسوة:

-والآن، هل أدركت أخطاءك؟ هل أدركت أن الخسارة أقرب إليك من أي شيء آخر.

-هذا مبدأ من مبادئ التجارة، ولكني كنت أتمنى أن تسمح لي بالمحاولة والخسارة بشرف.

-وهل عاملتني بشرف؟ هل انتبهت لما كنت أمليه عليك؟ بل تجاهلتني كأنني نكرة.

-أجل أنا أعترف بهذا الخطأ.

-أنت لا تعرف شيئًا لتعترف به.

-ماذا تعني بكلامك؟

-ألم أقل لك؟ أنت حقًا لا تعرف شيئًا، لم تدرك شيئًا بعد، فلتعد للعبة لعلك تفقه شيئًا.

جلس مع عمه في بيته، كئيبًا وحيدًا غارقًا وسط العديد من الجرائد جلس كلاهما، بدأت عينا آدم تجري سريعًا على عناوين الجرائد التي تحمل جميعها خبر سقوط مجموعة "عبد الواحد جروب" للاستيراد والتصدير لتشتريها إحدى الشركات المنافسة، وجرائد أخرى تهاجم بعنف إدارة الشركة الذين كانوا يختلسون من أموال الدولة، الجميع يتحدث بما لايفقه، الجميع نصّب نفسه حكمًا على الشركة بعد سقوطها وصار آدم ضحية لتلك الشائعات وعمه ومن قبله أبوه، فهو أيضًا –في قبره- لم يسلم من أن تناله تلك الشائعات، حتى وقعت عيناه على خبر آخر لم يصدق عينيه حينما قرأه، شعر بالصدمة تعقد لسانه وتشلّ حركته وتفقده صوابه، أهذا صحيح؟ هل ما يقرأه قد تم بالفعل؟ شعر بخطٍّ ساخن يسيل من عينيه على خده وألم يعتصر قلبه محملًا بكل الأسى والشوق للسنوات الماضية.

على باب الغرفة التي يجلس بها مع عمه رأى على الباب الساعة الرملية مرة أخرى وقد امتلأ نصفها الأعلى ويتساقط الرمل في الجهة الأخرى ولكنه يمرّ سريعًا، أغمض عينيه بألمٍ ومرَّ الخبر الذي قرأه على ذهنه مرة أخرى ليشعر بنفسه يعود إلى كلوميرو وقد تمت العودة بسلاسة تامة، حتى إنه لم يكد يشعر بها لولا ذلك الشعور بالخروج من الماء بعدما كاد يخرج.

07:59

في كلوميرو وقف آدم يراقب التغيرات الجديدة التي تطرأ على المرآة الثامنة التي تحولت إلى اللون الأبيض تمامًا وكُتب عليها بخط كبير "07:59" بدأ آدم الحديث متجاهلًا المزيد من التغيرات التي تحدث استعدادًا لدخول المرحلة الجديدة.

-هل هذا الخبر حقيقي؟

-ماذا تعتقد؟

-لا أعرف، أنت تقول إن هذا ما سوف يحدث لي في المستقبل.

-إذًا لِم تتعجل الأمور؟ هذا هو محور المرحلة القادمة.

-أتعني أنني سأعرف ما حدث؟

-أجل، هذا هو ما حدث في مستقبلها.

-لم فعلت ذلك؟

-هذا بسبب ما فعلته أنت بها، هذه نتيجة أفعالك التي أراك نادمًا عليها الآن.

متوجهًا إلى المرآة التاسعة من اللعبة والثانية التي تحمل مستقبله، التي تحمل عذاباته وآلامه التي كثيرًا ما أرقت لياليه بسبب انشغال تفكيره فيما حدث بعدما ترك حبيبة وها هو الآن سيرى بأم عينيه، غاص فيها بسهولة لتبدأ المرحلة الجديدة من اللعبة.

08:00

مع بداية المرحلة الجديدة وضع آدم مئات، بل آلاف الإحتمالات لتلك الفترة التي لم يرها بعد ولكن أسوأها هو ما حدث، على الرغم من أنه وضع أسوأ التصورات، إلا أن ما حدث بالفعل فاق جميع تصوراته

-الآن سأريك ما حدث بعد اللقاء الأخير بينك وبين حبيبة

-أنا أعرف جيدًا ما حدث لي بعدها.

-ولكنك لا تعرف ما حدث لها، ولا تعرف ما خسرت بسبب تعنتك وتهورك.

بعدما طعنها في قلبها بسكينه البارد رحل تاركًا إياها لآلامها، فأدارت ظهرها راحلة عنه كي لا تتلقى المزيد من الطعنات ولتخفي عنه عبرات تلألأت في عينيها، لكم عشقته ولكنه لم يلحظ، يظن أنها سقطت في شباكه حينما حادثها، ولم يعلم أنها ذابت فيه عشقًا منذ أن رأته عيناها لأول مرة، ولكنه بغبائه لم يلحظ ذلك وهي لم تظهره له، كان قلبها يتقد نارًا حينما تراه يمازح الفتيات ويضاحكهن وهن يتهافتن عليه ويسعين خلفه، ولكن إحداهن لم ولن تحبه كما فعلت حبيبة، حينما عاملته ببرودٍ مصطنع لم يدرك هو أن خلف هذه المعاملة الباردة حبًّا كامنًا منذ سنوات، مسحت تلك الدمعة التي

كادت تغادر عينها، وصلت إلى بيتها بصعوبة بالغة وسط دموعها التي حاولت حبسها كثيرًا حتى غلبتها.

دخلت غرفتها، دفنت رأسها بين وسائدها كما اعتادت أن تفعل كلما غليها الحزن وتركت العنان لدموعها لتنهمر وتغرق وسادتها، دقت أمها بابها كثيرًا ولكن حبيبة كانت ترد عليها بكلمات مقتضبة لتتركها لحالها ولا تخترق خلوتها، ظلت حبيسة غرفتها لأيام بالكاد تخرج لتتناول لقيمات تحت ضغط أمها وإصرارها.

بعد عدة أيام قررت حبيبة الخروج من عزلتها وإكمال حياتها الطبيعية، ذهبت إلى الجامعة وسحبت أوراقها ولحسن حظها لم تقابل آدم في الجامعة، قدمت أوراقها في جامعة أخرى، وتم قبولها بعد ما قابلت بعض الصعوبات وقررت أن تنسى آدم من حياتها، ولكن إن نسيه عقلها فذاكرة القلب أقوى ولن تنسى بسهولة وقد أثبتت لها الأيام ذلك فيما بعد.

تخرجت حبيبة ويوم تخرجها تقدم لخطبتها أحد الشباب، كادت أن ترفضه بعدما رفضت العديد من المتقدمين على أمل أن يأتي آدم لخطبتها، ولكن ظنَّها قد خاب، وتحت إصرار وتصميم والديها، اضطرت حبيبة للقبول.

08:21

وافقت حبيبة على ذلك الشاب الذي كان يعمل في إحدى الدول الخليجية وأخبرهم أنه سيصطحبها معه بعد الزواج، وافقت أمها على مضض وتمت الخطبة سريعًا، تحدث آدم متسائلًا:

-ماذا ستفعل؟

-سأفعل ما توقعته تمامًا.

-وما هو؟

-سأجعلك ترى حبيبة يوم خطبتها على ذلك الشاب الذي فاز بها بعد أن خسرتها أنت.

-أتوسل إليك ألا تفعل هذا!

-ولِمَ لا؟

-لأنك بهذا ستقتلني مرة أخرى، ألم يكفك ما فعلته حينما أعدت على ذكرى حبنا الأول؟

-ولم تركتها إن كان ذلك سيقتلك كما تقول؟

-كنت أحمق، أعترف بغبائي حين فعلت ذلك، كم تمنيت أن تعود الأيام مرة أخرى لعلّي أتجنب حدوث ذلك الخطأ الشنيع مرة أخرى.

-كما أخبرتك من قبل، عقارب الساعة لا تعود أبدًا إلى الخلف، دائمًا وأبدًا ستظل تسير إلى الأمام

obeikandl.com

قال آدم وعيناه تلمعان ببريق أمل حينما تذكَّر أن ما يحدث هو مستقبل وليس ماضيًا.

-لكنك قلت إن ذلك هو المستقبل، أى أن هذه الأحداث لم تحدث بعد، يمكنني إذًا أن أغيّر هذه الأحداث، يمكنني أن أعود إلى حبيبة وأصحح ذلك الأمر مرة أخرى، أليس كذلك؟

-وما الذي يجعلك متأكدًا من خروجك من متاهة الزمن؟ أليس من الممكن أن تظل هنا إلى الأبد؟

-هل هذا ممكن؟

لكنه لم يتلقَّ ردًا، وعاد مرة أخرى ليرى محبوبته في يوم خطبتها على غيره، متألقة كالشمس في فستان خطبتها، على الرغم من الحزن البادى على وجهها، وقد لاحظه أغلب الحضور إلا أنها لا تزال ملكة متوجة، كم يتمنى أن يكون هو خطيبها، يجلس بجوارها ذلك اليوم، اقتربت منها أمها وهمست في أذنها بكلمات سمعها آدم.

-هذا يوم خطبتك، ابتسمي فقد لاحظ الناس وجومك.

-سأحاول.

رسمت على وجهها –مغصبة- ابتسامة فأشرق وجهها وازدادت جمالًا على جمالها الآخاذ.

شعر بجسده يهوى وبدأ الظلام يحيط به من كل جانب، خمّن أنه سوف يتحدث مرة أخرى مع مضيفه –خالد- إلا أن آلامه بدأت تعاوده مرة أخرى، صداع شديد يكتنف رأسه، قدماه تزنان أطنانًا

"ماذا يحدث؟" لم يعد يتحمل تلك الآلام فترك نفسه يهوى أرضًا – إن كان ما يقف عليه هو الأرض- فقد شعر وكأنه يقف على شيء ليّن وليس صلبًا كالأرض، سمع بعض الأشخاص يتحدثون مع بعضهم البعض.

-كيف حاله الآن؟

-لا ندري بعد، نتمنى أن تستقر قريبًا.

حاول أن يصرخ، لكن صوته خرج ضعيفًا بين أنّاته:

-من يتحدث؟

لكن أحدًا لم يرد عليه، فقال بصوت أعلى:

-ماذا يحدث؟ أين أنا؟

فسمع صوتًا آخر يتحدث قائلًا متجاهلًا سؤاله تمامًا:

-فلنتركه الآن، ولندعو له يتجاوز تلك المرحلة.

ثم سمع صوت وقع أقدامهم يبتعد فنادى بأعلى صوت ممكن متغلبًا على الصداع وتلك الآلام التي تكاد تفتك به:

-خالد، أخبرني ماذا يحدث، ومن هؤلاء الذين يتحدثون؟

ولكنه أيضًا لم يرد عليه، لم يسمعه أو متجاهلًا إياه، وشعر بجسده يتم سحبه إلى الضوء مرة أخرى، رأى نفسه واقفًا في وسط مركب يرسو على شاطئ النيل، قبل أن يدرك أين هو ولماذا هو هنا، ليزداد حسرة وألمًا.

obeikandl.com

08:38

في ركن هادئ من المركب جلست حبيبة مع خطيبها صامتة لا تتحدث، تنظر إلى النيل بشرود وكأنها تطلب منه أن ينقذها مما هي فيه، يتحدث إليها خطيبها بالكثير من الكلام ولكنها لم تسمع منه حرفًا واحدًا ثم انتبهت على صوته حين ناداها

-حبيبة، أتسمعينني؟

-هه؟ بالطبع أسمعك.

-أنتِ شاردة اليوم، ماذا حدث؟ ألستِ سعيدة؟

-أنا سعيدة بالطبع، فهذا يوم خطبتي.

قالتها بمرارة، فردَّ عليها قائلًا:

-لا يبدو عليكِ ذلك، كان الحزن باديًا على وجهك طوال حفل خطبتنا.

-لا شيء يا سعيد، أنا بخير.

-أتحسبينني لم ألاحظ حزنك؟ لقد لاحظ الجميع شرودك وحزنك، حتى أتت والدتك وهمست في أذنك بكلمات ابتسمتِ بعدها – بتكلف- إرضاءً لها.

-ما الذي تريد الوصول له بحديثك؟

obeikandi.com

-لا شيء، فقط أريد تذكيرك أنه من اليوم حياتنا ستصبح واحدة، بعد أشهر قليلة سنصبح زوجين فلابد من المصارحة التامة بيننا.

-من فضلك أريد العودة إلى المنزل.

-حبيبة..

-سعيد من فضلك، أشعر أنني لست على ما يرام، أريد أن أرتاح قليلًا.

-حسنًا كما تشائين..

قاما وخرجا من المركب وسارا بصمتٍ حتى وصلا إلى منزل حبيبة، صعدت إلى المنزل بدون كلمة ولم يحاول هو محادثتها، فقد أنبأه حدسه أن هناك خطأ ما فيما يحدث.

صامتة دخلت إلى غرفتها وأغلقت على نفسها الباب وجلست خلفه دافنة رأسها بين قدميها وظلت تبكي، أخرجت هاتفها وظلت تقلب فيه وبكاؤها يزداد، فاقترب آدم منها ليرى ما يدفعها للمزيد من البكاء فوجدها تقلّب في صور التقطتها له خلسة، ثم قامت من جلستها، كفكفت دموعها، واتصلت بخطيبها واعتذرت له عما حدث الليلة واعدة إياه بأنه لن يتكرر مرة أخرى بعد اليوم، أنهت المكالمة ثم أمسكت بهاتفها وقامت بحذف جميع صور آدم، قررت أن تنساه وأن تبدأ حياتها مع الشخص الذي ارتضاها زوجة له وتوجها ملكة لقلبه، وقطعت عهدًا على نفسها بالإخلاص له وإسعاده ما دامت على قيد الحياة.

08:46

لقطات سريعة مرت أمام عيني آدم كأنه يشاهد شاشة تلفازًا تعرض عليه الأحداث التي مرت بعد تلك الليلة التي قررت فيها حبية أن تنساه وتبدأ حياتها السعيدة مع سعيد، رآهما في مشهد يسيران على شاطئ البحر وقد تشابكت أيديهما وكل منهما يبتسم بسعادة، مشهد آخر يتناولان العشاء في أحد المطالعم الفاخرة على شاطئ النيل وموسيقى عذبة تنساب في المكان يتمايلان على أنغامها، في منزل حبيبة يجلس قبالتها ويهمس فى أذنها بكلمات من العشق والتأمل في جمالها احمرت لها وجنتاها خجلًا، ظلت المشاهد تمر أمام عينيه واحدًا تلو الآخر حتى لم يعد يتحمل المزيد من الآلام فصرخ بقوة مغمضًا عينيه:

-حسنًا، هذا يكفي، لم أعد أتحمل.

-هل أدركت الآن كم كانت متعلقة بك، ولكنك كنت سبب تعاستها حتى قررت هي بشجاعة التخلص من جميع ما يذكِّرها بك لتبدأ حياتها، حياتها التي قررت أنك لن تكون موجودًا بها.

-وماذا عني ألم تتخل عني هي أيضًا؟

-أنت بعندك وكبريائك قررت إنهاء تلك العلاقة، فلا تأتِ الآن لتشكوها بعد أن طعنتها بخنجر حاد في قلبها.

لم يجد آدم ما يردّ به عليه فالتزم الصمت حتى شعر بأن وعيه يتسرب منه، ثم بدأ صوت محدثه في الابتعاد ليحل محله تلك الأصوات المتداخلة، شعر بهواء بارد يضرب صدره، فتح عينيه ليجد مجموعة من الوجوه لا يألف أحدًا منها، أخذ يقلب عينيه بينهم حتى وقعت عيناه على ذلك المسخ الذي لاقاه من قبل، سمع صوت آمر يقول بقوة:

-مرة أخرى، شحن.

صمت قليلًا ثم سمعه يقول بنفس القوة:

-الآن..

مع نهاية كلمته، رأى آدم بسمة شريرة، متحدية ترتسم على شفتي ذلك المسخ ثم اختفى كل شيء فجأة وشعر بجسده يُسحَب بقوة للأسفل وكأن كلمة "الآن" هي تذكرة عودته مرة أخرى إلى كلوميرو.

08:59

في كلوميرو وقف آدم حائرًا، لا يدري أين هو، غير مدرك لما يحدث، عقله مشتت بين التفكير في ما حدث بعد ذلك مع حبيبة، عقله يمتلئ بالعديد من الأسئلة ولكن أي منها لم يصل إلى لسانه ليخرج من بين شفتيه، هل تزوجت من ذلك الشخص؟ هل انفصلا؟ هل نسيته مع الأيام؟ أم قررت أن تتناساه لتعيش حياتها؟ هل الخبر

الذي قرأه في الجريدة صحيح؟ من هؤلاء الأشخاص الذين وقف المسخ بينهم؟

-أراك حائرًا، فيم تفكر؟

-العديد من الأشياء، ماذا حدث لحبيبة؟

-ألم يكفك ما عرفته؟

-كلا، هناك حلقة مفقودة في هذا كله.

-حسنًا، ستعرف ما حدث لحبيبة بعد قليل، استعد لتبدأ المرحلة الجديدة من اللعبة.

توجَّه آدم إلى المرآة العاشرة بنظره وتبعها بجسده، وبدأت عملية الانتقال للمرحلة الجديدة من اللعبة.

obeikandl.com

09:00

وسط الأوراق والدفاتر جلس عمه موليًا ظهره لآدم الذي وقف يراقبه متذكرًا ذات الجلسة التي كان يجلسها منذ أشهر قليلة حينما مرت الشركة بذات الضائقة، ولكن هذه المرة يبدو أنه لا فكاك منها، خاصة بعد ترصُّد مصلحة الضرائب للشركة بعدما اكتشفت أن ما فعله آدم كان هدفه الأول هو التهرب من دفع الضرائب، ظلَّ عمه على هذا الحال بلا كلل أو ملل يقلب في الأوراق وبين صفحات الدفاتر حتى غلبه التعب فقام وتوجه إلى غرفة النوم وما إن وضع رأسه على الوسادة حتى غلبه النوم سريعًا.

في الصباح استيقظ عمه فزعًا على صوت رنين الهاتف فالتقطه سريعًا ورد وهو يغالب النوم على محدثه الذي ما إن سمع ما يقول حتى انتفض على سريره قائلًا بذهول:

-ماذا تقول؟

سمع آدم صوت المتحدث على الجهة الأخرى:

-كما أخبرتك سيدي، هناك ضابطان من الشرطة أتيا إلى الشركة يسألان عن مدير الشركة فلما أخبرتهما أنك لم تأتِ بعد طلبا أن ينتظراك حتى تصل.

-أنا قادم حالًا.

أغلق عمه الهاتف ونهض سريعًا، أشفق آدم على حال عمه الذي وصل إليه، حتى الآن لا يدرك أين هو من كل ما يحدث، ولِمَ لا يساعد عمه في إدارة الشركة، وصل عمه إلى الشركة خلال عشر دقائق يتبعه آدم فيها كظله، لا يريد أن يفوته شيء ليعلم إلى أين آلت الأمور بالشركة وبه هو الآخر؛ حيث أنه لم يظهر حتى الآن، دخل متتبعًا عمه الذي وجد في استقباله شخصين يرتديان الملابس المدنية، ولكن هناك هالة لا تخطئها العين، هالة تحيط بكل شخص عسكري، استقبلاه ببرودٍ ظهر في مصافحتهما له، غضب آدم من المعاملة غير اللائقة؛ فمهما حدث هما بداخل شركته التي يديرها عمه، ولكن عمه لم يهتم وابتسم في وجههما وسألهما عما سيشربان إلا أنهما فضَّلا الدخول مباشرة في سبب الزيارة لانشغالهما ببعض الأعمال غير المنتهية، فبدأ عمه الحديث بجدية وصرامة:

-حسنًا كما تريدان، هل لي أن أعلم سبب زيارتكما لى اليوم والإصرار على مقابلتي؟

-كما تعلم فإن الشركة واقعة بمشكلات مع مصلحة الضرائب.

-نعم، أعلم هذا بالطبع.

-لقد أتيت اليوم لأبلغك أن هناك بعض الموظفين قاموا بتقديم بلاغ أنهم لم يتقاضوا رواتبهم منذ عدة أشهر.

-ماذا تعني؟

-أعني أنه إن كان هناك أمل في انقاذ الشركة من قبل، فبعد ما أخبرتك به الآن لا يوجد أمل ولو ضئيل للخروج من تلك الأزمة.

-ولِم تخبرني ذلك على أي حال؟

-لسببين، الأول أنه لا بد من إعلامك بما تحرر ضدك ومعرفة حقيقة الأمر.

-بالفعل، هذا صحيح، وما هو السبب الآخر؟

-أنه قد تم التوصية عليك من الجهات العليا للتعامل معك شخصيًا بكل الاحترام والتقدير اللازمين.

-جهات عليا؟ هذا غريب..

-لا أدرى، سوف نذهب الآن.

قالها وهما ينهضان ويمدا أيديهما ليتصافحا ويغادرا الشركة وسط ذهول الموظفين.

09:17

كل لحظة كانت تمر على آدم بجوار عمه يتعلم منه شيئًا جديدًا، حتى في لحظات صمته كان يتعلم منه، كان يتعلم منه الصبر والتأني قبل إصدار الأحكام أو حتى مجرد النطق بكلمة، لم يكن ينطقها هباءً وكان يعلم تأثير الكلمة التي سينطقها على الشخص الذي أمامه

ويعلم جيدًا الطريقة المناسبة للتحدث كي يقع التأثير المطلوب على محدِّثه؛ لذلك بعد انصراف الرجلين وحينما جلس عمه وحيدًا واضعًا رأسه بين كفيه صامتًا علم آدم أنه يخطط لشيء ما فوقف صامتًا يراقبه، بدا شديد الحيرة والتردد فيما هو مقدم عليه، ولذلك أخذ يقلِّب الأمر في رأسه وحينما انتهى من التفكير، اعتدل في مقعده وطلب الاجتماع بموظفي الشركة.

ارتقى بضع درجات السلالم ليسمعه ويراه جميع الموظفين بوضوح، انتظر حتى اجتمع الموظفين جميعًا وانتهوا من صخبهم فتنحنح بصوت مرتفع لتشرأب جميع الأعناق في انتظار ما سيقوله لهم.

-بالطبع جميعكم يعلم أن الشركة تمر بضائقة مادية بسبب خلافاتها مع مصلحة الضرائب.

سمع همهمات من بعض الموظفين أن نعم، فأشار لهم بيده ليستمعوا لبقية حديثه فصمت الجميع منتبهين فأكمل قائلًا:

-ولهذا قد نضطر لتصفية الشركة، وبالطبع لا ذنب لكم فيما يحدث.

مرة أخرى ارتفعت الهمهمات بالاعتراض على حديثه وارتفع صوت أحد الموظفين:

-ماذا تعني؟

فأشار لهم مرة أخرى ليسمعوا بقية ما سيقوله ولكن ارتفع صوت موظف آخر:

-وماذا عن حقوقنا؟

-أعلم أنكم لم تقبضوا رواتبكم منذ أكثر من شهرين، ولهذا السبب قمت بجمعكم اليوم لأخبركم بأنه سوف يتم تصفية الشركة، إني سوف أدفع لكم رواتبكم من جيبي الشخصي، ولكني أتمنى أن تسامحوني في مكافأة نهاية الخدمة؛ فأنا لا أعتقد أن ما أملكه يكفي لتغطية كافة النفقات.

ارتفع صوت أحد الموظفين:

-سيدي، هل تسمح لي بكلمة؟

-بالطبع، تفضل.

تقدم الجمع رجلٌ أربعيني عرفه آدم، وعرفه عمه؛ فقد كان من أكفأ الموظفين بالشركة، تحدث الرجل قائلًا:

-لقد عاصرت الشركة منذ مهدها -وقد كنت شابًا وقتها- حتى وصلت إلى ما هي فيه الآن، مرورًا بالسيد أحمد، بك وبالسيد آدم، لذلك اسمح لي كمساندة بسيطة منّي للشركة التي تعلمت فيها ولها فضل كبير عليَّ؛ فأنا أتنازل عن راتبي بنفسٍ راضية.

ارتفعت بعض الأصوات المؤيدة من بعض الموظفين، في حين ارتفعت بعض الأصوات المعارضة فابتسم عم آدم وقال:

-أشكر لكم جميعًا روحكم الطيبة، وأشكر لك هذه المساعدة ولكنك متزوج يا بني وأولادك لا ذنب لهم فيما يحدث، حتى لو كنت أنت راضيًا فأنا لن أرضى لك أو لهم هذا الظلم، ستتقاضون جميعًا رواتبكم كاملة غير منقوصة.

قالها واستدار راحلًا، ومن خلفه آدم الذي هبط درجات السلم خلفه قبل أن يتعثر في إحدى الدرجات ليجد نفسه يهوى في سرعة.

09:33

وجد آدم نفسه يقف حيث كان يجتمع الموظفون ولكن المكان خالٍ تمامًا، يعمّ فيه صمتٌ رهيبٌ، صمت قاتل، سمع صوت خطوات من خلفه فأجفل، استدار جسده سريعًا ليجد ذلك المسخ أمامه، يتقدم مسرعًا وكأنه يريد اللحاق بموعدٍ ما أو شخصٍ ما، ازدادت دقات قلب آدم حينما اقترب منه ذلك المسخ ومالَ على أذنيه حتى لفحته أنفاسه الباردة، وبصوت يليق بالمسوخ -إن كان لهم صوت- قال آمرًا بلهجة لا تقبل النقاش:

-أتبعني.

ثم أكمل طريقه، رفض آدم أن يتبعه، ولكن من قال إن جسده يستجيب لأوامره سواء بالرفض أو القبول، تحرك خلفه بنفس سرعته حتى وصل إلى باب أحد المكاتب فالتفت إليه المسخ سائلًا:

-هل أنت مستعد؟

أراد آدم أن يسأله "مستعد لأي شيء؟" فهذا مجرد مكتب لأحد الموظفين، ولكنه لم يقل شيئًا وكذلك المسخ لم ينتظر إجابة؛ فكل ما فعله بعدما ألقى سؤاله أنه استدار وفتح باب المكتب المظلم ودلف إليه وتبعه آدم مرغمًا.

دخل آدم خلفه المكتب متوقعًا الأسوأ؛ فطالما هو يتبع ذلك المسخ فكل ما سيقابله سيء بلا شك، ولكنه ما إن ولج حتى تراجع مصدومًا يريد الخروج ولكنه اصطدم بالجدار، نظر خلفه سريعًا ليجد الباب الذي دخل منه قد اختفى وحلَّ محله جدار، كان آدم يتوقع الأسوأ، ولكن ما رآه فاق جميع توقعاته؛ فهذه الغرفة ليست في الشركة بالمرة، وقعت عينا آدم على آخر شيء قد يتوقع رؤيته في هذا الوقت بالذات.

في تلك اللحظات داهم رأسه صداع شديد، آلاف المطارق تدق في رأسه بلا توقف، عاودته الآلام أقوى من ذي قبل، ولكن ما رآه جعله لا يشعر بما يدور حوله، أو ما يمرّ به هو شخصيًا فما رآه لم يتوقعه حتى في أسوأ كوابيسه، شعر بقدميه لا تقويان على حمله فتهاوى، وكان آخر شيء رآه، ابتسامة ذلك المسخ الشامتة، الساخرة وكأنه

سعيد بما مرَّ به آدم، وبتلك الحقيقة التي أدركها لتوّه، الآن فقط فهمَ آدم، حينما استعاد السيطرة على جسده مرة أخرى وجد نفسه واقفًا مع عمه وهو يشرف بنفسه على تقاضي الموظفين جميعًا رواتبهم المتأخرة.

09:49

وقف آدم وعمه يراقبان هذا الصرح الشامخ، الذي ظلَّ يزداد يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام بفضل المجهود الذي بذله أحمد عبد الواحد، ومن بعده أخوه، ومن بعدهما آدم، وكأنهما قد انفصلا عن كل ما حولهما، يذرفان الدمع وهما يريان حلم أحمد الذي حافظا عليه لفترة طويلة بعد وفاته يكاد يضيع أمام أعينهما، لم يلحظا قدوم رجال الشرطة الذين أحاطوا بهما وبالشركة وتقدم ضابطان من عم آدم، آدم الذي كان يراقب كل ما يحدث دون أن يراه أحد، كم يحترق قلبه لذلك، كم يتحرّق شوقًا لمواساة عمه الذي يحمل الهم على كاهله، ولكن بعد ما رآه كان على علم تام أن ما يتمناه صعب المنال في هذه اللحظات، هبّت نسمة خفيفة وكأنها تشاركهم أحزانهم في حين توقف الضابطان أمام عم آدم الذي ما إن لاحظهما حتى كفكف دمعه ورسم ابتسامة متوترة على ثغرة بادره أحدهما قائلًا:

-سيدي لقد صدر حكم من المحكمة بأن مصلحة الضرائب سوف تقوم بإدارة الشركة ومنع دخولك إليها.

-أعلم يا بني، أعلم.

-وكذلك فقد تم تجميد جميع أرصدة السيد آدم في كافة البنوك التي يتعامل معها ومنع التصرف فيها

ابتسم عم آدم دون أن ينبس ببنت شفة، فأكمل الرجل قائلًا بابتسامة عريضة تملأ وجهه:

-أما عن ملجأ الأيتام ودار المسنين فقد رأت المحكمة أن هذا عمل خيري وأن من قام به فقط من يحق له إدارته، وسيكون غير لائق أن تتنتقل الإدارة لشخص آخر غيرك خاصة وأن السيد آدم...

-هذا يكفي يا بني، لقد علمت ما يكفي، اسمح لي بالانصراف، فأنا مُتعب.

-حسنًا يا سيدي يمكنك الانصراف.

انصرف عم آدم يمشي على مهلٍ، أما آدم فقد ظلَّ واقفًا ليراقب رجال الشرطة وهم يتحركون سريعًا لإنهاء إجراءات المحكمة والتأكُّد من المحتويات التي تم إثباتها في المحضر، ظلَّ في مكانه حتى انتهوا من جميع الإجراءات وانصرفوا.

صرخ بقوة والدموع تنهار بغزارة من عينيه، صرخ وصرخ حتى بُحَّ صوته، يعلم جيدًا أن أحدًا لن يسمع له صوتًا، الوحيد الذي يسمعه ويحدثه صامت منذ بداية تلك المرحلة ولم يحدثه بتاتًا، على الرغم من كرهه له إلا أنه يريد التحدث مع شخص ما حتى لا يُجن فصرخ بأعلى صوته:

-خالد، أين أنت؟

ولكنه أيضًا لم يرد عليه، ولكن ما حدث جعله يهدأ قليلًا؛ فقد بدأت الأرض تميد من تحته لتتحول إلى دوامة وتبتلعه بدخلها؛ فعلم أنه سيعود إلى كلوميرو.

09:59

خرج آدم من المرآة، عب كمية كبيرة من الهواء داخل صدره، رأى المرآة تتحول إلى اللون الفضي، لم يتحمل عندها المزيد من الصمت فألقى بسؤاله الذي يحيره من بداية المرحلة:

-أين أنت؟

-معك دائمًا كما أخبرتك من قبل.

-إذًا أين كنت طوال هذه المرحلة، فلم أسمع صوتك البتة.

-كنت هناك، أراقب في صمت، أترك لك الساحة هادئة حتى يتثنى لك رؤية مصير الشركة

-أيها الـ..

قاطعه قائلًا:

-ألا تريد معرفة ما حدث مع حبيبة بعد ذلك؟

أدرك آدم أنه يتلاعب به وبأعصابه، ولكن عند ذكرَ اسمها خفق قلبه وصمت ولم يرد، فإجابة هذا السؤال أيًا ما كانت فسوف تكون

عذابًا له، ثم أنه يعلم جيدًا أن النتيجة مقررة مسبقًا لذا التزم الصمت.

-ها أنت ذا من يصمت، ولكني ألتمس لك كل العذر فأنا أعلم حيرتك الآن، وأرى دقات قلبك التي تتعذب وتُشوى بين نار الشوق ولهيب الهوى، لذا سوف أريحك من عذابك وننتقل مباشرة إلى المرحلة الجديدة.

أغمض آدم عينيه وجسده يتقدم إلى المرآة الحادية عشرة وهو يتذكر ذلك الخبر الذي قرأه في الجريدة، خبر زواج حبيبة من ذلك المدعو سعيد أحمد خلف، عندها تذكَّر شيئًا هامًا، شيئًا لو كان صحيحًا لازدادت حياته جحيمًا، فتح عينيه بسرعة ولكن وجهه قد لامس المرآة بالفعل، حاول أن يصرخ، أن يتراجع ولكن جسده بدأ يغوص في المرآة لتبدأ المرحلة الجديدة التي سيتأكد فيها مما مرَّ على ذهنه.

obeikandl.com

10:00

وقف آدم في أحد الأركان المظلمة بغرفة حبيبة يراقب ذلك الملاك النائم وشعرها الذهبي الثائر يرسم على وسادتها لوحة رائعة، يعجز أعظم الرسامين على تقليدها، عيناها المغمضتين وثغرها المبتسم يكملان تلك اللوحة الفنية، سرح في تأملاته كثيرًا، ثم أجفل حين تحركت حبيبة مستيقظة من نومها، راقبها وهي تتمطى.

إذا مدحت فتاة جميلة مرت أمامك يومًا فلا بد أن تسمع أحدهم يقول "عليك أن تراها حين تستيقظ من النوم، عندها لن تظل على مديحك لها" أما حبيبة فحين استيقاظها تمثّل آية من آيات الجمال، نهضت سريعًا لتنفض عن جسدها الكسل، سمعت رنين هاتفها فمدَّت يدها أسفل وسادتها لتخرجه، نظرت إلى شاشته لتعرف المتصل، ارتسمت على وجهها ابتسامة رائعة ما زادتها إلا جمالًا لتضغط على زِر استقبال المكالمة وترد بصوت يخالطه النعاس:

-مرحبًا يا حبيبي.

-صباخ الخير يا محبوبتي، كيف كان نومك؟

-مليئًا بالأحلام السعيدة

-هل كنت جزءًا من تلك الأحلام؟

ردَّت حبيبة بدلالٍ طفوليّ:

-كلا..

-يا لتعاستي إذ لم أكن سبب سعادة زوجتي حتى في أحلامها.

تضرج وجهها بحمرة الخجل لترد بدلالٍ أكثر:

-لقد كنت أنت محور تلك الأحلام يا سعادتي ودنيتي و...

ثم صمتت خجلًا ليستحثها بسؤاله قائلًا:

-وماذا؟

-وزوجي الحبيب.

-أأنت مستعدة لليوم؟

-بلى، على أتم الاستعداد.

-إذًا سأمرّ عليكِ بعد ساعتين من الآن حتى لا نتأخر.

-سأنتظرك، إلى اللقاء..

أغلقت الهاتف ثم احتضنته ودارت مرتين في الهواء ثم ألقت بجسدها على السرير غارقة في كلام سعيد خطيبها، تذكرت أن عليها أن تكون جاهزة خلال ساعتين حتى لا يتأخران إلى حيث سيذهبان، كم يتمنى أن يخترق عقلها ليعرف إلى أين ستتجه، أو ليخبره خالد؛ فهو

obeikandl.com

بالتأكيد يعرف إلى أين سيذهبان، لكنه لم يخترق عقلها، ولم يحدثه خالد فالتزم الصمت واكتفى بالمشاهدة.

10:16

انطلقت السيارة يقودها سعيد وبجواره تجلس حبيبة، وآدم يجلس في الخلف ليعلم إلى أين سيتجهان، لم يمضِ أكثر من عشر دقائق حتى توقفت السيارة بثلاثتهم، عندها أدرك آدم لِم تجمَّلت حبيبة بهذا الشكل، أمام أحد المحال الذي يعرض الفساتين البيضاء توقفت السيارة وترجَّل منها كلٌّ من سعيد وحبيبة، أما آدم فظلَّ جالسًا بداخل السيارة ينعي سوء حظه، كم يتمنى أن يكون هو مرافق حبيبة ويختار معها فستان فرحها الذي ستتوج فيه ملكة لقلب من يجلس بجوارها ذلك اليوم، ويبدو أن سعيد قد فاز بها مليكة لقلبه، وقد خسر آدم أيما خسارة.

خرجت حبيبة والفرحة تملأ وجهها تضم يد سعيد الذي بدا سعيدًا بحق، حين جمعتهما السيارة مرة أخرى، أمسك سعيد بيدها ورفعها إلى فمه ثم قبَّلها قبلة طويلة أودعها كل حبه وسعادته في تلك اللحظات وقال لها:

-أحبك يا زوجتي.

-أحبك يا زوجي.

ابتسم سعيد ابتسامة خبيثة ثم قال لها:

-أراكِ لا تخجلين من قولها الآن.

ضربته حبيبة ضربة خفيفة في كتفه ثم قالت بعندٍ:

-ولم قد أخجل؟ أنت زوجي وحبيبي.

-أحبك يا أجمل وأرق عروس في الكون.

وآدم يجلس خلفهما يراقبهما في صمت وكأنه يخشى أن يفسد لحظات السعادة تلك، وعيناه تذرفان الدموع وقلبه يمتلئ بالحسرة والألم، شعر بألمٍ شديد يعتصر قلبه فظنَّ أنه بسبب حزنه، إلا أنه حينما بدأت المشاهد بالإختفاء من حوله بدأ يدرك قدومه الحتمي، شعر بأن روحه تنسل خارج جسده، هل سيموت الآن، إذًا فسوف يستريح من ذلك العذاب المقيم، أصبحت رؤيته مشوّشة، المشاهد أمام عينيه باهتة ثم شيئًا فشيئًا بدأ يتجسد أمام عينيه شخصٌ ما، لم يحتَج لرؤية وجهه لمعرفة كنه هذا الشخص، أو هذا الشيء، تجسَّد ذلك المسخ أمام عينيه المذهولتين لما أدرك سبب ذلك الألم الشديد، كان ذلك المسخ واقفًا أمام آدم مباشرة، مادًا يديه بداخل تجويفه الصدري، معتصرًا قلبه بيده، مسببًا آلام لا حصر لها، تمتم آدم ببضع كلمات لم يتبينها ذلك المسخ فمال على أذنه ليسمعه بوضوح فسمعه يقول:

-من أنت؟

-ألم تعرفني بعد؟ أخبرتك من قبل إن لم تعرفني فسيكون في ذلك هلاك لك.

قالها ثم رفع رأسه في هدوءٍ ليراه آدم بوضوحٍ أكثر، وجه مشوه وإن بدا أكثر وضوحًا من ذي قبل، سحبَ يديه التي يعتصر بها قلب آدم فرأى مخالب طويلة، قذرة تزين يديه، ملابسه عبارة عن أثمال تكشف أجزاءً من جسده المشوَّه.

-أنت خالد، أليس كذلك؟

-حاول أن تتذكرني وإلا كان في ذلك موتك أيها التعس.

قالها ثم أشار بأحد مخالب يده اليمنى إلى أعلى رأس آدم؛ فرفع رأسه تلقائيًّا ليرى ما يشير إليه فلم يجد شيئًا سوى الظلام الدامس، عاد ببصره ليسأله عما يشير إليه ولكنه لم يكن هنالك، اختفى تاركًا إياه في حيرته.

10:24

سمع صوت موسيقى صاخبة يأتي عن يساره فأدار رأسه سريعًا باتجاه الصوت ليجد نفسه جالسًا في قاعة أفراح كبيرة ممتلئة عن آخرها، وجميع الحضور تتعلق أنظارهم باتجاه باب القاعة الرئيسي، لم يكن في حاجة للسؤال لمعرفة فرح من هذا، ما هي إلا لحظات حتى تأكدت شكوكه؛ فعلى باب القاعة وقف سعيد يتأبط ذراع حبيبة، ويا له من شعور قاسٍ حين ترى محبوبتك تُزَف إلى غيرك، ويا له من

شعور أقسى حين ترى السعادة مرتسمة على وجهها وكأنها تقصد إثارة حنقك وإيقاظ آلامك التي لم تنتهِ، وتفتح جرحًا لن يندمل في قلبك.

تقدَّم العروسان بعد انتهاء إجراءات التحية والمباركات من الأقارب، وعلى أنغام إحدى الأغانى الهادئة رقصا، كم حلم آدم أن يكون هو من يراقص حبيبة في تلك اللحظات، بل ولسوء حظه كان حلمه أن يراقصها على ذات الأغنية التي تدور الآن ليشعر بخطٍّ ساخن ينساب من عينيه، عندها رأى آخر شخص يتمنى رؤيته في تلك اللحظات، رأى خالدًا يتحدث مع أحد مسؤلي القاعة، في تلك اللحظات تأكدت ظنونه التي دارت في رأسه قبل بداية المرحلة، كم تمنى لو كان مخطئًا في ظنه.

خالد أحمد خلف، شقيق سعيد الذي يحضر زواجه الآن على حبيبة، الآن فقط بدأ يفهم أبعاد اللعبة، أبعاد الانتقام الذي يعدّه خالد له، لقد استهان به وبقدراته، وها هو يدفع ثمن استهانته به، ولكن الذي لم يفهمه هو..

-لِمَ؟

-لِمَ؟ سؤال وجيه حقًا، ألم تدرك ما تسببت فيه بعندك وتكبرك؟

-وما شأنك أنت؟ هل أسأت لك؟ هل تسببت في ضرر لك؟

-بل ما هو أسوأ من ذلك، لقد تسببت في ضررٍ لذاتك، لقد تجاهلتني عن عمدٍ طوال تلك السنوات، وقد آن الأوان لتدفع ثمن أخطائك، لتدفع ثمن جهلك.

-ماذا ستفعل؟ هل ستقتلني؟

-الموت لمن هم أمثالك راحة، وأنت لن تنالها بعد اليوم، لن تنعم بنوم هانئ، لن تذوق طعمًا للراحة، ولن تستطيع نقودك أو نفوذك إنقاذك مما أدبره لك، ستتمنى الموت ولن تناله، والآن فلتعد إلى اللعبة لترى إلى أين سيكون مصيرك، لترى طريقك الذي حفرته يداك.

عاد آدم إلى مقعده مرة أخرى ليجد أن معظم الحضور قد انصرف ولم يبقَ سوى القليل منهم، بعد لحظات قلائل قام سعيد وحبيبة والسعادة بادية على وجهيهما، كعصفورين متجهين إلى عشهما سارا تحيطهما البهجة والتهانئ تنهال عليهما حتى وصلا إلى باب القاعة الرئيسي.

-قم لتلحق بهما.

كان يريد القيام إلا أن قدميه لم تساعداه، يريد اللحاق بهما إلا أن قلبه يرفض طاعته وبالتالي رفض عقله إصدار الأمر، يريد إيقافها وإخبارها كم أحبَّها، أنه لا يزال يحبها، يريد إخبارها أنها تستحق الأفضل، قد لا يكون هو إلا أنه بالتأكيد ليس سعيدًا، ليس أخا

خالد، يريد فعل الكثير من الأشياء، ولكنه لم يفعل أيًا من ذلك، ظلَّ مطأطئ الرأس تنساب دموعه أنهارًا حتى خرجا من القاعة، عندها فقط تحركت قدماه ليتبعهما.

سار آدم بضع خطوات يقدم قدمًا ويؤخر الأخرى، شعر بالاشتياق لوالدته، كم يفتقد صدرها الدافئ وضمتها له التي تضمد جراح قلبه وروحه، سار بضع خطوات أخرى، كم يتمنى أن يكون والده بجواره الآن لينهل من نبع حنانه الذي لا ينفد ويسقيه من خبراته، يفتقد تربيتة يده على كتفه التي تزيح الهموم والأعباء التي يشعر بها، لم لا تنتهي تلك القاعة، جسده مرهق وكأنه يسير منذ ساعات، تذكَّر مصطفى صديقه ونصائحه التي دائمًا ما كانت تفيده، شعر كم كان أنانيًا، كم كان مقصرًا في حقهم جميعًا، حتى في حق نفسه التي كرهها الآن، كان كل ما يهمه هو الأخذ، لم يجرب يومًا متعة العطاء، متعة أن يفيد غيره، متعة أن يرسم السعادة على وجوه الآخرين، لم يتضمن قاموس حياته معنى العطاء، معنى البذل دون انتظار مقابل؛ فهذا أسمى قيم الحب، لهذا فشلت علاقته بحبيبة.

-ها قد أدركتها أخيرًا.

-أجل، لقد كنت محقًا، وكنت أنا المخطئ الوحيد.

-ولكنك أخطأت مرة أخرى، فأنت لم ترَ السعادة على وجوه الأطفال الذين آويتهم في ذلك الملجأ، لم تسمع الدعوات الخالصة من قلوب العجائز الذين حويتهم في تلك الدار.

-ولكنك تعلم أن كـ...

-أنـا لـم أتحـدث عنـك، ولا عـن هـدفك وراء ذلـك، أنـا أتحـدث عمـا يشعرون هُم به.

وصـل آدم أخيرًا إلى بـاب القاعـة وعنـدها صـمت الصـوت سـامحًا لـه باتخـاذ القـرار.. أخـذ آدم نفسًـا عميقًـا ثـم زفـر بقـوة وعبر البـاب، وباليته ما فعل...

10:41

فتح سـعيد باب المسكن ثم بحركة مسرحية انحنى واضعًا يسراه خلف ظهره وبيمناه أشار إلى حبيبة باتجه الباب المفتوح قائلًا:

-سيدتي..

احمـرت وجنتـا حبيبـة خجـلًا ثـم تقـدمت وولجـت إلى الشـقة ليـدخل سـعيد خلفهـا مغلقًـا البـاب، وبـبطءٍ شـديد تقـدم حتى أصـبح خلفهـا تمامًا ثم حملها كالطفل الصغير، لتخرج من بين شفتيها صرخة ما لبثت أن منعتها بصعوبة لتتسع ابتسامتها عن آخرها لتسأل بخجل:

-سعيد، ماذا تفعل؟

-ماذا يبدو لكِ أنني أفعل؟ لا أريد لزوجتي العزيزة أن ترهق قدماها للوصول إلى باب الغرفة.

قالها ثم غمز بعينه ليقترب بشفتيه من رأسها ويزينها بقبلة حانية معبّرة عن حبه وسعادته، ثم تقدم باتجاه باب غرفة النوم، وما إن دخلها حتى أغلق الباب بقدمه.

-بم تشعر الآن وأنت ترى زواج حبيبة؟

-كحلم أسعى جاهدًا في تحقيقه ولكنه صعب المنال، كنجمة عالية أراها رؤي العين أمد يدي، ولكنها لن تطولها؛ فالحلم موجود والنجمة مضيئة، ولكن كلاهما مجرد درب من دروب الخيال.

-والآن فلترَ المفاجأة الأكبر التي كنت أحتفظ بها لأختم ذلك المشهد، ولأطوي تلك الصفحة من حياتك إلى الأبد.

-هل بقي المزيد من المفاجآت؟

-فلتدعُها مسك الختام.

تغيَّر مشهد الصالة بالمنزل بمشهدٍ آخر، أمام غرفة العمليات بإحدى المستشفيات أخذ سعيد يروح ويجيء يبدو عليه التوتر، لحظات وخرجت إحدى الممرضات قالت لسعيد:

-مبروك لقد أصبحت أبًا لولد رائع الجمال.

كاد سعيد يطير من فرط سعادته، أعطى الممرضة مبلغًا كبيرًا من المال في يدها، انتظر حتى خرج بعض الممرضات يجرون السرير الذي يحوي حبيبة زوجته وطفلهما الصغير وتبعهن إلى حيث غرفة حبيبة،

ما إن استقرت حبيبة على سريرها حتى ذهب إليها مسرعًا واحتضن يدها وقبَّلها ثم حمل طفلهما، تأمله قليلًا ثم قبله وسأل حبيبة:

-ماذا سنسميه؟

-أتريد أن تسميه اسمًا معينًا.

-كلا، هذا طفلنا الأول وأنتِ من سيسميه.

-حسنًا..

فكرت حبيبة قليلًا ثم قالت:

-ما رأيك بآدم؟

-آدم، اسم رائع لا بأس به.

هنا شعر آدم بعرق بارد يغمره؛ فقد أصابته كلمات حبيبة في مقتل، بعد كل تلك السنوات ما زالت تذكره، آخر ما رآه آدم مشهد احتضان سعيد لحبيبة وولدهما آدم، بعدها مادت الأرض تحت قدميه لتختفي الصورة تدريجيًّا، اختفت ملامح الغرفة ثم اختفى سعيد لتبقى الصورة الوحيدة الباقية، هي صورة حبيبة وآدم ثم اختفى المشهد تمامًا ليعود آدم مرة أخرى إلى كلوميرو في انتظار مصيره الذي ستحدده المرآة القادمة والأخيرة.

obeikandl.com

10:59

خرج آدم من المرآة بسلاسة تامة، وما إن استقر في الغرفة حتى لاحظ شيئًا غريبًا، هناك شيء ما مختلف هذا المرة؛ فالمرآة لم يتحول لونها كما هي العادة بعد انتهاء المراحل السابقة، كما أنه شعر وكأن معه شخص آخر في الغرفة، على الرغم من أنه يرى الغرفة خالية تمامًا.

تلفت حوله مرة أخرى فلم يرَ شيئًا، عندها بدأ الحديث.

-مرحبًا بعودتك.

-ماذا يحدث؟

-أتريد حقًا معرفة ما يحدث؟

-بالطبع..

-انظر حولك لتعرف..

-لا يوجد سوى المرايا، ولكني أشعر باختلاف هذه المرة.

-إذًا فعليك بالانتظار..

-انتظار ماذا؟

-أن تسمح لك عقارب الساعة بالمعرفة، لا تقلق ما هي إلا لحظات قلائل وسيتكشّف الأمر جليًا، فقط حينما يتم السماح بذلك.

opeikandl.com

صمت تام عم المكان، وقلق آدم يزداد بمرور الوقت، يشعر أنه ينتظر منذ ساعات، إلا أنه لم يجرؤ على أن ينبس ببنت شفة احترامًا لهذا الهدوء، ولكن هذا لم يمنع آلاف التخيلات من أن تمرّ على ذهنه..

شقَّ الصمت صوت الدقات، دقات عقارب الساعة ليسمع الصوت يقول له:

-إذًا فقد حان الوقت..

لم يرد آدم، لم يدرِ ما يقول فالتزم الصمت، سمع صوت خالد يقول له بغلظة، بغير ودٍّ:

-الآن لم يتبقَّ لك سوى مرآة واحدة، لن يكون عليك رقيب في هذه المرحلة سوى نفسك.

كان آدم قد وصل إلى أقصى درجات غضبه ولم يعد يتحمل المزيد، ولكنه تعلَّم الصبر، فصمت ليسمع خالد يكمل كلامه قائلًا:

-لن أكون رقيبًا في تلك المرحلة، أنت من سيحدِّد نهاية اللعبة، أنت من سيحدد كيف تخرج من متاهة الزمن.

ثم صمت قليلًا ليعطي لآدم فرصة التفكير في المصير الذي ينتظره، ثم عاد ليكمل بآلية تامة وكأنه لم يمرّ بكل تلك المراحل مع آدم الذي تعلقت عيناه بالمرآة الأخيرة.

-هـذه المرحلـة مختلفـة بالفعـل كمـا اعتقـدت سـلفًا، لهـا قواعـدها الخاصة، قواعد مختلفة تمامًا.

نطق الجملة الأخيرة بطريقة مختلفة، طريقة متشفية، وكأنه سعيد، منتظر ما سيواجهه آدم، ومع نهاية كلماته، أضاءت المرايا جميعًا بضوء قويّ اضطر معه آدم أن يغطي عينيه بيديه كي لا يؤذيه الضوء، أنزل يديه رويدًا وفتح عينيه ببطءٍ شديد لتتسعا عن آخرهما ويتراجع إلى الخلف لتبدأ المرحلة الجديدة والأخيرة من اللعبة.

obeikandl.com

11:00

حينما بدأت رؤية آدم تتضح، كان ما ينتظره أشد هولًا من كل ما فكر به؛ فالمرآة الثانية عشر والأخيرة لم تكن تعكس صورته، ولكنه رأى المسخ في أبشع صوره واقفًا، مغمضًا عينيه في استمتاع، توقع آدم أن جسده سوف يقترب من المرآة وسيكون المسخ في استقباله، ولكن ذلك لم يحدث، فجأة فتح المسخ عينيه ثم قال محييًا آدم:

-مرحبًا بك أيها التعس.

شُلَّ لسان آدم من الصدمة؛ فلم يستطع الرد وإن ازدادت عيناه اتساعًا من هول الموقف ومن شدة قبح ذلك المسخ.

-ماذا بك؟ أرأيت جنيًا؟

-من أنت؟

-ألم تتعرف عليَّ بَعد؟ حسنًا إذًا فقد اخترت، ولكن قبل أن نلعب لعبتنا؛ فعليك أن تعلم أن هذه المرحلة من اللعبة ستكون متعددة الحيل؛ فعليك أن تحتاط وتأخذ حذرك، ليس لسلامتك ولكن لكي أستمتع بما سأفعله بك في النهاية.

-ماذا تعني بتلك الحيل؟

-الآن ستعلم، ولكن عليك أن تعلم أن هذه المرحلة ستكون مختلفة عن سابقاتها، فكل أحداثها ستدور هنا في كلوميرو، المنطقة المتعادلة بين الواقع ومتاهة الزمن، فإلى أيهما ستعبر؟ هذا ما ستحدده هذه المرحلة.

-لم أعتد هذا الكلام منك، هذه التعليمات كان يمليها على خالد.

-خالد؟ أتعني ذلك الصوت؟

-أجل..

ابتسم المسخ ابتسامة خبيثة، لم يفهم آدم معناها ثم أكمل بهدوءٍ:

-والآن بعد أن رأيت أهم أحداث حياتك، أتشعر بالندم على أيٍّ منها؟

-الكثير مما فعلت، أتمنى لو أستطيع تصحيحه.

-هل تشعر أنك ظلمت أحدهم يومًا؟

-لقد ظلمت كل من دخل حياتي، أتمنى لو أستطيع الاعتذار منهم على ما بدرَ منّي.

-هل تعتقد أن بإمكانهم مسامحتك على ما فعلته بهم؟

صمت آدم مفكرًا، هل سيسامحونه بالفعل إذا طلب منهم ذلك؟ لا داعي للتفكير في الأمر؛ فقد مات الكثير منهم وما زال يلوم نفسه على موتهم، سمع المسخ يقول:

-فلتطلب منهم إذًا..

-كيف ذلك وهم موتى؟

-فلتقابل إذًا أول ضيوفنا في هذه المرحلة.

ثم أشار بيديه باتجاه الساعة الثانية عشرة، فنظرَ آدم حيث أشار فوجد نفسه ينظر إلى صورته المنعكسة في المرآة الأولى، أدار بصره في

باقي المرايا فوجد أن جميعها تعكس صورة وجهه الذاهل، وحيرته التي تظهر جلية على ملامحه، عاد ببصره مرة أخرى إلى المرآة الأولى التي تحمل الرقم "12" ليجد صورته تتحول ليطالعه وجه افتقده منذ أمدٍ بعيدٍ، وجه رآه من قبل في تلك المرآة، وجه والده.

-أبي!!!

-كيف حالك يا بني؟

-أنا أفتقدك، سامحني يا أبي على ما فعلته بك، سامحني على جهلي بنعمة وجودك إلى جواري، على أنني لم أنهل من فيض محبتك، كم كنت غبيًا وأنانيًا، لم أهتم سوى بالمال.

-هوّن عليك يا ولدي.

-كيف وقد كنت سببًا في دخولك السجن وموتك وحيدًا، حزينًا، لم أكن بجوارك؟

-لقد سامحتك يا بني، فأنا من رباك على هذا، لقد تغيَّرت يا آدم، أنا فخور بك وبما فعلته للشركة من بعدي، شيء أخير أنصحك به، فلتحسن الاختيار يا بني.

-أي اختيار؟ ماذا تقصد يا أبي؟

ولكن والده لم يرد عليه.. أبدًا، فقد عاد للمرآة ظلامها، وللغرفة هدوؤها، ولم يبقَ سوى صوت أنفاس آدم تتردد في الغرفة والمرايا العشر الأخريات تعكسن صورته، والأخيرة لا زال يقف بها ذلك المسخ بصورته المنفّرة مراقبًا لآدم في صمت.

11:12

-احذر دقات قلبك فقد تقتلك..

لاحظ آدم أن دقات قلبه تنافس أسرع عدّائين العالم، فنظرَ إلى ساعته ليجد عقاربها تدور بسرعة جنونية هي الأخرى، ليكمل المسخ قائلًا:

-لقد حذرتك من قبل أن ساعتك متصلة بقلبك.

حاول أن يهدأ، ولكن رأسه يطن بالعديد من الأفكار، أخذ الأمر بعض الوقت حتى هدأ تمامًا وعادت عقارب الساعة تدور على طبيعتها، وحينما استطاع التحدث أخيرًا صرخ بغضبٍ قائلًا للمسخ:

-أيها الوغد، ماذا يحدث؟

-أخبرتك أن هذه المرحلة مختلفة ولدينا العديد من الضيوف هذه المرة.

ثم أشار بيده إلى المرآة الثانية قائلًا:

-فلتقابل ضيفنا الثاني.

نظر آدم إلى حيث أشار ليجد السواد ينقشع عن المرآة ليظهر وجه والدته مشرقًا، مضيئًا كالبدر بابتسامة ودودة، حانية زادت وجهها إشراقًا، كم افتقد هذه البسمة المطمئنة، صرخ بغضب:

-لم تفعل هذا أيها الـ...

-احذر فوالدتك تشاهد وتسمع.

-هذا غير حقيقي، فقد ماتت، لقد رأيتها بعيني.

ليسمع آدم صوتها دافئًا مطمئنًا:

-بني، أنا هنا..

-سامحيني يا أماه، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا، ولكني أعلم أن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا.

ليرد ذلك المسخ مذكّرًا إياه:

-أما زلت تشكك في قدرات عقارب الساعة؟ تذكر أنك لم تخرج بعد من متاهة الزمن، أي أنك ما زلت واقعًا تحت قوانينها.

متأملًا وجهها، سقط على الأرض، علا نحيبه، انهمرت دموعه أنهارًا وكأنها لن تتوقف أبدًا، ليجدها تشير إليه بحنانها المعتاد، متناسية كل ما فعله بها، إهماله الجسيم في حقها، فاتحة ذراعيها له، فقام مكفكفًا دموعه متوجهًا إليها:

-سامحيني؛ فقد خذلتك كثيرًا، لم أرعكِ حق رعايتك، حتى في لحظاتك الأخيرة، كنت أتمنى أن أظل تحت قدميكِ ما تبقى لي من عمر، ولكن القدر كان أقوى وأسرع.

-لم أغضب منك كي أسامحك يا بني.

obeikandl.com

كان قد وصل قرب المرآة فاتحًا ذراعيه، ليشعر بضمتها الحانية له، حين اصطدم بجسم المرآة الصلب، البارد، فتراجع ليجد بياض عينيها يختفي، وتختفي تلك الهالة حولها، ثم تظلم المرآة من حولها، حتى تحول لونها إلى اللون الأسود مرة أخرى، فازداد غضب آدم، وازداد حنقه، ومعه عادت دموعه لتسيل مرة أخرى، ليضرب المرآة بقبضتيه حتى سال الدم منهما.

11:24

وقف المسخ يشاهد آدم حتى هدأ قليلًا، ثم قال له بهدوءٍ تام وكأن شيئًا لم يحدث.

-الشخص التالي كان شديد القرب منك.

-لِم تصرّ على تعذيبي؟

قالها آدم بمزيج من الحدة والغضب وهو يتجوه إليه مكورًا قبضته التي تسيل منها الدماء، فقال له المسخ:

-لتتحكم في غضبك، فالغضب يأكل في الروح كما تأكل النار الحطب.

-لا تتذاكَ عليَّ، هذا شأني أنا.

كان ما زال يتقدم منه والغضب بادٍ على وجهه فأشار المسخ نحوه بيده فشعر آدم بجسده توقف فجأة، واستدار رغمًا عنه ناظرًا باتجاه

المرآة الثالثة ليجد صديقه مصطفى عاقدًا يديه أمام صدره، ناظرًا له بحيرة وذهول:

-مصطفى؟!

-آدم، ماذا تفعل يا صديقي؟

-لم فعلت ذلك يا مصطفى؟ لم انتحرت؟

-أنت تقصد ذلك اليوم، لقد كنت محبطًا، غاضبًا، ولعب المخدر الذي تناولته دورًا كبيرًا في هذا الأمر.

-كم أتمنى أن تكون بجواري الآن يا صديقي، أنا افتقدك حقًا، أتمنى أن تسامحني.

-أسامحك؟ علام أسامحك؟

-على أنني لم أكن هناك حين احتجت إليَّ، على غضبي عليك الكثير من المرات وعدم سؤالي حتى عن أحوالك، عن كثرة شكواي إليك همومي وأحزاني وعدم التفاتي إلى ما تعانيه وتكتمه داخلك ولا تخرجه لكي لا تزيد همي، الآن فقط فهمت، الآن أندم على كل لحظة مرت إلى جوارك وأنا لا أعلم أنك تتألم بداخك وتخفف عنى آلامي.

نظر مطصفى إلى آدم الذي تقطر عيناه بالدموع، ثم نظر إلى الفراغ ليمنع دمعة تكاد تفر من عينه.

-أتمنى أن تسامحني أنت، فقد خذلتك مرات عديدة، وحين احتجت إليَّ في المرة الأخيرة لم أكن بجوارك، وسمحت لغضبي وحزني أن يتحكما فيَّ لأنهي حياتي، وأبتعد عنك إلى الأبد، لذلك أحسِن الاختيار يا آدم، لا تتسرع مثلما فعلت، ولا تسمح لغضبك بالسيطرة عليك.

-أي اختيار؟ أخبرني من فضلك.

-في أي موقف تمرّ به يكون فيه العديد من الخيارات، تأنى واختر الأفضل.

-كن محددًا، لا تفعل مثلما يفعلون بي.

ابتسم مصطفى في شفقة وقال لآدم وقد بدأت المرآة التي يقف بها تظلم ويغزوها السواد:

-لقد اقترب اختبارك يا صديقي، فأحسِن الاختيار.

ثم صمت تمامًا ليعود الهدوء إلى الغرفة.

11:36

-والآن حان وقت اللقاء مع شمس حياتك، مصدر ضوئها، من تدعوها ملكة قلبك، محبوبتك حبيبة.

-كيف تعرف ما أدعوها به؟

-أنا أعرف عنك الكثير، أكثر مما قد يتخيله عقلك القاصر.

-من أنت؟

-عليك أن تعرف هذا بنفسك، والآن فلنعد مرة أخرى إلى اللعبة.

قالها مشيرًا إلى المرآة الثالثة لتضيء بهدوءٍ من مركزها وينتشر الضوء حتى شمل المرآة كلها وكانت المفاجأة..

-المرآة فارغة، أين حبيبة؟

-لا تسألني، لقد اعتدت أن تراها بعينيك، انظر جيدًا فحبيبة لن تتساوى مع باقي من قابلتهم مهما كانت درجة قربك منهم، أنت تعلم جيدًا أن لها مكانة خاصة في قلبك.

فهم آدم ما يعنيه المسخ، فأغمض عينيه ناظرًا باتجاه المرآة وناداها، ليجد المرآة تتجسد في خياله وسط الظلام وتظهر بها حبيبة مضيئة كالشمس، مدَّ يده باتجاهها يريد أن يتلمسها، ولكنه تذكَّر ما حدث مع أمه فضم يده وأعادها إلى جواره مرة أخرى ليجد وجهها عابسًا.

-لِم الغضب يا حبيبتي؟

-لستُ حبيبتك، أنت تعلم جيدًا لِم أنا غاضبة!

-صدقيني لا أعلم.

-حقا؟! ألا تعلم أنني أحببتك بصدق من كل قلبي وتمنيت قضاء بقية حياتي معك؟ ألا تعلم أنك أدرت ظهرك لي بكل سهولة حينما طلبت منك الزواج؟ ألا تعلم أنك تركتني حينما كنت في أمس الحاجة إليك؟ ألا تعلم أنني انتظرتك طويلًا؟ إن كنت لا تعلم كل ذلك فما الذي تعلمه؟

حينما أنهت حبيبة كلامها انهارت باكية، وانسابت دموع آدم هو الآخر بغزارة نادمًا على تركه لذلك الملاك بالذهاب بسبب عنده وتكبره، إضافة إلى أنه جرحها جرحًا لن يندمل مهما طال بها العمر.

-ولكنك أيضًا تركتني، ووافقتي على الزواج من شقيق ألد أعدائي، الذي سعى إلى تدميري وشاركت دون علمك في تلك المؤامرة التي كان يحيكها لي ويدبر للانتقام.

-استمع إلى نفسك الآن، أتصدق ما تقول؟ لقد ساعدني سعيد زوجي على الخروج من الكآبة التي وضعتني بها، أتلومني على شيء لا أعلمه؟ أتلومني على بحثي عن السعادة؟ كم أنت أنانيًا بحق! لقد كنت غبية بحبي لك، بانتظاري لك طوال تلك السنوات بعد أن هجرتني بجفاءٍ، كم كنت حمقاء.

-حبيبة، أرجوكِ.. لقد ندمت على كل ما سبتته لك من حزن وآلام، لقد ندمت على غبائي بابتعادي عنكِ، بتركي إياكِ تذهبين بتلك الطريقة، أنا نادم بالفعل على التخلي عنك، وعدم اختيارك للبقاء

معي ما تبقى لنا من حياة، فلا تزيدي من تأنيبي من فضلك، يكفي تأنيب الضمير واللوم الذي ألومه لنفسي كل يوم.

-ضميرك؟ هل تملك واحدًا!!! لا أعتقد هذا، لقد أسأت الاختيار مرة معي، أتمنى أن تحسن الاختيار فيما هو قادم، وألَّا تندم على ما ستختار، لأنه لن ينفع الندم حينها.

حينما أنهت حديثها فتح آدم عينيه ليراها أمامه في المرآة ولكنها ليست وحيدة هذه المرة، رآها تحمل آدم ولدها وتضمه بقوة وبجوارها يقف سعيد زوجها ضامًا كليهما إلى صدره، تحمل عيناهما كل الحب والشوق للآخر ولولدهما آدم الذي يبتسم بسعادة وهو يرى والديه يحنوان عليه ويسقيانه من نبع حبهما وشوقهما، أسرة سعيدة هانئة، كم تمنى أن تكون أسرته مثل تلك، أو تكون تلك أسرته وهو من يضم زوجته حبيبة وولدهما، على الرغم من دموعه وحزنه ارتسمت ابتسامة هادئة على وجهه متمنيًا لهم دوام الحب والسعادة التي لم يستطع تحقيقها لها أو لنفسه.

11:48

ترك المسخُ آدم لحظات ليستجمع أنفاسه بها، لما شعر أنه أصبح جاهزًا تحدث قائلًا:

-والآن جاء دور الشخص الأخير والأهم في تلك الليلة.

-ماذا تعني أنه الأخير؟ هل انتهت اللعبة؟

-من يعلم!!

-تبًا لكم، أتتلاعبون بي؟ أنت تعلم وخالد يعلم، لم لا تخبروني بالأمر مباشرة طالما تعلمون؟

-وأين تكمن متعة اللعب إذًا!!!

نظرَ له آدم بغيظ وحنق شديدين ثم أدار وجهه للجهة الأخرى، ليكمل المسخ مستطردًا:

-والآن مع أهم ضيوف اللعبة قاطبة.

مع نهاية كلمات المسخ، شعر آدم بالرهبة ورعشة خفيفة تسري في جميع أنحاء جسده، خوفًا من المجهول ومما هو قادم فلهجة ذلك المسخ تشي بأن ما هو آتٍ سيحدِّد الكثير، لهجة تحمل الكثير من الغموض، المتعة، والتشفِّي.

بدأت المرآة الرابعة بالإضاءة من أسفل المرآة رويدًا رويدًا، أدرك آدم أنه يتم التلاعب به وبأعصابه، وقد نجح ذلك بالفعل، ظهرَ من أسفل المرآة حذاء رجالي، إذًا فالضيف القادم رجل، وصل الضوء حتى ركبتي ذلك الرجل ليجده آدم يرتدي بنطالًا جينز شبابيًّا.. إذًا فهو شاب، ليس رجلًا كبيرًا، حين وصل ضوء المرآة إلى صدره، وجد آدم قميصًا لونه يدل على التأنّق والوقار في الوقت ذاته، إذًا فهو تخطى مرحلة الشباب بقليل، خمن أنه في الأربعينيات من العمر،

ظهرت رقبته فتسارعت أنفاس آدم، ما هي إلا لحظات وسوف يعرف من هذا الضيف الغامض.

عندما سقط الضوء على وجه ذلك الشخص كانت تنتظر آدم مفاجآة من العيار الثقيل، مفاجأة لم يحسب لها حسابًا، بالفعل كان هذا الشخص هو أهم ضيوف اللعبة، نظر آدم إلى وجه خالد المبتسم بغضبٍ وكراهية، تحدث المسخ سائلًا آدم الذي تطل من عينيه نظرات البغض:

-هل تعرف ذلك الشخص؟

-أعرفه حق المعرفة، فهو سبب كل ما أنا فيه الآن.

هنا تدخل خالد قائلًا:

-أحقًا؟ وكيف تعرف ذلك؟

-لقد كان صوتك مصاحبًا لي طوال مراحل اللعبة -كما أسميتها- منذ بدايتها.

-إذن فقد سمعت صوتي فقط!!!

-أجل..

-أوَيكفي هذا لإلقاء اللوم عليَّ؟

-ومن غيرك سألوم؟

-لم لا تلوم نفسك؟ لم تلقِ بأعبائك على الآخرين دون أن تتحقق إن كانوا سببًا في عذابك حقًّا أم لا؟

-إذن فأنت تقول إنني سبب ما أنا فيه الآن!

-أنا أقول لك أن تتأكد أولًا قبل أن تلقي الاتهامات جزافًا، دعني أسألك لِم تكرهني إلى ذلك الحد؟

-ألا تعلم سبب كرهي لك؟ إذن دعني أعدد لك الأسباب، حينما لاحت الخسارة للشركة، أدرت ظهرك لنا واستدرت باحثًا عن فرصة أفضل، بل وسعيت في إسقاط الشركة تمامًا بتحريض العمال على تقديم شكاوى بعدم تقاضي رواتبهم، لا أدري كيف علمت بعلاقتي بحبيبة، ولكنك سعيت جاهدًا لتزوجها من أخيك بعدما تركتها، يكفي ما مررت به من عذاب بسببك في تلك اللعبة اللعينة.

-لاحظ أنها لم تنتهِ بعد.

-لم أعد أهتم، لا شيء يهمني في الوجود سوى معرفة الحقيقة، لِم فعلت كل ذلك؟

-الحقيقة إذن، أتذكر ما أراك إياه؟

قالها مشيرًا إلى المسخ، ليتذكر آدم تلك اللحظة التي فتح فيها باب مكتب ذلك الموظف في الشركة وتذكر صدمته مما رأى في تلك اللحظة، فما وقعت عليه عيناه كان آخر شيء يتوقعه، أفاق آدم على صوت خالد يكمل قائلًا:

-ولكن تذكر أن الحقيقة دائمًا ما تكون صادمة، وغير متقبلّة، فهل أنت مستعد لتلقّي الحقيقة؟

-أجل.

قالها آدم وصوته يحمل بعض التردد والخوف، ليكمل خالد مشيرًا إلى المسخ:

-إذًا فلتذهب إليه..

ليشعر آدم بمن يجذبه من قفاه، لم يستطع النظر إلى الخلف، ولم يملك الوقت لإدراك ما يحدث فقد شعر بنفسه يغوص بداخل المرآة الأخيرة.

11:59

في طريق العودة بعد انقضاء عزاء والدته تذكَّر آدم أن صراعًا كان يدور في رأسه حول إذا ما كان خالد مخطئًا بتركه الشركة أم لا حينما أفاق على ضوء قوي يغشي بصره، ها هو يعود إلى تلك اللحظة مرة أخرى ولكن المسخ لم يظهر له هذه المرة، وإنما ظهرت حافلة كبيرة تفاجأ سائقها بسيارة آدم تعبر الحد الفاصل بين الطريقين، فضغط كلاهما المكابح في الوقت ذاته ولكن المسافة بين السيارة والحافلة لم تكن كافية لتفادي الاصطدام، فاصطدمت الحافلة بمقدمة سيارة آدم الذي ضربت رأسه المقود في قوة وفقد الوعي ولم يشعر بالسيارة تدور حول نفسها عدة دورات قبل أن

تصطدم عجلات السيارة بالإفريز الأيمن لتنقلب السيارة عدة مرات ثم تستقر مقلوبة على سقفها قبل أن تتوقف أخيرًا.

هرع سائق الحافلة لإنقاذ آدم؛ فهبط من الحافلة وأسرع بإخراج آدم من سيارته ومدَّد جسده على الطريق واتصل بالنجدة التي أتت بعد مضي ما يقرب من النصف ساعة، كاد يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة، ولكنهم قاموا بعمل الإسعافات الأولية له ثم نقلوه سريعًا إلى المستشفى، عندما وصلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى كان قد تم الاستعداد لاستقبال آدم، تم تجهيزه سريعًا وتقييم حالته ليجد الأطباء أنه يحتاج للدخول إلى غرفة العمليات في الحال، تم فحص محتويات جيوبه حتى عثروا على هاتفه الجوال، فقامت الإدارة بالاتصال بآخر رقم مسجَّل على الهاتف وقد كان رقم عمه وأبلغوه بحالة آدم السيئة، فأخبرهم باتخاذ اللازم لحين وصوله.

وصل عمه سريعًا إلى المستشفى وانتظر أمام غرفة العمليات وقتًا طويلًا حتى خرج أحد الأطباء فاستقبله في لهفة سائلًا عن ابن أخيه:

-كيف حاله الآن؟ هل تحسن؟

-سأخبرك بكل صدق، حالته غاية في التعقيد، نتمنى أن تمر الاثنا عشرة ساعة القادمة على خير وإلا...

لم يكمل الطبيب كلامه واستدار راحلًا، لم يكن في حاجة لإخباره بما سيحدث فإن لم تمر الساعات التالية على خير فإن آدم سيموت.

شعر آدم بجسده يعود إلى كلوميرو مرة أخرى، الآن فقط فهم ما أراه إياه المسخ ذلك اليوم؛ فقد رأى جسده ممدًا على السرير، تحيط به

الضمادات، الآن فهم سبب آلامه التي كانت تنتابه أثناء المراحل الأخيرة؛ فقد كانت بسبب ذلك الحادث الذي لم يتذكره سوى الآن، الآن فقط..

عاد إلى كلوميرو محملًا بالعديد من الأسئلة وما إن رأى خالدًا والمسخ مستقرين في أماكنهما حتى بادرهما بالسؤال الأول:

-إذًا فأنا ساقط في غيبوبة؟

أجابه المسخ:

-منذ إحدى عشرة ساعة وتسع وخمسين دقيقة.

-حقًا كما قلت من قبل، فعقارب الساعة لا تخطئ أبدًا.

ليردّ خالد هذه المرة:

-إذن فقد فهمت أخيرًا.

-ولكن ما لا أفهمه حقًا هو كيف فعلت أنت ذلك يا خالد؟

غاضبًا قالها آدم، لم يحاول إخفاء البغض والكراهية في صوته، ليردّ خالد بهدوء تام رافعًا ذراعيه للأعلى، مما زاد من غضب آدم:

-لن أخبرك، كل ما سأخبرك إياه أن الخيار أصبح بيدك الآن.

قالها مشيرًا إلى يد آدم اليمنى ليجد الساعة قد اختفت منها، ووجد في يده مطرقة حديدية سوداء فرفعها آدم متأملًا إياها ليستطرد خالد:

-يمكنك مسامحتي على ما فعلته بك قبل وأثناء تلك اللعبة أو يمكنك أن ...

لم يمهله آدم ليكمل جملته وإنما جرى سريعًا رافعًا المطرقة إلى أعلى وضرب المرآة مودعًا كل قوته وغضبه وحنقه من خالد في تلك الضربة التي وجهها إلى رأس خالد لتتصدع المرآة طوليًا وتظلم تمامًا وتتكسر دائرتها المذهبة ويختفي منها خالد.

-إذن فقد اخترت ألا تسامح وأن تنتقم.

ازداد غضب آدم وهياجه حينما سمع صوت خالد مرة أخرى وظهرت صورته في المرآة المجاورة، ليتجه إليها رافعًا مطرقته مهشمًا إياها.

-أخبرتك من قبل أن تتحكم في غضبك، ولكن يبدو أنك لم تستمع.

حطم آدم المرآة الثالثة بعدما تعاظم غضبه أكثر، ظلَّ خالد يتنقل بين المرايا ويحطمها آدم حتى وصل إلى المرآة الأخيرة حيث اجتمع خالد والمسخ مع بعضهما البعض متجاورين لينطلق آدم رافعًا المطرقة يريد تحطيم آخر المرايا، وحينما أنزل يده التي تحمل المطرقة على المرآة كانت مطرقته قد اختفت فسقط أرضًا ليسمعهما يتحدثان في الوقت ذاته:

-لقد حاولت مساعدتك، حاولت أن أوقظ ما تبقى لك من ضمير، لم تحسن الاختيار كما طلب منك أحباؤك، لقد فضَّلت أن تلقى أخطاءك على شخص آخر كما كنت تفعل دائمًا، لقد اخترت مصيرك أيها الفاني.

حينما بدأ آدم يفيق من ذهوله خرج صوته مبحوحًا:

-من أنتما؟

ليجيبه المسخ غاضبًا، حانقًا:

-أخبرتك من قبل أيها التعس، "عليك أن تعرفني وإلا كان في ذلك هلاكك" أنا ضميرك الخرب، أنا ضميرك الذي حاولت قتله مرارًا، هذا ما حولتني إليه بعندك وتكبُّرك، لقد أنقذني ذلك الحادث من موت مؤكد كنت سألقاه بسببك عما قريب.

ظنَّ آدم أن هذه هي النهاية ولكن خالدًا سأله:

-ألا تريد معرفة من أنا؟

-ألست خالدًا؟

-بل أنا أمثل غضبك، صورة انتقامك التي رسمتها في عقلك، الشخص الذي تلومه على كل ما تمر به من متاعب وأعباء، ألا إنك إن تحكمت بي كما أخبرتك لنجوت.

سأل آدم بخوف وندم:

-ماذا سيحدث لي؟

-ستتعفن إلى الأبد في المتاهة التي رسمتها خطاك، متاهة الزمن.

اختفى خالد وضميره المسخ من المرآة لتتهشم إلى قطع صغيرة تهتز بعنف داخل الإطار الخاص بها، سمع آدم بعدها تهشم جميع المرايا

تباعًا، تحررت القطع الصغيرة من المرايا من داخل جميع الإطارات لتتجه صوب آدم الذي أخذ يصرخ بعنف، يصرخ بقوة، لم يطلب النجدة؛ فهو يعلم أنه لا يستحقها، صرخ بندم، ولكن الأوان قد فات وساد الحكم لعقارب الساعة باختيار آدم ذاته.

صمت آدم تمامًا وعادت الغرفة لهدوئها المعهود لتبقى متاهة الزمن شاهدًا على محاكمة من نوع خاص بانتظار متهم آخر قد يحاسبه ضميره في وقت لاحق.

obeikandl.com

ما بعد المرايا

هرعت الممرضة سريعًا إلى غرفة آدم بعدما سمعت صرخة عالية تصدر من غرفته، صرخة شخص يُعذَّب، كان ما يثير حيرتها علمها بأن ذلك المريض راقد في غيبوبة فكيف يصرخ، هل أفاق؟

فتحت باب الغرفة وولجت سريعًا، وهذا ما ندمت عليه لاحقًا؛ فقد وقع بصرها على أبشع منظر قد تراه في حياتها ولن يُمحى بسهولة من ذاكرتها، رأت آدم ساكنًا على سريره تسيل الدماء من كل فتحات جسده من أذنيه، عيناه، فتحتى أنفه ومن بين شفتيه وجهاز قياس النبضات يطلق صافرته راسمًا خطًا مستقيمًا، وسقطت فاقدة وعيها.

على بُعد خطوات قلائل وقف عم آدم يراقب جثته الساكنة ويسمع الطبيب الشرعي يتحدث إلى أحد الضباط:

-هذا أغرب شيء قد رأيته على مدار حياتي المهنية الطويلة؛ فلولا أنني أرى جسده سليمًا متماسكًا أمامي لقلت أن هذا الشخص قد تمَّ تقطيعه إلى قطع صغيرة بآلات حادة بعدما تعرض لعذاب شديد؛ فجميع شراينه وأوردته الداخلية مهترئة تمامًا، حتى الأجهزة الحيوية، عظامه ليست مهشمة، لا أدري ما هو التعبير المناسب

ولكنها مليئة بالثقوب، لا أدري ما تعرض له هذا الشاب ولكنه عانى كثيرًا، فليرحمه الله..

-أتعني أن هذا ليس بفعل الحادث.

-لا يوجد حادث يمكن أن يتسبب في ذلك.

أدار الضابط وجهه باشمئزاز، موجهًا حديثه إلى عمه:

-هل تتهم أحدًا بفعل ذلك يا سيدي؟

-كلا.

قالها بصعوبة شديدة مغالبًا دموعه كيلا تنهار أمام الموجودين، ثم أكمل:

-هل تسمح لي يا سيدي بأخذ جثته لفعل ما يليق بالموتى؟

ليجيبه الطبيب في أسى:

-لا بأس، ولكن فلتأخذوا حذركم فأنا أخشى أن تتفكك أعضاؤه أثناء حملكم إياه.

في كلوميرو ساقطًا على الأرض، غارقًا في دمائه وسط شظايا المرايا، يسمع أحاديثهم آتية من مكان سحيق، فتح عينيه بصعوبة شديدة، طالعه من عِلّ المرآة الوحيدة المتبقية مرآة البداية والتي تحمل النهاية أيضًا، ظهرت عليها كلمتان باللغة الإنجليزية Clock's Mirror

obeikandl.com

بحروف مضاءة والتي تعني انعكاس الوقت، أظلم المقطعان الآخيرين من كلتا الكلمتين ليتبقى CloMirro، ابتسم بهدوء، الآن فقط فهم.

أظلمت المرآة للحظات ثم أضاءت مرة أخرى ليجدها تحمل الساعة الرملية بطول المرآة، رأى آدم آخر حبات الرمل وحيدة كحاله، ثم رآها تعبر إلى الجهة الأخرى لتسقط غارقة وسط حبات الرمال الأخرى لتختفي وسطهن، ومع اختفائها، اختفت الغرفة وأظلم كل شيء.. إلى الأبد.

تـمـت،،،

obeikandl.com

obeikandl.com

شُكر خاص

عملًا بقوله صلى الله عليه وسلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" وبطبيعة الحال فمن المستحيل أن يخرج عمل أدبي دون تواجد بعض المجهودات من أشخاص وجنود مجهولين كان لهم اليد العليا في توجيه الكاتب في بعض الأوقات ومساندته ليخرج العمل في صورة ترضي كل من شارك فيه ولو بجزءٍ ضئيل..

إلى كل من ساهم لخروج رواية كلوميرو بهذا الشكل وعلى هذه الهيئة، أشكركم جميعًا من كل قلبي وأخص بالشكر كلًا من:

- أحمد محمود:صديقى وأخي الأصغر ورفيق دربي
- محمد رضا العشري:المؤلف الذي لا يريد أن يصبح كذلك، أتمنى أن أرى أحد أعمالك الرائعة قريبًا يا صديقي
- أحمد عبدالله (أبو فيروز) : على تشجيعه الدائم لي
- سالي الجندي: على كل ما ساهمت به لتخرج الرواية بهذا الشكل، صبرها ومثابرتها أثناء مراجعة الرواية.

محمد عصمت : لا أستطيع أن أطلق عليه الجندي المجهول، بل هو القائد المجهول في العديد من الأعمال الأدبية التي تخرج إلى السوق ومن ضمنها هذا العمل، لا أستطيع تقديم الشكر الكافي والملائم على كل ما أسهمت به قبل وأثناء وحتى بعد كتابة "كلوميرو"، دمت مبدعًا وناجحًا صديقي العزيز، أدام الله بيننا المودة والحب.

وأخيرًا، أخص بالذكر الرائعة والمبدعة شيرين هنائي أستاذتي التي أتعلم منها، ليس على المستوى الأدبي فقط ولكن أيضًا على المستوى الأخلاقي؛ فقد كان لها بعد الله عز وجل الفضل الأول والأخير في أن أمسك قلمًا وأن يُطلَق على تراهاتي كتابات، وأن أخوض مغامرة الدخول لهذا المجال الرائع.

obeikandl.com

الكاتب فى سطور

محمد علي – من مواليد طنطا محافظة الغربية، تخرج فى كلية الحاسبات والمعلومات جامعة المنصورة عام 2012 .. قام بالمشاركة فى الكتاب المجمع "شيزوفرينيا الحب" بقصة "التحرر"، كما شارك أيضًا فى العدد الرابع من إصدارات جمعية أدب الخيال العلمي "المنتصرون" بقصة "ظل القمر"

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/hippogriffen

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

نون للنشر والتوزيع

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikandl.com